جامعة الجزائر
معهد التاريخ



العلاقات الجزائرية الفرنسية

خلال

القرن السابع عشر (1619-1694)

رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

مقدمة من طرف الطالبة

عائشة غطاس

تحت إشراف الأستاذ

د. مولاي بالحميسي

السنة الجامعية 1984-1985

" ... فقد كانت لها (الجزائر) اليد الطولى في البحر الرومي وكانت بعوثها وغوازيها كثيرا ما تسم الثغور الافرنجية بالخسف والدمار ولذا لاذ أكثر ملوكها بمسالمتها وأذعنوا لما تفرضه عليهم."

تحفة الزائر، ص 126

" ... *Si Alger était détruit il serait avantageux à la France d'en procurer le rétablissement.*" LE ROY; *Etat général* ... p.166

كلمة شكر

أوجه خالص شكري وعرفاني وتقديري إلى أستاذي المشرف مولاي بالحميسي على كل ما بذله معي . فلولا توجيهه النافع ونصحه الصائب ما ظهر هذا البحث الى الوجود . ولا يفوتني أيضا أن أوجه شكري الى أسرة أستاذي المشرف التي كانت بمثابة أسرتي الأولى فجزاها الله خيرا على كل ما قامت به نحوي .

كما أقدم شكري الخالص الى جميع أساتذتي الكرام الذين لم يبخلوا عني بتشجيعاتهم وإلى كل من قدّم لي يد المساعدة من أقارب وأصدقاء .

ولا يفوتني أن أوجه عرفاني الى المشرفين على دور المحفوظات والمكتبات ، من هؤلاء أخص عمال الغرفة التجارية بمرسيليا وعمال المكتبة الوطنية بباريس وعمال المكتبة الجامعية بالجزائر وعمال مكتبة مركز الأساقفة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تندرج هذه المحاولة ضمن ما نسميه اليوم " اعادة كتابة تاريخ الجزائر بأقلام جزائرية نزيهة" . وهي تهدف بالدرجة الأولى الى تقصي الحقائق التاريخية التي تعرضت الى كثير من التشويه والتزييف المقصود ، وخاصة المواضيع التي تتعلق بالسياسة الخارجية . فتحامل الكتاب الأوروبيون على الجزائر، وأطلقوا عليها مختلف الألقاب من "عش القرصنة" ، إلى " مغارة اللصوص" . وكأن القرصنة كانت مقصورة على الجزائر وحدها . ومن المقولات المشهورة عن الجزائر خلال هذه الحقبة إنعدام وجود سياسة خارجية للجزائر خلال هذه الحقبة .

لهذه الاعتبارات كان اختياري لجانب من علاقات الجزائر الخارجية الا وهو العلاقات الجزائرية ـ الفرنسية خلال القرن السابع عشر 1619 ـ 1694 من سياسية وتجارية .

كما دفعني الى اختيار هذا الموضوع والى تحديده بهذه الفترة عوامل كثيرة منها :

1 ـ أنه لم يحظ بدراسة شاملة ووافية .

2 ـ أن معارفنا حوله لا تخرج عما سجله أقلام الكتاب الفرنسيين الذين أطلقوا من احكام مسبقة لا تخدم الحقائق التاريخية المنشودة .

3 ـ أن هذه الكتابات لم تتعد بعض المقالات القصيرة التي تروي أحداث حملة عسكرية ما ضد مدينة الجزائر . أما الكتب العامة التي تناولت هذا الموضوع فهي :

شارل روكس" : " CHARLES - ROUX " <u>فرنسا وافريقيا الشمالية قبل 1830 .</u> الكتاب كما نلاحظ من العنوان من الدراسات العامة في العلاقات الفرنسية ـ المغربية .

وهـو يكاد يغطي الجانب السياسـي فقط. ويظهر أن الهدف من تأليفه هوجعل إستعمـار فرنسا للجزائر ولبـلاد المغرب ، ليـس سوى تتويجـا ، للتواجد الفرنسـي قبل الاحتلال . تعامل تعامـلا صريحـا ضد الجزائر ففـي نظره : لا فرق بيـن يميـن الجزائر ويميـن السكيـر"

ماصـون بـول : تاريخ مؤسسات وتجارة فرنسا ببلاد المغرب/دراسـة مركـزة على نشـاط المؤسسات الفرنسيـة ببلاد المغرب. والتي لم تهتم بأوضاع البلاد حتى الاقتصاديـة منها والتى تعتبر القاعـدة الأساسيـة لذلك النشـاط . ورغم هذا فانه يعتبـر من الدراسـات القليلـة حول الموضوع، والجانـب الايجابي فيه اعتماده على الأرشيـف .

كـابـوتـاري : المغـرب المتوسطـي والسياسـة الفرنسيـة : حاول صاحب البحث عن مـدى تأثيـر كل من كـولبيـر وسانـس ناسنـان دي بول في سياسـة لويـس الرابع عشر .

أما الدراسـات المتخصصـة، كالمقلات فـلا نكاد نملـك سوى دراسـة كـراون ـ : عـلاقات فرنسا بإيالـة الجزائر خلال القرن السابـع عشر المنشورة في المجلة الافريقية .

تعتبر هـذه الدراسـة أولـى المحاولات للكشـف عن جانـب من جوانـب العلاقات الجزائرية الفرنسيـة . مدعمـة بعدد كبير من الوثائـق، بل إن بعض المقالات منهـا ليسـت سوى نشر لعـدد من الوثائق حول الموضـوع (مـراسلات . الـخ .)
وهـي لا تتعرض الى سياسـة فرنسا في اطار واضح وشامـل بل نظرت إليها نظـرة تفتيتيـة (موقف لويـس الرابع ازاء الحكومـة الجزائريـة) كما أنها لا تتعرض الى العلاقات التجاريـة .

إن كل هذه الأسباب جعلتنـي اختار هذا الموضـوع للدراسـة .

أما تحديدي للفترة بالقرن السابع عشر 1619 إلى 1694، فهو أيضا يعود الى اعتبارات منها : تعتبر سنة 1619، السنة التى ابرمت فيها أول معاهدة سياسية بين الجزائر وفرنسا . أما سنة 1694 ، فهي السنة التى أبرمت فيها المعاهدة التجارية وهي تخص المؤسسات الفرنسية بالشرق الجزائري جاءت بعد التوتر الذي شهدته العلاقات السياسية والتجارية معا . ولهذه المعاهدة أهمية بالغة، إذ أعادت لفرنسا امتيازاتها التجارية بالمنطقة وجعلت حق المتاجرة مقصورا على الفرنسيين دون غيرهم ..

كما أن القرن السابع عشر في حد ذاته جديد بالاهتمام والملاحظة، لما يمتاز به من سمات بارزة، فهو عصر التحولات والتغييرات الجذرية بصورة عامة . أما بالنسبة للجزائر، فهو عصر التفوق البحري من ناحية وعصر الانفصال عن الدولة العثمانية، وعصر الاضطرابات السياسية من ناحية أخرى (ثورة الآغوات وما ترتب عنها) ، وهو عصر التكالب الأوروبي أيضا عليها وهو كذلك عصر عرفت فيه الجزائر شخصيات قوية ، كالآغا شعبان الذي تصدى لجيوش لويس الرابع عشر بجيجل ، والداي الحاج حسين الذي أعلن الحرب ضد فرنسا ورفض الإستسلام رغم القصف الرهيب الذي تعرضت له المدينة، والداي الحاج شعبان ، وما امتاز به من شخصية قوية .

غير أن انجاز هذا البحث ، والالمام بكل جوانبه لم يكن بالأمر اليسير، فكان أكبر مشكل واجهني هو مشكل توفر المصادر ، وخاصة منها المصادر العربية فالمصادر العربية حول الموضوع التى احتفظت لنا ببعض الأخبار قليلة (المصادر التى تمكنت من الاطلاع عليها) ، وهي تخص الجانب السياسي .

"كالزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة" لعبد الرحمن الجديري التلمساني ، الذي يتضمن اخبارا وافية عن القصفين الفرنسيين، قصف دوكين ودستري .

أما المصادر العربية الأخرى التي تمكنت من الاطلاع عليها كالثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني ، ودليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، والتحفة المرضية فهي لا تتعرض إطلاقا الى هذا الموضوع .

والجانب التجاري هو أيضا على ما يبدو لم يحظ باهتمام مسجلي الأحداث حينئذ . فكتاب تاريخ قسنطينة من دخول الأتراك الى الفتح الفرنسي لمحمد الصالح العنتري لا يتعرض على سبيل المثال لنشاط الفرنسيين التجاري أو الى نوعية العلاقة السائدة بين هؤلاء التجار والأهالي .

هذا ما جعلني أعود الى عدد كبير من المصادر الأوروبية وخاصة منها الفرنسية وهي عبارة عن رحلات ، أو مذكرات أسرى أو تقارير . وعلى عدد كبير من الدراسات الحديثة من كتب ومقالات ، وإيماني بأهمية الأصول " في البناء التاريخي ، جعلني أحرص حرصا شديدا على استعمال الأرشيف . فسافرت ثلاث مرات الى فرنسا غير أن ضيق الوقت المرتبط بامكانياتي بالدرجة الأولى ، وعدم توفر المادة بمكان واحد ، فهي متفرقة بين باريس ، ومرسيليا وأكس آن بروفانس ، جعلا ني أواجه مشاكل عديدة .

ورغم حرصي على استغلال الأرشيف الفرنسي ، فاني أشعر بأن الأرشيفات العثمانية والانكليزية والهولاندية قد تفيد نا افادة كبيرة للكشف عن جوانب عديدة من ناحية والمقارنة مدى صحة ما احتوت عليه الوثائق الفرنسية من ناحية أخرى ./ وهذا مالم تسمح لنا به الظروف ، مع الأسف الشديد ..

كما كان مشكل الترجمة من المشاكل التي اعترضتني . فمعظم المادة المستعملة في هذا البحث تكاد تكون فرنسية ، مما تطلب ترجمتها وإعادة صياغتها ، وهذا ما أثر تأثيرا واضحا على الاسلوب في بعض الأحيان .

قسمت بحثي الى مدخل وقسمين أساسيين . ففي المدخل تعرضت الى تبلور العلاقات منذ عهد خير الدّين وفرنسوا الأول ، الى عهد هنري الرابع وهي فترة عرفت نوعا من الوفاق والتقارب، وهذا حتى لا تبدو للقاريء العلاقات الجزائرية ـ الفرنسية خلال القرن السابع عشر مبتورة .

أما القسم الأول ، وهو تحت عنوان العلاقات السياسية 1619 الى 1694، فقد ضمنته فصلين ، الفصل الأول ، خصصته للعلاقات السياسية منذ ابرام أول معاهدة سياسية سنة 1619 الى 1660.

ونظرا لما امتازت به هذه الفترة من تناقض وغموض حيث يظهر خلالها أيضا عجز فرنسا على نهج سياسة واضحة أعطيته عنوانا "بين الحرب والسلم".

وفي هذا الفصل تناولت بالتحليل مساعي فرنسا لاحلال السلم ، منها بعثة سانسون نابولون ، وسانسون لوباج ، وبعدها تعرضت الى سياسة الحملات العسكرية ...... التي لم تجد نفعا .

أما الفصل الثاني ، فقد خصصته للصراع بين الجزائر وفرنسا في الفترة الممتدة من 1661 الى 1694. ويحمل عنوان ، "فترة الصراع". فيه حاولت تحليل بواعث سياسة لويس الرابع عشر، ثم تناولت أول حملة عسكرية استهدفت احتلال مدينة جيجل . كما تطرقت بايجاز ـ نظرا لعدم توفر المادة حول الموضوع الى حلقة من حلقات العلاقات تكاد تكون غير معروفة ، وهي مساعي لويس الرابع عشر لكسب صداقة الجزائر جعلتها تحت عنوان هامشي ، "لويس الرابع عشر وصداقة الجزائر". ثم تطرقت الى تصدع العلاقات الذي تجلى في الحملات العسكرية التي تعرضت لها مدينة الجزائر قصف دوكين وقصف ديستري .

أما القسم الثاني فقد خصصته للعلاقات التجارية ويتضمن ثلاثة فصول. خصصت الفصل الأول للمبادلات التجارية، استهليته بالحديث عن الموانئ باعتبارها القنوات التي تتم بواسطتها هذه التجارة، ثم تعرضت لأنواع الصادرات والواردات . وتناولت في الفصل الثاني ، عنصراً أساسياً في العلاقات التجارية وهو عنصر التجار . وهذا الفصل لا يتعدى محاولة لطرح مشكل طالما أثار اهتمامي وتساؤلي وهو هل عرف المجتمع الجزائري فئة من التجار متميزة المعالم عندئذ ، وبعبارة أخرى حاولت تقييم دور الرجل الجزائري في المبادلات التجارية مع ما وراء البحر . و الفصل الثالث والأخير فقد خصصته للشركات التجارية الفرنسية باعتبارها أهم طرف كان يضمن الحركة التجارية بين البلدين .

أما الخاتمة فكانت عبارة عن حوصلة لبعض الاستنتاجات على المستويين السياسي والتجاري .

والله ولي التوفيق

قائمة المختصرات الواردة في الرسالة

A.C.C.M. - *Archives de la chambre de commerce de Marseille.*

A.C.M. - *Archives communales de Marseille.*

A.E. - *Affaires Etrangères.*

A.N. - *Archives Nationales* (Paris).

A.O.M. - *Archives d'Outre-Mer d'Aix en Provence.*

A.E.S.C. - *Annales économies sociétés civilisations.*

A.I.E.O. - *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales.*

B.S.G. - *Bulletin de la Société de Géographie.*

B.S.H.M. - *Bulletin de la Société d'Histoire Moderne*

C.T. - *Cahiers de Tunisie.*

I.H. - *Information Historique.*

J.A. - *Journal Asiatique.*

M.I.H.P. - *Mémoires de l'Institut Historique de Provence.*

R.A. - *Revue Africaine.*

R.E.H. - *Revue des Etudes Historiques.*

R.F.H.O.M. - *Revue Française d'Histoire d'Outre-Mer.*

R.G. - *Revue de Géographie.*

R.H.C.M. - Revue d'histoire et civilisation du Maghreb.

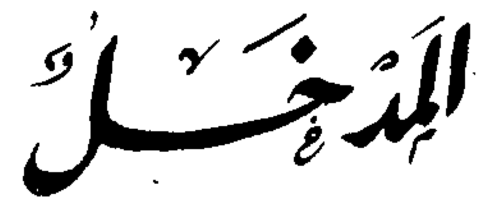
R.H.D. - Revue d'Histoire diplomatique.

R.M. - Revue Maritime.

R.O.M.M. - Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée.

R.Q.H. - Revue des questions historiques.

R.T. - Revue tunisienne.


المَدْخَلُ

عرف الوضع الدولي في النصف الأول من القرن السادس عشر تطورات حاسمة، تمثلت في الفتوحات العثمانية التى أنزعت أوربا ، من ناحية والصراع بين ملك فرنسا فرانسوا الأول وشارل الخامس ملك اسبانيا من ناحية أخرى .

1 - الفتوحات العثمانية :

بعد فتح القسطنطينية والإنتصارات المتتالية التى أعقبت ذلك اتخذت الفتوحات العثمانية اتجاهات متعددة . ففي الشرق تمكن العثمانيون من ضم مصر الى دولتهم مما سمح لهم بالتحكم في الطرق التجارية ، وخاصة الطريق المؤدي الى الشرق الأقصى .

على أن أبرز حادث كانت له أصداؤه في العالم المسيحي - علاوة على سقوط القسطنطينية(1) هو دخول فلسطين في حوزة الممتلكات العثمانية ، ومن ثم سيطرة المسلمين على الأماكن المقدسة فيها . (2)

---

(1) هالت أوروبا وانفزعت ، وشرعت تخطط لضرب الاسلام وكسر شوكة المسلمين . فأعلن البابا ليون العاشر - - عن التعبأة العامة لأجل حرب صليبية ضد العثمانيين، ويجدر التنويه الى أن فرنسوا الأول الذي كان من عمل سبيل التقارب الفرنسي - العثماني كان في بداية عهده يساير روح العصر التى اتسمت بالتعصب ضد الاسلام ليس هذا فحسب بل لقد كان المختار لاعداد الحرب اذ رأى فيه البابا أحسن زعيم لما أبداه من حماس متقد المسيحية : بيد أن تطور الأوضاع في أوروبا ، ارتقاء شارل الخامس منصب الامبراطور والزحف العثماني على أوروبا جعلا الدول الأوروبية تتخلص عن العصبة المقدسة " أما فكرة ضرب الاسلام وتفكيك الامبراطورية ظلت سائدة وبلغت أوجها في القرن السابع عشر -

(2) BENASSAR (B) , JACQUART (J) , *le xvi* , *Paris* , *Armand Colin*, *1972*, P. 246

أما في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، بطريقة تكون سحرية ثم الحاق الجزائر . بالممتلكات العثمانية . وكان لتبني الدولة الفتية بزعامة خير الدين ، الجهاد وحماية ديار الاسلام من الغزو الصليبي الداهم اثر واضح على وضع الحوض الغربي للمتوسط .

وفي أوروبا أصبح العثمانيون يسيطرون على مناطق حيوية تسمح لهم بتوجيه ضرباتهم ضد الامبراطور إذ سقطت بلغراد في أيدي العثمانيين سنة 1521 وتلتها رودس سنة 1522 وبهذا سيطروا على معظم الأراضي المجرية بل شبه جزيرة البلقان كلها . واضطر شارل الخامس ، إقامة عدة حصون على الحدود المجرية وتأسيس أسطول لمقاومة المد العثماني الزاحف غربا . (1)

2 ـ الصراع بين فرنسوا الأول وشارل الخامس :

كان هذا الصراع استمرارية للحروب الإيطالية ومن أسباب تجدد الخلافات التنافس من أجل "تاج الامبراطورية" . لقد غدا فرنسوا الأول بعد اعتلائه العرش أكبر رجالات عصره اذ مكنه انتصاره في معركة مارنيان ، من الاستحواذ على ايطاليا وأصبح منذئذ يسعى الى الفوز بتاج الامبراطورية والهيمنة على أوروبا . وكان شارل الخامس هو أيضا يصبو الى تحقيق نفس الغاية . وفتحت نتيجة هذه المسابقة الدبلوماسية التي كانت في صالح شارل الخامس باب الصراع على مصرعيه . وأدى طموح شارل الخامس الى احتدام الصراع في الفترة الممتدة ما بين 1520 و1530 ، اذ أصبح شارل الخامس الإمبراطور يعتبر نفسه الممثل والمسؤول الروحي عن أوروبا وأضحت مساعيه من أجل الهيمنة تهدد في المقام الأول فرنسا . (2) فلم يكتف بطردها من ايطاليا بل أصبح يطالبها بحقه في المقاطعات التي خضعت للامبراطورية المقدسة .

(1) *BENASSAR, le xv siecle... P. 245.*

(2) *Ibid, P . 247 et sq.*

دفعت هذه الأوضاع بفرانسوا الأول الأعزل الى البحث عن حليف يحتمي به ضد عدوه. وكان من الطبيعي أن يجده في قوة خارجية وبعيدة في آن واحد تمثلت في الدولة العثمانية التي كانت تخوض صراعا مريرا ضد آل الهيسبورغ ، بفينا ومادريد معا.

بداية الاتصالات الفرنسية ـ العثمانية :

لم يكن من اليسير على ملك فرنسا أن يتقرب من السلطان العثماني . نظرا لموقف الأمراء المسيحيين فمتى بدأت الاتصالات في سبيل ذلك التقارب وكيف ؟
يرجع تاريخ بداية الاتصالات الى عام 1525 اثر انهزام فرنسوا الأول في معركة باغي" PAVIF " ويجدر التنويه الى أن هذه الاتصالات لم تباشر من طرف الملك المهزوم والأسير عند خصمه، بل كانت من قبل والدته الملكة الوصية" RFINF REGFNTF
وتلت هذه المحاولة محاولة أخرى، كانت هذه المرة من فرانسوا الأول نفسه الذي عهد لمبعوث عنه يدعى برينكو" RINCOU" بالمهمة ولم تؤخذ هذه الاتصالات شكلا علنيا ورسميا الا بتاريخ 1534، وهي التي تعرف بمفاوضات جان دي لافوري (Jean DFLAFORET) كان من بين أهداف هذه البعثة الاقتراح على السلطان العثماني اقامة سلم دائم مع مختلف الأمراء المسيحيين، باستثناء شارل الخامس الذي يجب توجيد الجهود ضده.

---

(2) ان السفارة التي أسندت لها مهمة التفاوض تبقى مجرد علامة يستند عليها المؤرخون في تحديدهم لتاريخ بداية العلاقات، اذ لم تتمكن السفارة من الوصول الى اسطنبول اثر اغتيال افراد البعثة برمتهم من طرف خصوم فرنسا عندئذ .

(3) تمت هذه الاتصالات في سرية تامة ولم يعلن عن موضوعها الحقيقي، وتذرع فرنسوا الأول لدى الرأي العام الأوروبي أن بعثته ليست سوى تهديدا للسلطان العثماني كي لا يتجاوز حدود المجر. وفي ذات الوقت وحتى يقنع أوروبا بأن غايته كانت كذلك عقد اتفاقية مع هنري الثامن ملك انكلترا ضد الدولة العثمانية .

(3) *CHARRIERE (E), Negociations de la France dans le levent, New york, Burt Franklin, SD, Tome 1, P.*

وفي غضون هذه الأحداث كان خيز الدّين يخوض صراعا ضاريا ضد شارل الخامس. اذ حققق سنة 1529 انتصارا باهرا بطرده الاسبان من صخرة الجزائر. (1) وفي هذه الأثناء ، وخاصة عندما أبرم شارل الخامس معاهدة "كمبري" CAMBRAI " وهي المعاهدة التى ضمنت له مركزا متفوقا في أوروبا وجعلته ينهي حربه مع فرنسا (2)

أصبح خير الدّين يفكر في ايجاد حليف له ضد الامبراطور ، رغم هذا فإن خيرالدّين لم يصارح على ما يبدو عن نيته في التحالف الابعد مغادرته لمدينة الجزائر بعد ما استدعي من طرف السلطان العثماني سنة 1534. (3) وفي طريقه الى الآستانة توقف بفرنسا حيث قابل فرنسوا الأول ، وقدم له هدايا ثمينة، كما أعلن رسميا عن مسالمته لفرنسا . (4)

مظاهر التقارب :

ترتب عن هذا اللقاء اتفاق الطرفين على توحيد الجهود ضد اسبانيا . فقام خير الدّين في شتاء 1533 وفي 1534 وفي 1535، بتنفيذالتلك الخطة ، بمهاجمة الشواطيء والموانيء الإيطالية التى كبدها خسائر جسيمة . (5)

ويعود هذا التقرب على ما يبدو الى مشروع خير الدّين الذي كان يهدف الى تأسيس امبراطورية بالمغرب الاسلامي. ففي هذه الآونة كان يخطط للاستيلاء على تونس مما جعله في أمس الحاجة الى حليف يستند عليه مما قد يتعرض له من قبل شارل الخامس .

---

(1) (1)

(2) أبرمت هذه المعاهدة سنة 1529.

(3) *HEINRICH (H), L'Alliance franco-algérienne au XVIè Siècle*, Lyon, Imp. Mougin, Rusand, 1898, pp 13 - 14

(4) Ibid, p 15

سأكتفي بالاشارة إليه كما يلي :

HEINRICH (H), L'Alliance ...

(5) *HAEDO (F), Histoire des rois d'Alger*, Traduite et annotée par H. de Grammont Alger, Adolphe Jourdan, 1881, p. 49

وأبرز مظهر لهـذا التقارب هو حصول فرنسا على معاهدة الامتيازات لسنة 1536 .[1]
لكـن هذا الوفـاق كاد أن يتعثر بسبـب هدنـة نيـس التى وقعها فرنسوا الأول
وشارل الخامس سنة 1538، والتى وضعت حدا للخلاف. وظهر أن الطرفيـن قد تناسيا
احقادهمـا، وخلافاتهـم . لكن هذا الوئـام .. لم يدم طويلا ، ظهر الخلاف من جديد
حول منطقـة الميـلاني " MILANAIS " (2)

وغدت مساعـدة الاسطـول العثماني أساسيـة بالنسبـة لفرنسا . فبعد الهزيمـة
التى أحلت بأرمادة شارل الخامس على الشواطئ الجزائرية في أكتوبـر 1541
سارع فرنسـوا الأول الى ارسال مبعوث عنه للبلاط العثماني ليهنئه بالانتصـار

---

(1) هناك اختلاف كبير بين المؤرخين حول تحديد تاريخ ابرام أول معاهدة بيـن الدولة العثمانية وفرنسا، من ناحية ، ومن ناحية أرخى حول مضمون هذه المعاهدة هل هي معاهدة تحالف ؟ أم هي معاهدة صداقة ؟
لقد حاول " هامـر" في دراسة تحت عنوان "مذكرة حول أولى العلاقـات الدبلـوماسية بين فرنسا والباب العالي واستنادا الى ارشيف البندقية والـى ما ذهب اليه بعض المؤرخين ، ابراز بداية هذه العلاقات. وكانت النتائج الـتى توصـل اليها :
1 ـ إن تاريخ المعاهدة ليس 1535 ولا يمكن أن يكون ذلك ، بسبب انشغـال السلطان بحروبه ضد فارس وفي شهر فيفري كان كل من السلطان والصدر الأعظم في بلاد فارس.
2 ـ إن معاهدة التحالف التى افترض بانها أبرمت سنة 1537 ما هي الا معاهدة 1536 وهي معاهدة صداقـة وليست معاهدة تحالف.
بينما ذهب مؤرخ آخره وهي "فرنسيـن راي " إلى أن تاريخ المعاهدة الفعلي هو 1535 لكن ما بعث على الشك في ذلك. ضياع النسخة الأصلية .
وذهب فريق، ثالث ، ممثـلا في كل من "زيلـر" و"كريـون" ـ وتعتبر دراستها من أحدث الدراسات ـ إلى أن هذه المعاهدة لم تبرم نهائيا بذلك التاريخ بل كانت مجرد مشـروع عثر عليـه بدون امضـاء هذه او مصادقـة ، ويرجعان تاريخ معاهدة الامتيازات الأولـى الى 1569 . أما معاهدة 1536 فقد عبرا عن رأيهمـا فيها بما يلي :

(2) *LEMONIER (H), La lutte contre la Maison d'Autriche, La France sous Henri II, 1519 - 1559*, Paris, Hachette, 1904, p. 93.

ملتمسا منه المساعدات العسكرية الضرورية البرية منها والبحرية في الحرب التى سيملنها ضد خصمه . (1) خاصة وأنه موقفه تحرج بعد الانتصار الذي حققه شارل الخامس باستمالة انكلترا الى صفه . ورغم هذا التحالف الذي كان يضمن لهذا الأخير التفوق البحري في مياه المانش، فإن الاسطول الفرنسي استطاع أن يظهر بالمياه الايطالية بمظهر المتفوق بفضل مساعدة اسطول خير الدّين .

انطلق خير الدّين من مرسى مدون " MODON " على رأس أسطول يتشكل من مئة وعشر بارجة . وأربعين غليرطة قصد تخليص مدينة نيس التى بقيت خاضعة التي بقيت خاضعة إلى دوق منطقة الصافوا" Le Duc de Savoie " . (2) وأثناء مرور اسطول خير الدّين بالسواحل الايطالية عنابها وكبدها خسائر فادحة . واستطاع فرانسوا الأول بفضل دعم خير الدّين استرجاع مدينة نيس .

رغم الهدنة الموقفة بين شارل الخامس والسلطان العثماني في 19 يونيو 1547 . (3) وفاة كل من فرانسوا الأول وخير الدين . لم يطرأ على التقارب الفرنسي ـ العثماني ـ الجزائري الذي كان مرهونا بالعداوة التقليدية أي تغيير . فاستمر الجزائريون يحترمون الأسطول الفرنسي . كما ظلت فرنسا محافظة على امتيازاتها لدى البلاط العثماني (4)

وأظهرت فرنسا حسن نيتها في الحفاظ على علاقاتها الطيبة مع العثمانيين فامتنعت عن الانضمام للجبهة المسيحية التى شكلت في صائفة 1550 والتى ضمت أساسا فرسان القديس يحي والاسبانيين والايطاليين الذين استولوا على مدينة المهدية . وانتقاما

---

(1) ROTALLIER (Ch de), *Histoire d'Alger et de la piraterie des turcs dans la Méditerranée*, Paris, 1841, Tome 1, p. 546 et sq.

(2) *Ibid.* p. 551

(3) تكتسي هذه الهدنة أهمية بالغة فلأول مرة يوافق السلطان العثماني التفاوض مع اسبانيا عدوه التقليدي . وكانت الهدنة لمدة خمس سنوات . سعت فرنسا عبثا للحيلولة دون ذلك .

(4) HEINRICH, *L'Alliance* ... p. 69

لهذا الانتصار وجه درغوث " DRAGUT " نظره صوب طرابلس المحاصرة من طرف فرسان مالطة ، واستطاع أن يفكها بفضل مساعدة حاكمها " Gaspard de VALIFR " وهو أصل فرنسي . (1) ونفس السياسة اتجهتها فرنسا ازاء الجزائر ففي 1551 ، رسلت فرنسا مبعوثا عندها الى حسن بن خير الدّين لتقترح عليه مساندته . ضد الهجوم الاسباني المغربي سنة واحدة على تلك البعثة حتى أوفد الملك هنرى الثاني مبعوثا آخر وهو الفارس دي ألبيس" . ليقترح على "صالح رايس ضرورة توحيد الجهود من آجل عمل مشترك ضد اسبانيا . (2)

وكانت فرنسا قد قررت أن توجه ضرباتها ضد الامبراطور في السواحل الايطالية وساهم البحارة الجزائريون غي تلك العمليات مساهمة فعالة الى جنب الاسطول العثماني تحت قيادة د ورغوث. (3)

لكن هذا الوفاق أصبح يسير تدريجيا في التلاشي والانفصام فزوال الخطر الاسباني بعد معاهدة السلام التى ابرمت في أغبريل 1559، وهي المعروفة "بكاتو كامبريسيزيس" CATFAU CAMBRESIS فتح عهدا جديدا ، عهد الفتور الواضح والذي سينتهي كما سيأتي ذكره بالقطيعة الصريحة .

---

(1) TURBET DELOF (G), *L'Afrique barbaresque dans la littérature française au XVIè et XVIIè siècles*, Genève, Droz, 1973, p. 164

- سأكتفي بالاشارة اليه كما يلي : TURBET DELOF, *L'Afrique ...*

(2) GRAMMONT (H.de), " *Les consuls et les envoyés de la Cour de France à Alger*, " in R.H.D., 1888, pp 105 - 106.

(3) HEINRICH, *L'Alliance ...* p. 80

بداية العلاقات الرسمية : انشاء القنصلية(1) الفرنسية بالجزائر.

رغم التقارب الذي شهدته العلاقات الجزائرية - الفرنسية، فان العلاقات بين البلدين لم تتخذ صبغة رسمية الا حوالي 1578، بانشاء القنصلية الفرنسية بالجزائر.

تعود أولى المحاولات في ذلك الصدد الى النصف الثاني من القرن السادس عشر حينما قام الملك " شارل التاسع " بتعيين أحد رعاياه ويدعى " بارتولة" لمنصب القنصل بمدينة الجزائر في 15 سبتمبر 1564. (2) ولم تكلل المحاولة بالتوفيق نظرا للمعارضة الشديدة التى أبداها كل من الباشا والديوان لفكرة اقامة دائمة للممثل عن دولة مسيحية، فرجع المرشح من حيث أتى. (3)

---

(1) ظهر هذا النوع من التنظيم بعد الحروب الصليبية مباشرة، اذ عين الايطاليون والبروفنسيون الذين كانوا يعملون في سبيل ازدهار تجارتهم ممثلين عنهم في مختلف الموانئ التى يتعاملون معها، للسهر على مصالحهم بها واطلق على هؤلاء الموظفين ، تسمية القناصل وحذت مرسيليا هي الأخرى حذوهم منذ القرن الثالث عشر فعينت قناصل عنها في مدن مختلفة من بينها بجاية وهذا ما تثبته عدة رسائل موجهة من حكام وقضاة مدينة مرسيليا الى ملك بجاية تقضي بقبول ممثل عنها في تلك المنطقة ، ويبدو أن هذا القنصل التحق فعلا بمدينة بجاية ومارس وظيفته . غير أنه بعد هذا التاريخ لانكاد نسمع عن التمثيل الدبلوماسي الفرنسي بالجزائر أي خبر الى أن ظهرت الجزائر كقوة مسيطرة على البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس عشر.
وعند ما يئست الدول الأوروبية من كسر شوكة الجزائر، على اثر تحطيم اسطول شارل الخامس العرمرم على الشواطئ الجزائرية واقتناعها بتفوق الجزائر البحري والعسكري معا.

(2) A.N. *Marine* B^7_{49} *Expéditions concernant les consulats et le commerce de Levant et Barbarie (1564 - 1731)*, Fol.1

(3) GRILLON (P), " *Origines et fondation du Consulat de France à Alger 1564 - 1582* " in R.H.D. n° 2, 1964, p.

ويبدو أن مرسيليا تراجعت بعد هذا الرفض عن موقفها اذ نقرأفي مختصر سجل البرلمان" وردت علينا عدة رسائل من قناصل وسكان مدينة مرسيليا ، تؤكد على عدم ضرورة اقامة قنصلية بالجزائر وبالغاء منصب القنصل " . (1)

وفي عهد هنري الثالث الذي عزم على ايجاد تمثيل دبلوماسي ببلاد المغرب عموما ، جددت المحاولة . ويسجل المؤرخون بان انشاء القنصلية في تونس لم يلق أدنى معارضة . (2) كما كان المغرب الأقصى ، هو صاحب المبادرة لاعتماد قنصل فرنسي في عهد السلطان عبد الملك سنة 1577 . (3) بينما أصرت حكومة الجزائر على اعتراضها .

أمام هذا الرفض المتواصل ، وجهت فرنسا وجها صوب الباب العالى حتى يتدخل. ولم يتم ذلك الا في أوائل 15،78 حيث أرسل مراد الثالث أمرا مستعجلا يقضي بقبول موريس سورون قنصلا . (4) وكان الباشا حسن فنزيانو. (2) الى قناصل وحكام مدينة مرسيليا المؤرخ بالثامن والعشرين من شهر أفريل 1579 كما يلي : " ... لقد جاءنا المدعو فرانسوا ككيتو " François GUIGHITTO " . الحامل لأوراق اعتماده ممثلا لموريس سورون .... فنعلم جلالة الملك هنرى الثالث صديقنا العزيز وملككم أننا لا نجد أي سبيل لتنصيبه، إنه شيء مناف لعقلية التجار والشعب والجميع

---

(1) A.C.M. , *HH 331, Consulat des Echelles du Levant, Consulat d'Alger.*

(2) *GRILLON, " Origines ... "* p.

(3) تم تعيين قنصلا فرنسيا بتاريخ 11 يونيو 1577، لكن وفاة عبد الملك المفاجئة بمعركة وادي المخازن حالت دون ممارسة القنصل لمهامه فور وصوله . حول هذا الموضوع . انظر :

(4) CAILLE (J), *La représentation diplomatique de la France au Maroc,* Paris, Pedone, 1951.

(5) حسن فنزيانو : باشا الجزائر حكم الفترة الممتدة من الى

وحينما تطلبون منا اشياء تكون في عاداتنا وغير متناقضة وواجباتنا نتردد في خدمتكم . (1)

يتضح من مقتطفات نص الرسالة أن الحكومة الجزائرية رفضت التمثيل الدبلوماسي ورأت فيه بدعة " واعتمادا على نص هذه الرسالة ذهب معظم المؤرخين الى أن الممثل الفرنسي لم يلتحق بمنصبه . وتدخل الباب العالي ثانية في 1580 لقبول موريس سورون قنصلا . (2)

نرغم هذا رفض الباشا ، الذي تضمن الرفض الصريح للمثل الفرنسي يبقى محل تحقيق ونقد . اذ يبدو من خلال : Registre des Actes et Contrats passés à la Chancellerie du Consulat de France à Alger.

أن الباشا تراجع عن موقفه اذ يكشف هذا لاسجل :

عن تعاقب ثلاثة نواب ـ قناصل على المنصب من أفريل 1579 الى سبتمبر 1582 . (3)
ولم يكن منصب نائب القنصل قد انشيء بمقتضى قرار ملكي ، وانما كان مجرد تفويض من القنصل موريس سورون نفسه . ويعود قبول هؤلاء الاشخاص لهذه الوظيفة الى حرصهم على حماية تجارتهم بالدرجة الأولى .

وهكذا نرى أن عملية انشاء القنصلية لم تكن بالأمر اليسير اذ استغرقت خمسة عشر سنة بين الأخذ والرد .

---

(1) PLANTET (E), *Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France*, Tunis, éd. Bouslama, 1981, Tome 1 (1579 - 1700), p. 4 - 2

(2) WATBLED (E), " *Aperçu sur les premiers consulats français dans le Levant et les états barbaresques* ", R.A. 1872, pp 20 - 21.

(3) GRILLON (P), " *En marge d'un manuscrit du XVIè siècle* " in R.H.C.M. n°1, 1966, p. 60

وذهب "جوزيف بيليو" ، الى أن تأخرها يعود بالدرجة الأولى الى موقف المرسيليين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم أولى من غيرهم بهذه الوظيفة، وواجهاتهم في ذلك مشكلة التسيير المالي للقنصلية (التكاليف) فلم يكن قد خصص لشؤون القنصلية — كما هو الشأن بعد ذلك — ميزانية خاصة . (1) ماجعل مصدرها المالي الأساسي هو ضريبة الدخول والخروج . وهي مصاريف كانت تعود على المرسيليين وحدهم تقريبا باعتبارهم المحتكرين الأساسيين لتلك التجارة، وهو أمر لم يرضهم بطبيعة الحال. (2)

وللمرء أن يتساءل عن سر الحاح فرنسا لدى الباب العالي والجزائر معا على ايجاد تمثيل دبلوماسي بالجزائر، ولم تكل خلال مدة خمسة عشر سنة ؟ تعود مطالبة الحكومة الفرنسية بتمثيل دبلوماسي لعوامل عديدة ، فمعاهدة الامتيازات الشهيرة خولت لها الحق في ارسال ممثلين عنها بمختلف الولايات العثمانية، وهذا ما نص عليه البند الثالث. ومن ثم سارعت الى تنفيذ ذلك ، خاصة وأن البحر الأبيض المتوسط ، كان في ثلثيه بحيرة عثمانية . (3) ويرى بعضهم أن الدافع الرئيسي لفرنسا ، كان بغية تفادي الخسائر التى كان يتعرض لها الفرنسيون من جراء تعدي البحارة الجزائريين . فتعرضهما في الفترة الممتدة من 1560 الى 1565

---

(1) *BILLIOUD (J), Le commerce de Marseille de 1515 à 1598*, Paris, Plon, 1951, Tome 3, p. 270.

(2) لقد كان أجر القنصل يتمثل في الضريبة التى تخضع لها البضائع المصدرة من البلاد التى يتواجد بها القنصل وتقدر باثنين بالمائة، ويمثل هذا الاقتطاع المصدر الوحيد للقنصل . انذاك. ويذكر أرقيو أن قيمتها كانت معتبرة حينما كانت الحركة التجارية مزدهرة غير أنه لم يعد لها أدنى اعتبار خلال القرن السابع عشر .

(3) **GRILLON**, " *En marge d'un manuscrit* ... " p. 58

الى خسائر كبيرة ، اذ فقدت ما يعادل نحو أربع مائة ألف د ورو " écus " . (1)

ومما لا شك فيه أن فرنسا هدفت بالدرجة الأولى ، كسب مكانة خاصة في البحر الأبيض المتوسط، وخاصة في الحوض الغربي . فاعتراف الجزائر بفرنسا يعتبر من أكبر المكاسب. اذ ستحل فرنسا مشاكلها وجل خلافاتها عن طريق هذه القنصلية ومن هنا فإن " بوسكي " لم يجانب الحقيقة عند ما كتب " إنه لأسباب سياسية أكثر منها تجارية ، ألحت فرنسا على انشاء القنصلية". (2)

وعلى ضوء ما سلف ذكره يمكن القول أن التمثيل الد بلوماسي قصدت به فرنسا حماية تجارتها وتجارها من ناحية ، ومن ناحية أخرى الفوز بمكانة خاصة لدى الجزائر، وفي الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط. ورغم الصعاب التى اعترضت سبيل فرنسا في ذلك فانها كانت أول دولة تحظى بتمثيل د بلوماسي .

انشاء قنصلية جزائرية بفرنسا ؟

إن الحديث عن التمثيل الد بلوماسي لدى الدول العربية في مطلع العصور الحديثة يكاد يكون ضربا من الخيال . اذ لم تتخذ الد بلوماسية العربية أسلوب التمثيل الد بلوماسي الدائم وسيلة لحل مشاكلها . (3) فما هو وضع الجزائر ؟

---

(1) *BILLIOUD, Le commerce de Marseille ... p. 270*

(2) *BUSQUET (R), " Les origines du Consulat de la nation française à Alger "* in M.I.H.P. 1926 - 1927, Tome III - IV, p. 6

(3) فسر بعضهم امتناع الولايات العثمانية عن التمثيل الد بلوماسي الى العقلية التركية ـ العثمانية التى ميزت العلاقات الد بلوماسية بميزات خاصة، فالشعور بالاستعلاء والافتخار والاعتزاز ازاء الغربيين الناتج عن طبيعتها الحربية وايمانها با لاسلام جعلها تعزف عن ايفاد سفرا عنها الى الخارج ليمثلوا مصالحها . ورأى البعض الآخر أن ذلك يعود لاعتبار الدولة العثمانية نفسها دار جهاد وفي حرب مستمرة مع دول أوروبا .

اذا تفحصنا نصوص المعاهدات ابتداءا بمعاهدة 19 مارس 1619 وهي أول معاهدة سياسية بين البلدين . نجد أن فكرة التمثيل الدبلوماسي للجزائر بفرنسا قد وردت اذ نقرأ ما نصه : " يسمح لديوان وميليشية الجزائر بارسال مقيم دائم بمرسيليا". غير أن هذه المعاهدة والمعاهدات التي تلتها 1628 و1641/ و1666 وغيرها لم تحدد بصورة جلية مهام هذا الموظف ، بل أنها تطلق عليه أحيانا عبارة "الرهين". وهو أمر يستدعي الدهشة ففي حين كانت مهام المبعوث الفرنسي واضحة وهي ادارة شؤون القنصلية ورعاية مصالح حكومته ورعاياه نجد المعاهدات تضفي على الممثل الجزائري صفة الرهين .

ولعل تلك الصفة أي صفة الرهين هي التي جعلت حكومة الجزائر تمتنع عن ايفاد مبعوث عنها مباشرة بعد تلك المعاهدة . وفي 1628 قررت الجزائر تعيين ممثل عنها ليستقر بمدينة مرسيليا ، حسبما جاء في رسالة موجهة من الباشا تعود الى شهر أوت من نفس السنة . (1)

ونفذت الجزائر فعلا ما عزمت عليه اذ عينت أحد ضباط الديوان ويدعى "حمزة" لذلك المنصب . ويذكر بلانتي أن هذا المبعوث ما لبث أن فر من مدينة مرسيليا خوفا من أن يكون مصيره كمصير البعثة الجزائرية في سنة 1620 . (2) غير أنه يتضح مما ورد في احدى الوثائق وهي رسالة موجهة من سانسون نابلون الى الدوق دوكيز أن المبعوث الجزائري لم يفر مثلما زعم بلانتي وانما تعرض لإهانات شتى وانتهى المرسيليون الى طرده في الأخير . (3)
وأثارت هذه الحادثة سخط الديوان وهذا ما يستنتج من نفس الرسالة : "عند وصولي الى هذه المدينة (الجزائر) وجدت الديوان ثائرا على طردكم للرهين ..." (4)

---

(1) *A.C.C.M. J/1877 Correspondance des Consuls de Marseille avec les puissances de la Régence d'Alger,*

(2) *PLANTET, Correspondance, Tome 1, p.*

(3) *Ms. Fr. Lettres écrites à Charles de LORRAINE, Duc de GUISE (1605 - 1638),* Fol. 171

(4) *Ibidem.*

وهكذا انتهت قصة الممثل الجزائري وانتهت معها تجربة الجزائر في التمثيل الدبلوماسي . ويبدو أن هذه الحادثة جعلت الجزائر تمتنع منذ ذلك التاريخ عن ايفاد ممثلين دبلوماسيين دائمين رغم استمرار المعاهدات في النص على ذلك . بل ان معاهدة 1640 نصت على أن يستقر بمدينة باريس. لكن الجزائر ظلت رافضة حالها حال الولايات العربية انذاك ، خاصةوأنها لم تر الضرورة في ذلك لاعتبارات كثيرة منها :

- إن المسلم عموما لم تكن تراوده فكرة الاقامة الدائمة في البلدان الأوروبية اذ كانت تعترضه موانع عدة الدينية منها والاجتماعية والثقافية .

- إن فرنسا لم تهيأ بأي حال من الأحوال الجو للمسلمين عموما والجزائريين خصوصا فرص الاقامة .

- إن التواجد الجزائري بفرنسا وبخاصة في العهد الأول أي القرنين السادس عشر والسابع عشر كان ضئيلا وظل تقريبا كذلك خلال الفترة التى تلتها ، فالتجارة التى كانت وسيلة الاحتكاك بين البلدين لم تكن من نصيب الجزائريين بل فسح المجال لغيرهم.(1) وهكذا حظيت فرنسا بتمثيل دبلوماسي لعب دورا كبيرا في سير العلاقات بين البلدين بينما ظلت الجزائر تعهد الى البعثات الدبلوماسية كلما اقتضت الضرورة . لكن انشاء القنصلية لم يساهم في توطيد العلاقات من جديد بين البلدين واستمرت العلاقات متوترة الى ان اعتلى هنري الرابع العرش.

هنري الرابع واحياء التقارب

كان لتجدد النزاع بين هنري الرابع وفيليب الثاني ملك اسبانيا انعكاسات واضحة على العلاقات الجزائرية الفرنسية .

---

(1) حول هذا الموضوع ، انظر القسم الثاني ، الفصل الخاص بالتجار.

ففـي غضـون احتدام الصراع بين هنري الرابع وفيليـب الثانـي كانت فرنسا تمـر بأزمات خطايـرة في الداخل ، فكان على الملـك استئصـال د برة الثائريـن وإعـادة الأمـن والسلام بعد الحروب الأهلية والدينية التى استغرقـت أربعيـن عاما . (1) ولـم يكن في حوزة ملـك فرنسا القوة الكافيـة للتصدي لاعدائـه في الداخل أوفي الخارج. وكان هنـري الرابع يدرك حينئذ قوة البحريـة الجزائرية مما جعلـه يعمل على احيـاء الصداقـة القديمة التى ميـزت العلاقات في الثلاثيـنات والاربعينـات من القرن . (2)

تمثلت خطتـه بادئ ذي بدء في التقرب من السلطنة العثمانيـة، ليضمن بذلك مساعدة البحريـة الجزائرية . (3) ففـي أفريل 1591 ، بعث برسالـة الى السلطان مراد ، يرجوه فيها بالعمل على مد يد المساعدة في الحرب غير العادلة التى يشنهـا ضده ملـك اسبانيـا . وحينما لم يستجب له السلطان العثماني على الفور، أعرب عن أسفه في عـدم القدرة علـى التصدي لإسبانيا . ويظهر أن الدولة العثمانيـة لم تستجـب لطلب فرنسا الاّ في جويليـة 1593 وهو ما نستشـفه من رسالة السفير الفرنسـي الى هنري الرابع ، اذ جاء فيها أن السلطان العثماني وجه أوامر سلطانية الى حكومـة

---

(1) RAIN (P), *La diplomatie française d'Henri IV à VERGENNES*, Paris, Plon, 1945, p. 8
- MARIEJOL (J.H), *Histoire de France, la réforme et la ligue, (1559 - 1598)*, Paris, Hachette, 1904, p. 20 et sq.

(2) HEINRICH, *L'Alliance* ... p. 159

(3) وفي هذه الحقبـة أيضا ، تعثرت العلاقات العثمانية . الفرنسية بعد وفاة هنري الثالث، وتعطلت العلاقات الدبلوماسية اذ لم يلتحق السفير الفرنسي بمنصبـه . وفي هذه الحقبـة أيضا كانت العلاقات الفرنسية ـ الجزائرية هي الأخرى قـد تعثرت " ـ فرغم الاوامر السلطانية القاضية بقبول القنصـل الفرنسـي 1588 ، فانه لم يلتحـق به قبل 1596.

الجزائر تقتضي بمديد المساعدة الى الحكومة الفرنسية في كل ما تحتاج اليه من قمح وخيول وقوات.

ولم تقتصر مساندة البحرية الجزائرية لهنري الرابع ضد اعدائه في الخارج ، بل كانت أيضا ضد اعدائه في الداخل . فأثناء صراعه مع " les ligueurs " استنجد بها أيضا حيث ورد في رسالة وجهها الى سفيره في اسطنبول : " انني أريد الاستعانة بهم (أي الجزائريين) ضد سكان مدينة مرسيليا الذين شقوا عصا الطاعة ، ويردون تسليم المدينة الى الاسبان ." (1)

فأوكل السلطان العثماني الى الحكومة الجزائرية مهمة التوسط بين ملك فرنسا ورعاياه الثائرين"عليكم بارسال مبعوث الى حكام مدينة مرسيليا ، ليطلب من المرسيليين الامتثال الى ملكهم وأن يكون عصيانهم هذا آخر عصيان وفي حالة رفضهم سينظم الأسطول الجزائري لقوات الملك الفرنسي حتى يسلط لهم عقوبة العصاة" . (2)

وكانت مساندة الجزائريين لهنري الرابع ضد رعاياه المتمردين اساسية اذ دامت حتى اقرار السلام بعد معاهدة فرفين 1598 . (3) بابرام هذه المعاهدة أصبحت العلاقات تسير تدريجيا نحو التصدع والقطيعة . (4)

وهكذا يمكن القول بأن العلاقات الجزائرية – الفرنسية عرفت منذ ثلاثينات القرن السادس عشر الى التسعينات منه ، فترات خصبة من التعاون فكانت البحرية الجزائرية

---

(1) XIVREY (B de), Recueil des lettres et

(2) HEINRICH, L'Alliance ... pp 164 - 165

(3) DUPARC (P), Recueil des instructions données aux ambassadeurs et ministres de France depuis les traités de westphalie jusqu'à la révolution française, Tome 29, Turquie, Paris, 1969, p. XI

(4) HEINRICH, L'Alliance, p. 168.

تقدم دعما نافعا لفرنسا في تصديها للأعداء سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي ، هذا اذا غفلنا على فترات الجمود التى تخللت تلك الحقبة .

وكان أساس هذا التقارب أو الوفاق النسبي ، وجود الخطر الاسباني الذي مثل عدوا مشتركا في تلك الحقبة .

ولاستجلاء خليفات العلاقات خلال القرن السابع عشر - وهو اطار البحث - رأيت من الضروري التعرض بايجاز لخصائص القرن السابع عشر في كلا البلدين على الوجه الآتي :

* الجزائر . وحصرت حديثي عنها فيما يلي :

- عصر الانفصال عن الدولة العثمانية .
- عصر التفوق البحري
- عصر الانفتاح
- عصر الاضطراب السياسي :

* فرنسا

- عصر النهوض بالبحرية .
- عصر مجابهة أوروبا .
- عصر الاضطراب الداخلي .

* **الجـزائر**

- 1 - عصر الانفصـال عـن الدولـة العثمانيـة :

لعل من أهم الملامح البارزة للجزائر خلال القرن السابع عشر ، هو اتخاذ الحكومة الجزائرية سياسة خارجية مستقلة . فلم يعد تعاملها مع دولة ما مرهون برأي الدولـة العثمانيـة، حيث أصبحت تسالم من تشاء وتحارب من تشاء، وتبرم الاتفاقيـات الثنائيـة بمحض إرادتها . (1) وهذه الاستقلاليـة نلاحظها مع حلول القرن السابع عشر وأوضـح مثـال يمكن ذكره بهذا الصدد هو اخفاق مساعي الدولـة العثمانيـة التي استهدفت حمل الحكومـة الجزائرية على ارجاع الحصن سنة 1606 ، كما وتمثل ثورة الأغوات 1659 مرحلـة حاسـمة في ذلك . (2)

وكانت العلاقـة بين الجزائر والدولة العثمانيـة تنحصر في مد يد المساعدة كلمـا اقتضـت الضرورة . فشارك الأسطول الجزائري مرات عديدة الى جنب الاسطول العثمانـي (3) وهذه المساعدة نفسها كانت مرهونـة بأوضاع البلاد .

* 2 - **عصـر التفـوق البحري** :

بحلول القرن السابع عشر يحل عصرا جديدا للبحريـة الجزائريـة ، اذ عبر البحارة الجزائريون المحيط الأطلس الى جزر الأسور AÇORES بل وصلو الى اسلنـدا والبلطيـق . (4)

---

(1) *LETOURNEAU (R), La régence dt Alger et le monde turc*, 4° numéro spécial de l'Ecole Républicaine, Année 1953 - 1954, p.60

(2) سيأتي الحديث عن النقطة بشيء من التفصيل عند الحديث عن عصر الاضطراب السياسي.

(3) الآنسة بوحمـوش نعيمة بصدد اعداد رسالة ماجستير حول مساهمـة الأسطـول الجزائري في حروب الدولة العثمانية . (جامعة الجزائر) .

(4) *BRAUDEL (F), "L'économie de la Méditerranée au XVIIè siècle "* in <u>C.T.</u> 1956, p. 178

واستطاعت الجزائر بفضل هذه القوة أن تسيطر سيطرة تكاد تكون كلية على الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط . فأصبحت الجزائر مثلما ذكره صاحب تحفة الجزائر.
" ... كانت لها اليد الطولى في البحر الرومي وكانت بعوثها وغوازيها كثيرا ما تسم الثغور الافرنجية بالخسف والدمار ..." (1)

ويجمع مؤرخو الجزائر ، على أن هذه الحقبة التاريخية تمثل العصر الذهبي للبحرية الجزائرية . (2) فلم ينقض العقد الثاني من القرن السابع عشر ، حتى بلغت البحرية الجزائرية قوة خارقة ، الأمر الذي أثار دهشة ـ السفير الانكليزي كوتنغهام " COTTINGHAM " الذي كان في البلاط الاسباني فقال : " إن قوة وجرأة قراصنة شمال افريقيا هما الآن على هذا النحو من الضخامة سواء في البحر الأبيض المتوسط أو في المحيط الاطلسي ، وأشهد أنني لم أعرف في حياتي شيئا قد جلب الى البلاط الاسباني الأسى العميق ، والخراب الكثير غير هؤلاء القراصنة " (3)

أما صالفاقو ، فقد ذكر انه كان في حوزة الجزائر حينما زارها مائة (مئة) سفينة دائرية من ضمنها ستون سفينة كبيرة كل واحدة منها مجهزة بثلاثين مدفعا ، وطاقم كل واحدة منها يتراوح عدد أفراده مابين مئة ومئتين (4)

---

(1) عبد القادر الجزائري ، الأمير محمد : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، شرح وتعليق ، ممدوح حقي ، بيروت ، دار اليقظة العربية ، 1964 . ص 126 .

(2) حول موضوع البحرية الجزائرية انظر :
- BELHAMISSI, (M), *Histoire de la marine algérienne, 1516 - 1830*, Alger, E.N.A., 1983

(3) نقلا عن : وولف ، ج ، الجزائر وأوروبا ، ترجمة وتعليق الأستاذ الدكتور : أبو القاسم سعد الله .
أوجه خالص شكري وتقديري للدكتور سعد الله الذي وضع بين يدي هذا الكتاب قبل أن يطبع .

(4) GRANDCHAMP , " *Une mission délicate en Barbarie, Jean Baptiste SALVAGO* " in R.T. 1937, 2ème partie, pp 471 - 472

وفي 1634 حسبما أورده الراهب" دان " ، فان الاسطول الجزائري كان يتشكل من سبعين وحدة منها ماهو مسلح بخمسة وعشرين مدفعا ومنها بأربعين مدفعا . (1)
واستمرت الجزائر محافظة على هذه القوة حتى حلول النصف الثاني من القرن، اذ نوه " لاكروا " بأن البحرية الجزائرية لايمكن أن تضاهيها بحرية أية دولة أخرى . " لا وجود لبحارة أقوى من البحارة الجزائريين لقد انطلقوا في البحر سنة 1656 بثلاث وعشرين سفينة ، يتراوح تسليح كل واحدة منها بين ثلاثين وخمسين مدفعا ، ويصل طاقم بعضها الى اربعمائة شخص (2)

غير أنه يتضح من خلال ما أورده أرفيو أن عدد وحدات الاسطول قد تناقص في السبعينات. فلم يعد يتجاوز ثلاثين سفينة ذات أحجام مختلفة (3) .

وفي احدى الوثائق تعود الى 1681، فإن قطع الاسطول لم تعد تتجاوز تسعة عشر سفينة، معظمها مجهز باثنين وأربعين مدفعا، ويتراوح عدد أفراد طاقمها بين مئة واربعمائة . مما جعل عدد الجيش البحري يفوق ثمانية آلاف ومائتين وخمسين رجلا . (4)

3 — عصر الانفتاح والتنافس:

من خصائص القرن السابع عشر على الصعيد الخارجي اتساع نطاق تعامل الجزائر فلم تعد فرنسا الطرف الوحيد الذي تتعامل معه بل أشتمل كذلك انكلترا وهولاندة

---

(1) DAN (le père), *Histoire de la Barbarie et de ses corsaires*, Paris, Pierre Rocolet, MDCXLIX, p. 315

(2) LACROIX (le sieur de), *Relation universelle de l'Afrique ancienne et moderne*, Lyon, Thomas Amawly, 1688, tome 2, pp 74 - 75

(3) ARVIEUX (Ch d'), *Mémoires du chevalier d'ARVIEUX*, mises en ordre par le P. LABAT, Paris, Delespine, 1735, Tome V, pp 264 - 265.

(4) A.C.C.M. E 53, *Pirates barbaresques, 1673 - 1792, rôle des vaisseaux d'Alger, daté de 1681.*

كدولتين تجاريتين وكانتا الاثنتان قد شقتا الطريق بغية الانفراد بالتجارة الدولية وخاصة التجارة مع المشرق بتأسيسها للشركات التجارية الكبرى ذات التنظيم المحكم كشركة الهند الشرقية البريطانية.

ومنذ عهد هنري الثامن فتحت انكلترا سياسة التوازن الأوروبي والتي جعلتها في صراع ضد القوى الأوروبية بهدف السيطرة والهيمنة على البحر الأبيض المتوسط بعد أن أصبحت تدرك فائدته الاستراتيجية. ومما دفعها على التفكير في توطيد مركزها في البحر الأبيض المتوسط صراعها مع اسبانيا في عهد فيليب الثاني. (1) فسعت الى التقرب من الدولة العثمانية. وكللت مساعيها بالتوفيق، اذ رحب السلطان العثماني بالتجار الانكليز في أقاليم الدولة العثمانية جمعاء. (2)

ومنذ الثمانينات من القرن السادس عشر دخل الانكليز البحر الأبيض المتوسط ولم يلق تجار منهم أو بحارة أية صعوبات خاصة وأن انكلترا كانت في حرب مع عدو الجزائر التقليدي، اسبانيا لقد أضحى الانكليز حلفاء طبيعيين للرياس الجزائريين في تلك الحقبة. (3)

كما تمكنت انكلترا من اعتماد قنصل عنها لدى الحكومة الجزائرية في 1581 وهو جون تيبتون" John TIPTON "

ومع مطلع القرن السابع عشر ظهر الهولانديون في البحر الأبيض المتوسط، بعد أن آمنوا شر الاسبانيين بفضل المعاهدة التي وقعت بينهما سنة 1609. (4)

---

(1) BELOT (R), *La Méditerranée et le destin de l'Europe*, Paris, Payot, 1961 pp 75 - 76

(2) الشناوي، محمد عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها، القاهرة مكتبة الانجلو مصرية، 1980. الجزء الثاني، ص ص 715 ـ 716.

(3) وولف، الجزائر وأوروبا، ص 143.

(4) نفسه .

وكان اصطدامهم بالبحارة الجزائريين منذ الوهلة الأولى ، وتتكبّد الهولانديين من جراء ذلك خسائر معتبرة ، فبلغت خسائر العقد الأول من تواجدهم في البحر الأبيض المتوسط أربعين سفينة ، مما دفع بهولاندا الى التفاوض رأسا مع حكومة الجزائر في 1622 . ولم تتمكن هولاندا من ابرام المعاهدة الا بعد الحملة العسكرية التي وجهتها ضد مدينة الجزائر في 1622 بقيادة لامبير نرهور . (1)

ومما لاريب فيه أن ظهور انكلترا وهولاندا كمنافستين خطيرتين قد أثر تأثيرا بالغا على العلاقات الفرنسية ـ الجزائرية . اذ أصبحت الامتيازات التي احتكرتها فرنسا وحدها خلال معظم القرن السادس عشر ، محل تنافس ثلاثي ـ فرنسي ـ انكليزي ـ هولاندي . (2)

4 ـ عصر الاضطراب السياسي :

إن أهم ما يميز الحياة السياسية خلال هذه الحقبة هو التغييرات الخطيرة التي عرفها النظام السياسي حيث مرّ بثلاثة انواع من الأنظمة انتقل الحكم اثناءها الى ثلاث قوى متميزة ممثلة في الباشا أولا وفي الآغا ثانيا وفي الداي ثالثا .

مرحلة الباشوات :

بارتباط الجزائر بعاصمة الخلافة أصبح تعيين الولاة ، بالولايات التابعة لها من صلاحيات السلطان العثماني وحده . عرف الولاة الأوائل بالبيلربايات . (3)

---

(1) نايت بلقاسم ، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 . قسنطينة ، دار البعث ، 1985 . ص:

(2) لم تتمكن فرنسا خلال الفترة الممتدة من 1604 الى 1673 من تجديد معاهدة الامتيازات . في حين كان المتعارف عليه . أنه يتم ذلك كلما ارتقى سلطان جديد بينما تمكنت انكلترا من الحصول على ذلك سنة 1625 ، وتفسر البرودة التي اعترت العلاقات الفرنسية ـ العثمانية مباشرة بعد وفاة هنري الرابع ، بالتقارب الذي حدث بين فرنسا والنمسا خلال فترة حكم الملكة ماري دمتشي .

(3) إن لقب بايلرباي ليس سوى لقب شرفي ولم يحظ به كل الولاة الذين تولوا الحكم في الفترة الممتدة من 1519 الى 1583 . تنتهي هذه المرحلة رسميا بمغادرة علج علي الجزائر سنة 1571م .

تمتد فترة حكمهم من 1519 الى 1583 وهي تبدأ بحكم خير الدّين وتنتهي بحكم علج علي .

وبعد الهزيمة التى أحلت بالدولة العثمانية أمام الجبهة المسيحية في معركة لبانتو، قررت استبداله بنظام الباشوات وحددت فترة حكمهم بثلاث سنوات(1)

يمثل الباشوات من الناحية النظرية السلطة الفعلية والرسمية للدولة العثمانية لكن التحاقهم بالجزائر يجعل سلطتهم مقيدة بالقوى المحلية ممثلة في طائفة الأوجاق(2) وفي الديوان الكبير(3) وفي الديوان الصغير. (4)

لكن الصراع بين ممثلي السلطة العثمانية، والقوى المحلية لم يظهر جليا الا بحلول القرن السابع عشر حينما أصبح الباشا يمتنع عن دفع جرايات الجند كلما حان ميعادها .
فأصبح الباشا في صراع دائم مع الانكشارية وأضحى دفع الأجور معضلة أساسية بالنسبة للباشوات. (5)

---

(1) يعزو بعضهم هذا التغيير الى السفراء الفرنسيين الذين كانوا بالمرصاد لإستقلالية حكام ايالة الغرب التى كانت تضم طرابلس وتونس والجزائر.

(2) كلمة الأوجاق تركية الأصل وتعني موقد النار. (المعنى الحرفي للكلمة) تاريخيا تعني المنظمة العسكرية المتكونة من الأتراك، فهي الهيئة الخاصة بالانكشارية.

(3) الديوان الكبير، مجلس استشاري يترأسه الآغا يتشكل من أربعة وعشرين آياباشي ، ومجموعة البولكباشية وممثلين عن مجموعة الاوضاباشيلا وآخرون عن مجموعة المعزول آغا كما يحضره أيضا ممثلون عن طائفة الرياس. والعضوية في هذا المجلس أكثر شمولية منها في الديوان الصغير فهو يضم مختلف الموظفين السامين في الأوجاق فضلا عن نسبة كبيرة من العلماء وممثلين عن الأعيان. مع النصف الأول من القرن السابع عشر تحولت هذه المؤسسة الى أحد أجهزة الدولة بعد أن جهاز خاص بالأوجاق، مما سمح له بعد ذلك بانتزاع السلطة نهائيا من الباشوات. أنظر :
- BOYER, " *Introduction à une histoire intérieure de la Régence d'Alger*" in R.H. 1966, p. 301

(4) الديوان الصغير ، يرأسه الباشا ، يضم كبار رجال الانكشارية ورياس البحر وبعض الموظفين الاداريين وهو صاحب السلطتين التشريعية والتنفيذية، فمن صلاحياته وحده اتخاذ القرارات يبلغ عدد اعضاء هذه الهيئة حوالي خمسين عضوا. والباشا هو صاحب النفوذ المطلق، وبضعف سلطة الباشا تضاءلت أهميته.

(5) BOYER (P), " *Des Pachas triennaux à la révolution d'Ali Khodja Dey*" in R.H. 1970, p. 101.

يسجل العجز المالي الذي أصبح يعاني منه الباشوات منذ 1620. أمام هذا الوضع أصبح كل باشا يجد نفسه عاجزا عن الدفع يستلف من خزينة الدولة شرط أن يرجع تلك السلفة قبل أن تنقضي فترة حكمه. (1)

لقد سنحت هذه الأوضاع لفرقة الانكشارية ممثلة في الديوان الكبير أن تسيطر على الأوضاع حيث كانت كلما أبدى الباشا امتناعه عن دفع جرايات الانكشارية تقوم بسجنه مثلما فعلته مع الباشا يوسف في 1642 والباشا محمد بوريشة سنة 1644 وكانت نهايتهما الطرد الى اسطانبول. ولم يستطع الباشا علي هو الآخر الاستمرار في الحكم أكثر من سنة واحدة وعزل في سنة 1645.

وفي هذه السنة قررت طائفة الانكشارية انتزاع الصلاحيات المالية من الباشوات وأناطتها لطائفة الرياس باعتبارها أغنى فئة.

وقد عاصر الراهب هيرولت" P.HERAULT " الذي جاء ليتفاوض بشأن الأسرى ، هذه الأحداث فهو لم يتفاوض مع الباشا الحاكم عندئذ ، بل تفاوض مع زعيم طائفة الرياس وهو علي بتشتين ، ومعه تم الاتفاق. وتبرز لنا التسمية التى أعطيت للرايس بتشيين أنه كان الحاكم الفعلي : Gouverneur et Capitaine Général de la Mer et Terre d'Alger

على أن لجوء الانكشارية الى نظام الوالي الراتب - أو " d'Rais Payeur " لم يكن سوى حلا مؤقتا ، اذ لم ترض به طائفة الرياس . رغم الحاح الاغوات على ابقائه واسترجع بذلك الباشوات الصلاحيات المالية. (2)

---

(1) BOYER (P), *" Alger en 1645 d'après les notes du R.P.Hérault"* in R.O.M.M. 1970, p. 101

(2) *Ibidem*

الثورة النداعية = ثورة الآغوات : 1659

لم تضع محاولة 1645 حدا للصراع القائم بين الأغوات والباشوات فقرر الأوجاق في 1659 الاستيلاء على زمام الحكم .. اذ ثارت فرقة البولكباشية وأعلنت عن تعيين البولكباشي أغا وأوكلت اليه مهمة جباية الضرائب وتأدية رواتب الانكشارية . (1) وكان أول حاكم عين لمنصب الآغا الحاكم هو خليل آغا والذي اغتيل بعد سنة من توليه الحكم وخلفه رمضان آغا ويبدو أن الأمور هدأت في عهده نسبيا ، اذ لأول مرة يسجل قبض الانكشارية لجراياتها في أوانها ، ومع هذا لم يستمر في منصبه أكثر من سنة واحدة ، وتم اغتياله من طرف الانكشارية . (2)

وخلفه شعبان آغا الذي كان أكثر حظا من سالفيه حيث دام حكمه خمس سنوات بفضل مساندة جماعة الأوضاباشية له ، غير أنه ما لبث أن خلع وخلفه الحاج علي .

أحدث هذا الأخير تغييرات خطيرة فكان أول عمل قام به هو الانتزاع الصلاحيات الادارية من الباشا وأضفى على نفسه لقب الحاكم ولم ينج هو الآخر من تسلط الانكشارية فاغتالته (3)

ظهور الدايات 1671 .

عقب اغتيال الآغا الحاج علي لاضطرابات خطيرة جعلت الانكشارية تلجأ من جديد الى طائفة الرياس ووقع اختيارها على أحد الرياس يدعى تركي ، ومنحته لقب الداي بمعنى الحامي (4)

---

(1) *BOYER, Alger en 1645 ..., pp 19 - 20*

(2) *BOYER, " Introduction ... " p. 307*

(3) *Ibid. , p. 308*

(4) *Ibidem.*

لكن هذه التطورات لم تحل دون الباب العالي في الاستمرار في تعيين الولاة الذين ظلوا يعرفون بالباشاوات ، غير أنه ابتداء من هذا التاريخ (1671) أضحى وجودهم صوريا وأصبحت سلطتهم لا تتعدى حق حضور جلسات الديوانين الكبير والصغير إلى أن رفضت حكومة الجزائر استقبال المبعوث العثماني سنة 1710 بينما احتفظ الآغا بمنصبه ووظيفته الأصلية وهي رئيس الانكشارية . وأصبح الداي المنتخب رئيسا وخوّل له هذا المنصب السلطة المطلقة .(1)

(1) WATBLED (E), " *Pachas et Pachas - Deys* " in R.A., 1873, p. 441

* فـرنسـا

1 ـ عصر النهوض بالبحرية :

إلى غاية مطلع القرن السابع عشر لم تكن البحرية الفرنسية ذات اعتبار يذكر فلم يتمكن هنري الرابع من رفع شأنها . ورغم وصول ريشيليو الحكم والحماس الذي باشر به عملية النهوض بالبحرية وتطويرها فإنها ظلت ضعيفة، حيث لم يتجاوز عدد بوارجها واحدا وعشرين،(1) لكن ريشيليو استطاع أن يدفع البحرية الفرنسية الى الأمام بعض الشيء اذ أصبح الأسطول الفرنسي قبيل وفاته يتشكل من ثلاثة وستين سفينة واثنتين وعشرين بارجة (Galères) محكمة التجهيز. (2)

بلغت التكاليف المالية لهذه الاصلاحات أربعة ملايين وثلاثمائة ألف فرنك (   ) ، فضلا عن مليونين سخرت للاصلاحات العاجلة للموانئ سنويا . غير أنه بوفاته عرفت البحرية من جديد ضعفا واضحا وأصبحت قوة فرنسا البحرية مع مطلع حكم لويس الرابع عشر لا تتضمن على أكثر من عشرين عمارة "Batiments". (3)

لكنه بحلول 1661، وبعد ابرام معاهدة البيريني عرفت البحرية الفرنسية عهدا جديدا، بفضل مجهودات كولبير الذي عزم على إعادة مجد وشرف المملكة" في البحر. (4)

وكان مازاران هو الآخر متحمسا للنهوض بالبحرية قصد التصدي للبحرية الجزائرية. (5)

ورغم مختلف المحاولات التى بذلت، ظلت البحرية الفرنسية حتى النصف الثاني من القرن ضعيفة وهو ما يتضح من تقرير كولبير المؤرخ في 1664. " إن قوة الملك البرية لا تضاهيها أية قوة أخرى في أوروبا لكن قوته البحرية ضعيفة." (6)

---

(1) MASSON (P), *Les galères de France, Marseille, port de guerre (1481 - 1781)*, Paris, Hachette, 1938, p.

(2) MEMAIN (R), *Le matériel de la marine de guerre sous Louis XIV (1666 - 1690)*, Paris, Hachette, 1936.

(3) *Ibidem.*

(4) p. 4

(5) *Ibid.* p. 5

(6) *Ibid.* p. 16

2 _ عصر مجابهة أوربا :

تركزت سياسة فرنسا الخارجية في هذه الحقبة في الدفاع عن حدودها وفي التصدي لعائلة الهبسبورغ، التي استحوذت على العديد من مقاطعاتها فلم تكن مساحة المملكة الفرنسية في/ العقد الثاني من هذا القرن تضم أكثر من أربعة أخماس مساحتها الحالية فالشريط الشرقي الذي يضم الأرتوا ومنطقة الفلاندر والألزاس واللورين والفرونش كونتي والساقوا ونيس كانت كلها تحت الهيمنة الاسبانية . (1)

إن شعور فرنسا بعدم إكتمال وحدتها جعل السمة البارزة لسياستها الخارجية هي محاولة القضاء على سيادة آل الهبسبورغ . فخاض ملوكها حروبا عديدة . وظلت فرنسا في موقف المواجهة حتى 1661 حينما استطاع الملك لويس الرابع عشر أن يضمن المملكة الفرنسية وضعا ممتازا بإبرامه لمعاهدات ثلاث . معاهدة وستفاليا، ومعاهدة البيرني، ومعاهدة أوليفة . (2) ومنذ ذلك التاريخ فتح لويس الرابع عشر سياسة الحروب. فكانت حرب الوراثة في الأرض المنخفضة 1667 _ 1668 ثم تلتها حربه مع هولاندا (1672 _ 1679)، ثم حربه مع الجبهة الأوروبية والتي عرفت بحرب البلاثين أو عصبة أوغسبرغ . (1688 _ 1697) .

---

(1) HANATOUX (G), *La France, la Royauté avant RICHELIEU*, Paris, Nelson, SD, p.1

(2) PRECLIN (Ed), TAPLE (V), *Le XVIIè siècle, Les monarchies centralisées 1610 - 1715*, Paris, PUF, 1943, p. 323
أوليفة : مقاطعة في بولونيا . وابرمت معاهدة أوليفة في 1660 تنازل فيها حاكم بولونيا لملك السويد على تبنيه بروسيا الشرقية.

- حرب الوراثة في الأراضي المنخفضة : (1667 - 1668) .

فتحت وفاة ملك اسبانيا فيليب الرابع المجال للويس الرابع عشر للمطالبة بحقه في عرش اسبانيا مع أنه تنازل عن ذلك رسميا في معاهدة البيريني .

هاجم لويس الرابع عشر اسبانيا واستطاع أن يحقق نجاحا كبيرا ضدها . ولم تتمكن . من رد الهجوم لانهماكها في قمع ثورة البرتغال ، حتى تدخلت الدول الأوروبية الى جنبها فتشكل الحلف الثلاثي الذي ضم هولاندا والسويد وانكلترا واضطر لويس الرابع عشر إثر ذلك إلى القبول بالتفاوض" بأكس لاشبيل " سنة 1688 . (1)

- الحرب مع هولاندا : (1672 - 1679) .

اتخذ الصراع طابعا اقتصاديا في بداية الأمر فبعد حرب الأسعار التى شرع فيها كولبير ضد السلع الهولاندية ، قرر الهولانديون بدورهم في 1667 ضرب الحصار على البضائع المستوردة من فرنسا وتطورت هذه الحرب حيث اتخذت طابعا دينيا ، خاصة وأن لويس الرابع عشر كان يرى في هولاندا قلعة المذهب البروتستنتي ومركزا للدسائس مع البروتستنتانت الفرنسيين . (2)

---

(1) البطريق ، ع ونوار ، ع ، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، بيروت ، دار النهضة العربية ، 1974 .

(2) *PRECLIN, Le XVIIè siècle ..., pp 328 - 329*

انتهت الحرب بمعاهدة نيماق "

- عصبة أغسبرغ (1688 - 1697) : (1)

تشكل حلف اغسبرغ لمواجهة السياسة الهجومية والعدوانية التي نهجها لويس الرابع عشر بعد معاهدة نيماق. ومما زاد في تألب أوروبا ضد الملك الشمس الغاؤه لمرسوم نانت فثارت مختلف الدول البروتستانتية ضده .

وأصبحت فرنسا ابتداء من 1690 في موقف المواجهة بعد أن عزم أعداؤها ووضعوا نصب أعينهم هدفا واضحا ، وهو أن تعود فرنسا الى حدودها التي كانت عليها حوالي 1559. (2)

وكانت هذه الحرب مدمرة لجميع الأطراف المشاركة لما تتطلبته من تكاليف ورغم الانتصارات التي أحرزت عليها فرنسا في بادئ الأمر ، فانها منيت بهزيمة كبيرة في 1692.

وانتهت الأطراف المحاربة بعد الخسائر التي ألحقت بها الى إيقاف الحرب بابرام معاهدة ريسويك "RISWIK" 1697.

3 - عصر الاضطراب الداخلي :

إن أكبر مشكل واجهته فرنسا كان مشكل الهيجونوت" HUGUENOTS " . فلم يضع مرسوم نانت " Edit de Nantes " الذي أصدره هنري الرابع في أفريل 1598

---

(1) تعرف هذه الحرب عند الألمان بحرب " أرليون " ، وعند الانكليز بحرب تسع سنوات .

(2) *COURVISIER (A), La France de 1492 à 1789*, Paris, PUF, 1972, p/ 204

حـدا للخلافات المذهبيـة . (1) وأصبحت حكومـة لويس الثالث عشر في صراع مع هذه الطائفـة . حيث نهـج دي ليونـس DE LUYNES سياسـة كاثوليكية موجهة ضـد البروتستانت ترتب عن ذلك تمرد الهيجونـوت . (2)

وبوصـول ريشيليـو الحكم قرر أن يقضي على هذه الطائفـة باعتبارها عقبـة كبرى فـي وجه الملك ، وجودها بتلك القوة يحول دون القيام بأية حركة في الداخل أو في الخارج . ومما جعلها تظهر بهذا الشكل من الخطورة علاقاتها ببقيـة البروتستانت بألمانيـا وهولاندة ومساندة الانكليـز لها .

بدأت ثورة الهيجونـوت في 1625 باستيـلائهم على السفن التى صنعها الكاردينال ريشيليـو التى كانت بمثابـة النواة الأولى للاسطول الفرنسي (3) على أن الثورة العارمة انطلقـت من ميناء لاروشيـل قلعة البروتستينـت . وعمت الثورة بعدها مختلف مقاطعات فرنسا ، ولم يستسلـم الثوار الا بعد سنة من حرب دامية . (4)

واشتـد الصراع أيضا بين طائفـة الهيجونوت ولويـس الرابـع عشر بعدما أعلن عـن إلغائـه لمرسـوم نانت . وهذا كان سببا في حرب اغسبـرغ كما سبقـت إليـه الاشارة .

---

(1) أحرز الهيجونـوت بفضل هذا المرسوم على حقوق وامتيازات جعلت الكاثوليك ينظرون إليهم نظرة حقد . وكان هذا المرسوم سببا أساسيـا في النهاية المؤسويـة الـتى عرفهـا هنـري الرابـع . اذ رأى فيه المعارضـون اقرار دولـة بروتستنتيـة داخل دولة كاثوليكيـة .

(2) *PRECLIN, Le XVIIè siècle ... p. 145*

(3) البطريـق ، التاريخ الأوروبـي ، ص

(4) *GAXOTTE (P), Histoire des Français, Tome II*, Collection de l'Histoire Paris, Flemmarion, 1951, p. 167

كما واجهت فرنسا في هذه الحقبة أيضا أزمة خطيرة تمثلت في حرب الفروند (1648 ـ 1651) . يرى فيها الكثير من المؤرخين ثورة فاشلة اذ كان زعماؤها على رأسهم الاشراف يستندون الى برنامج سياسي ودستوري يهدف إلى الحد من نفوذ السلطة الملكية . (1)

استمرت هذه الثورة خلال خمس سنوات تسببت في اضطرابات كبيرة دون أن تحقق ما كانت تهدف إليه وانتصرت السلطة الملكية

هذه كانت أهم الأحداث التي ستؤثر على مجرى العلاقات بين البلدين .

(1) **COURVISIER**, *La France .... p. 152*

القسم الأول : العلاقات السياسية

(1694 - 1619)

الفصل الأول : بين السلم والحرب (1619 - 1660)

مخطط الفصل :

- وضع العلاقات قبل 1619
- نحو وضع جديد
- السلام العابر

تسوية الخلاف : بين الدبلوماسية والحرب

وضع العلاقات قبل 1619

إن التقارب الذي فرضته أوضاع الطرفين وهو محاربة إسبانيا، العدو المشترك، لم يعد ما يبرره مع نهاية القرن السادس عشر نظرا لما طرأ على السياسة الفرنسية والسياسة العثمانية من تغيرات.

ففرنسا استطاعت أن تفرض على اسبانيا معاهدة فرفان "[illegible]" سنة 1598 بفضلها قضت على أحلام فيليب الثاني .(1) وتلت هذه المعاهدة وفاة فيليب الثاني التي سمحت بتقرب فرنسا من اسبانيا .

كما أن حدة الصراع بين الدولة العثمانية واسبانيا أصبحت تسير نحو التلاشي ، ترتب عن هذا الوضع السياسي أن أصبح كل طرف في غنى عن الآخر. وكانت القطيعة أمرا لا يمكن تفاديه . وفي خضم هذا الجو نشبت خلافات عديدة بين الجزائر وفرنسا تسببت في أزمة خطيرة أدت الى قطيعة دامت ربع قرن .

ومرد هذه الأزمة حادثتان وهما : حادثة حصن فرنسا ، وحادثة سيمون دونصا " [illegible] " ، اللتان كانتا بمثابة الفتيلة التى أضرمت نار الحرب بعد أن كان الجو السياسي مهيأ لها .

---

(1) RAIN, *La diplomatie ... p.10*

حـادثـة حصـن فرنسـا : (1)

تصدعـت العلاقات بين الجزائر وفرنسـا بعد مضي أيام قلائل على تاريـخ تجديـد وتأكيـد فرنسـا لامتيازاتـها لدى الدولـة العثمانيـة بتاريخ 30مايو 1604، بفضل مجهودات سفيـرها الشهيـر شـقاري د وبريق . (2)

كـان تدمـير مركز المؤسسات الفرنسيـة أو الحصن مـن طرف الحكومة الجزائرية في يونيو 1604 السبب المباشر لذلك ، فلماذا دمّر هـذا وكيـف ؟

ذهب جل المؤرخيـن الغربييـن الى أن الدافع الأساسي في ذلك هو تذرع الجزائرييـن بمجاعـة أصابت البلاد . (3) على أن المتفحـص لهذه الأحـــداث يـلاحظ أن جوهر الأزمـة يعود الى سبـب واضح وهو عـدم احترام الشركـة الفرنسيـة للاتفاقيـات التى تنص على أن يقتصـر نشاطها على صيد المـرجان، لكن الشركـة لم تـعر أدى احتـرام لها ، فتجاوز نشاطها صيـد المرجـان الى شراء الحبـوب بأسعـار زهيدة لتصدره الى مرسيليـا جانية في ذلك أرباحـا طائلـة ، متجاهلـة أوضاع البلاد المصيبـة ، خاصة وأنـه في هـذه الأثناء عرفـت الناحية مجاعة خطيرة

(1) حول تاريخ الحصن انظر، الفصل الخاص بالشركات التجارية في قسم العلاقات التجاريـة .

(2) تعتبر معاهدة 1604 من المعاهدات البارزة في تاريخ العلاقات الدبلوماسيـة العثمانيـة الفرنسية . فبفضلها حصلت فرنسا على ضمانات خاصة فيما يتعلـق بالايالتين التونسية والجزائرية اذ أقرت من جديد حق الفرنسيين في صيـد المرجان والسمك البند 25 . كما أعطت لها حق معاقبة ومطاردة "المغاربة فـي حالة تعديهم على الشواطيء الفرنسيـة . كما أعلنت على أنها لن تتخلى عن الصداقـة القائمة بين الامبراطوريتيـن بسبب هذه التعديات البند 14 كمـا تعهدت أيضا بحمايـة فرنسا من تعديـات الجزائريين "اذ استمـر الجزائريون في تعدياتهم على الفرنسيين سنتخذ الاجراءات الضرورية مجرد علما بذلـك . البنـد 13.

(3) *HEINRICH, L'Alliance ... p. 188*

هددت حياة السكان . وكانت المخالفات الحديدة التى ارتكبها مراساك من العوامل الأساسية في تذمر وسخط السلطات المركزية والمحلية معا .

فعزمت الحكومة الجزائرية على وضع حد لهذه المبالغات وأوعزت الى الحامية المتواجدة بمدينة عنابة بتخريب الحصن وحجر موظفيه .

ومن ثم فان ما يمكن أن نستخلصه من رد الفعل الجزائري سواء كان على المستوى الرسمي مجسدا في الباشا والديوان والجيش، أوعلى المستوى المحلي الشعبي هو أنه د فعل طبيعي بل وطني ، ضد أقلية أجنبية بالغت في استغلالها لخيرات البلاد ولم تحترم نصوص الاتفاقيات(1)

اعتبر الملك الفرنسي هذا الحادث اهانة لشرف فرنسا وأكد على اصلاحها فورا . وأمام هذا الوضع لم يجد بدا من الاحتجاج لدى الباب العالي ومن جملة ما تقدم به الى السلطان العثماني ، اعادة بناء الحصن، وتعويض سائر الخسائر التى ألحقت بالتجار الفرنسيين (2)

وبعد مرور سنة على الحادث ، ونتيجة إلحاح فرنسا ، انتهى الباب العالي الى ايفاد المبعوث الآغا "محمد خوجة" لتسوية الخلاف سنة (3).1605

---

(1) وطني : قد يرى البعض أن استعمال كلمة وطني سابق لأوانه . وفي الحقيقة لم أجد الكلمة التى قد تعبر عن الموقف الجزائري سواها . وقد ذهب الى هذه الفكرة أيضا مارسيل إمريت .

(2) *XIVREY, Recueil des lettres ... tome VI, p.688*

(3) EMERIT (M), " *Au temps de Saint Vincent de Paul : la mission de SAVARY DE BREVES en Afrique du Nord* " in R.F.H.O.M. 1965 - 1966, p

ورغم أسلوب العنف الذي اتخذه ، اذ قام باغتيال الباشا خيضر ، وحجز ممتلكاته . (1) فإن سفارته لم تسفر عن أية نتيجة .

مفاوضات د وبريق :

بعد فشل المبعوث العثماني في تسوية الخلاف أوكلت فرنسا مهمة التفاوض الى سفيرها " سقاري د وبريق " المقيم باسطنبول عندئذ ، آرفقه السلطان بمبعوث خاص " الخوجة مصطفى " الذي زود بفرمان سلطاني يقضي باحترام وتنفيذ ما نصت عليه معاهدات الامتياز والامتثال الى مطالب فرنسا أيضا . (2)

فما إن انتهى من مهمته في الايالة التونسية ، حتى أقلعت سفينته في اتجاه الجزائر. وكان وصوله الى المياه الجزائرية أواخر شهر سبتمبر من سنة 1606م. ورغم حفاوة الاستقبال التى حظي بها على متن سفينتة اذ قدم له ما لذ وطاب مثلما يذكر هو نفسه ، لم يؤذن له بالنزول فور وصوله (3) بينما يسمح " للخوجة مصطفى " بمغادرة السفينة . تكلف هذا الأخير بتقديم فحوى مطالب المبعوث الفرنسي لكن بمجرد استماع الديوان الى مطالبه ، أعلن عن عدم إمتثاله لأوامر السلطان وثارت ثائرته ضد المبعوث العثماني . وإذا صدقنا رواية د وبريق فهو الآخر كانت حياته مهددة من طرف مدافع المدينة . وظل د وبريق ملازما

---

(1) EMERIT, " La mission ... " p.

(2) DE BREVES (Le sieur), *Relations des voyages de M. de BREVES tant en Grèce, terre sainte et Egypte qu'aux Royaumes de Tunis et d'Alger*, Paris, Gasse, 1628, p. 365

(3) *Ibid.* p. 373

سفينته ما يزيد عن شهر . ولم يمنح له رخصة النزول الا بعد تدخل الرايس مراد لدى الديوان. (1)

ولم تسفر مفاوضات المبعوث الفرنسي هي الأخرى عن أي نتيجة بالنسبة لفدي الأسرى ولا فيما يخص إعادة بناء الحصن، رغم أسلوب الرشوة الذي لجأ اليه، اذ رشى بعض الرجال البارزين في مجلس الديوان عسى أن يحظى بدعمهم . (2)

أرجع إمريت مارسيل فشل المفاوضات الى كون المبعوث الفرنسي لم يكن في وسعه أن يتعهد بأية ضمانات فيما يتعلق باطلاق سراح الأسرى الجزائريين خاصة وأن البحرية المرسيلية كانت في مسيس الحاجة الى خدماتهم . (3)

وهكذا كان مآل البعثتين ، العثمانية والفرنسية - العثمانية معا ، الفشل الذريع .

فكيف يمكننا تفسير اصرار الجزائر على هذا الرفض ؟ لا شك أن موقف الحكومة الجزائرية لم يكن موجها ضد فرنسا فحسب بل كان ضد الدولة العثمانية أيضا ، ذلك أنها لم تول أدنى اعتبار للجانب الجزائري في القضية . كما أننا نراها حتى حينما توسطت لحل النزاع القائم بينها وبين فرنسا تضغط على الجزائر عسى أن ترضخ لمطالبها ومطالب فرنسا .كما أن تتبعنا للاحداث يجعلنا نخمن أن الرفض الذي أبدته الحكومة الجزائرية كان بالدرجة الأولى ضد معاهدة الامتياز لسنة 1604 التى منحت جل الصلاحيات لمعاقبة الجزائريين. (4)

---

(1) DE BREVES, *Relations* ... p. 373

(2) *Ibidem*

(3) EMERIT, *La mission* ... p. 304 - 305

(4) انظر البند الخامس والعشرين من معاهدة الامتياز لسنة 1604 . نشر النص الكامل لهذه المعاهدة في عدة كتب منها :

لقد كان هذا الموقف تعبيرا واضحا من الحكومة الجزائرية عن استقلاليتها عن الدولة العثمانية.

ويعتبر فشل هذه المحاولة لتسوية الخلاف مرحلة حاسمة،فهي تمثل نهاية التحالف وبداية القطيعة الرسمية.

2 ـ حادثة سيمون دونصا : (1)

لم يكن حادث تحطيم الحصن الحادث الوحيد الذي أدى الى تأزم العلاقات بين الطرفين بل جاءت حادثة" سيمون دونصا " هي الأخرى لتزيد من حدة الخلافات. ففيما تتمثل هذه الحادثة ؟ إن هذه الحادثة التى تعود المؤرخون الغربيون ومن حذا حذوهم على تسميتها بحادثة سيمون دونصا، ليست سوى حادثة سرقة من طرف أحد رعايا فرنسا، وهو الذي عرفت الحادثة باسمه وكادت الحادثة أن تفقد معناها مع هذه التسمية. ولهذا يحق علينا أن نسميها" سرقة سيمون دونصا ". فمن هو سيمون دونصا ؟

بحار من أصل فلامنكي. تجنس بالجنسية الفرنسية، دخل مدينة الجزائر حوالي 1606م حيث تعاطى نشاط القرصنة، وبسرعة فائقة حقق انتصارات باهرة، فبلغت غنائمه حوالي أربعين مركبا، الأمر الذي أكسبه شهرة كبيرة بين الأهالي. ومما زاد في التفاف السكان حول هذا البحار إدخاله لإحدى التقنيات الحديثة عندئذ الى البحرية، وهي تتمثل في كيفية استعمال السفن الدائرية. (2) ومكافأة له عن ذلك أعاره الباشا مدفعين من البرونز لتسليح سفينته وأصبح يجوب بها البحر كما يشاء.

---

(1) ترد كتابة هذا الاسم بصيغ مختلفة منها سيمون دونصا، ومنها سيمون دولر.

(2) GRAMMONT (H. de), " Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIIè siècle. 1ère partie. Les deux canons de Simon DANSA (1606 - 1628) " in R.A.

سأشير الى هذا المقال وهو منشور في عدة حلقات. حسب عدد الحلقات GRAMMONT, " Relations, 1ère, 2ème, 3ème parties.

لكنـــه ما لبث أن خان الثقـــة التي حظي بها من طرف الباشا ففر من الجزائر مستوليا على المدفعيـــن . (1)

أثارت هذه السرقـة غضب الباشا الذي تقدم باحتجاجات عديدة للملك هنـــري الرابع باعتبار سيمون دونصا أحـد رعايـاه، الا أن هذا الأخير لم يول أدنى اهتمـام لذلك الاحتجاج . (2)

وتجدر الاشارة بهذا الصدد أن هذا البحار لم يكتف بالاستحواذ على المدفعين بل تكرم بهما الى السيد دوكيـز. ولم يتوقف به الأمر عند هذا الحد بل راح يحـرض الحكومة الفرنسيـة على الاستيـلاء على مدينـة الجزائر مقترحـا في شهر مايو 1610 مشروعـــا في ذلك المجال، ورشح نفسه لتنفيذه مسخرا لذلك امكانياته الخاصة اذا اقتضت الظروف (3)

زادت هذه الحادثة الطين بلة، خاصة عند ما امتنعت الحكومة الفرنسية عن الـــرد على احتجاجات الحكومة الجزائرية، فتصدعت العلاقات نهائيا وأصبحت الحرب سجـالا بين البلدين، وقامت مرسيليـا بتجهيـز عـدد من السفن بقيادة "   "، ومع هذا فان خسائر فرنسا بلغت في ظرف خمـس سنوات زهاء ثلاثـة ملاييـن فـرنـك وعدد كبيـر من الأسـرى . (4)

---

(1) *GRAMMONT, " Relations, 1ère partie " p. 13*

وانظر أيضـا حول هذا الموضوع :

(2) *DURAND (L), Pirates et barbaresques en Méditerranée, Histoire du Sud,* Avignon, Aubanel, 1975

(2) زادت هذه القضيـة تعقيـدا بعد وفاة هنـري الرابع .

(3) . . . - *ROUX, France et A.N. pp 100 - 101*

(4) *GRAMMONT," Relations ... " 1ère partie, p. 15*

نحــــو وضــع جديــــد :

بعد الوضع المتأزم الذي آلت اليه العلاقات مثلما شاهدناه أعلاه، سعت فرنسا من جديد لإعادة السلام وإحياء الصداقة القديمة . ويبدو أن الرغبة في العودة الى السلام كانت مشتركة .

وفيما يلي سنحاول تتبع سير المفاوضات التي مهدت لذلك . كانت أول حلقة في ذلك السبيل سنة 1616 قامت بها البعثة المرسيلية ، وتعرف ببعثة :

MM DE GLANDEVES DFCUJFS et BFRFNGIFR

حاولت فرنسا بهذه المناسبة إعادة السلام دون أن تتناول قضية المدفعين ، فأفرجت عن بعض الأسرى الجزائريين الذين كانوا في قبضتها حتى تسهل مهمة التفاوض. لكن هذه المفاوضات كان مصيرها هي الأخرى الفشل ، فاعترض سبيل نجاحها عوائق عديدة من بينها عدم اتفاق الطرفين حول فحوى المفاوضات خاصة وأن حكومة الجزائر جعلت من ارجاع المدفعين شرطا أساسيا لأي تفاوض(3) واعتبرت اطلاق سراح بعض الأسرى الجزائريين من طرف فرنسا ، تمييعا للقضية وحلا جزئيا لم يرضها .
كما كانت محاولة استيلاء الفرنسيين على الحصن عنوة ، هي الأخرى من جملة العوامل التي ساهمت في تعطيل المفاوضات .

---

(1) PILLORGET (R), " *Un incident diplomatique franco-turc sous Louis XIII* " in R.H.D., Janv. 1974, p.47
ساكتفي بالاشارة اليه كما يلي : PILLORGET, " *Un incident ...* "

(2) يبدو أن هناك اختلاف في تحديد السنة التي تمت فيها هذه المفاوضات ووصول البعثة المرسيلية الى مدينة الجزائر . فاستنادا الى رسالة القنصل " والمؤرخة في 7 أوت 1617، فان وصول البعثة كان في السنة نفسها (1617) حول هذا الموضوع أنظر :

. *A.C.C.M., J/1338, Consulat d'Alger, Lettre du 7.8.1617.*

(3) *GRAMMONT, " Relations ... " 1ère partie, p.16*

ويبدو أن مصير هذه المفاوضات لم يكن الفشل الكلي ، اذ يستنتج من إحدى الرسائل أن الجزائر وافقت على شبه هدنة ، فتعهدت باحترام المعاهدات المبرمة بين فرنسا والباب العالي ، لكن هذه الهدنة لم تضع حدا للخلافات. ورجعت فرنسا مرة أخرى الى أسلوب القوة فحاولت في 1618 بالتعاون مع الهولاند بين ضرب الجزائريين لكن انكلترا حالت دون عبور السفن الهولاندية لمضيق جبل طارق. (1)

سفارة شيان آغا وروزان باي :

تدخل الباب العالي في هذه المرة أيضا لحسم الخلاف نظارا للالحاح فرنسا على ذلك. فأوفد مبعوثا عنه وهو سليمان شاوش مزودا بأوامر سلطانية تقضي بالإمتثال الى مطالب فرنسا ، ومن جملتها إعادة السلام . (2)

وفضلا عن اعتمادها على تدخل الباب العالي ، فقد هددت فرنسا الجزائر بتوجيه حملة عسكرية ضدها .

فهذه الأساليب الدبلوماسية والعسكرية معا جعلت الجزائر توافق على استئناف المحادثات ، فأرسلت بعثة يرأسها شيان آغا وروزان باي . توجهت السفارة الى مدينة تور ([illegible]) ، أولا حيث تمت المفاوضات وانتهى المفاوضون الى الاتفاق حول شروط اعادة السلام وتوجت بعقد معاهدة ثنائية جزائرية - فرنسية بتاريخ 21 مارس 1619. (3)

---

(1) CHARLES ROUX, France et A.N. ... p.107

(2) A.C.C.M. J/1340, Consulat d'Alger, Lettre du 20 déc. 1618
- GRAMMONT, " Relations ... " 1ère partie, p.

(3) PILLORGET, " Un incident ... " p. 47

كانت هذه المعاهدة أول معاهدة سياسية في تاريخ العلاقات الجزائرية فلم تكن العلاقات قبل هذا التاريخ ترتكز على أية اتفاقيات أو معاهدات ثنائية تقنن الشؤون المشتركة والخاصة بالبلدين في حين أن تاريخ العلاقات الرسمية يعود الى حوالي 1578 وهو تاريخ انشاء القنصلية الفرنسية بالجزائر . أهم البنود التى احتوت عليها هذه المعاهدة والتى جاءت بالصيغة التالية :

معاهدة بين السيد دوكيز باسم الملك ونواب الباشا وميليشية الجزائر. بمرسيليا 21مارس 1619 (1)

البند الأول :

ستحترم المعاهدات المبرمة والمتفق عليها بين المملكتين من أجل السلام والراحة المشتركة لدولتيهما بدقة. وستراعى دون أن يصدر من أي طرف أي مخالفات.

البند الثاني :

تتوقف مختلف عمليات القرصنة والتعديات. ولا يتعرض قراصنة الجزائر الى سفن ومراكب فرنسا في الشرق أو في الغرب. كما لا يتعرض الى التجار الاخرين الذين يبحرون تحت الراية الفرنسية. ولا يسمح بتفتيشهم أو بالاستيلاء على بضائعهم حتى ولو كانت ملكا لاعداء الدولة العثمانية. (2)

البند الرابع :

لا يسمح لقراصنة دول وممتلكات أخرى أن يأتوا الى مدينة الجزائر بأي فرنسي. واذ حدث وأنه جيء به يطلق سراحه على الفور مع ارجاع سفينته وأمتعته.

---

(1) نشر النص الكامل لهذه المعاهدة في :
- *Recueil de traités ...*
- ROUARD DECARD, *Traités de la France avec les pays de l'Afrique du Nord*, Paris, Pedone, 1966, 1 vol.

(2) لأول مرة وآخر مرة سمحت الجزائر لفرنسا بهذا الحق. وظلت فرنسا تحتج عن هذا الحق الذي ظلت الدولة العثمانية ملتزمة به في حين رفضت الجزائر الاعتراف به لها .

البنــد الخامــس:

لا يسمح جلالة الملــك اطــلاقا بتسليــح أيــة سفينــة، بموانيء مملكتــه وثغورها لمطارد ة الجزائرييــن ...

البنــد الساد س:

يتم اطلاق سراح جل الفرنسييــن من أي منطقــة كانوا، وكل الذ ين قبض عليهــم تحت رايــة فرنسا .

كما يتم اطلاق سراح جل أسرى مملكــة الجزائر بــفــرنسا .

مجــزرة البعثــة الجزائريــة واستئنــاف الحــرب :

لم تضع معاهد ة 1619 التى جاءت بعد مجهودات شاقــة حدّا للنزاعــات ولو لبضعــة أيام، ولم يتمكن الطرفان من تنفــس الصعداء، فبينما كانت السفــارة الجزائرية على وشك مغادرة مرسيليــا بعد ما تم الاتفاق على الأسس الجد يــد ة الــتى ترتكــز عليها العلاقات بين البلد ين،(1) وصل الى مد ينــة مرسيليــا نبــأ هجــوم الرايــس رجــب، أحد الرياس الجزائرييــن على سفينــة مرسيليــة عائــد ة من الاسكندرونية كانت محملــة كما يذكــر ببضائع ثمينــة . (2) اثر هذا النبأ قام سكان مد ينة مرسيليــا في موجــة من الغضــب بمهاجمة مقــر البعثــة الجزائريــة ليلا . فقتلــوا وفتكوا بأفراد البعثــة برمتهم فضلا عن أربعين آخرين من الجزائريين من أسرى وغيرهم . (3)

---

(1) *PILLORGET, " Un incident ... " pp 47 - 48*

(2) *Ibid. p. 50*

(3) استناد ا الى رسالــة موجهة من الباشــا الى حكام مد ينــة مرسيليا تراوح عــد د الضحايــا مابين ستين وسبعيــن شخصا،انظــر

— *A.C.C.M. E/52, Corsaires barbaresques, massacre des 40 turcs, 1620 - 1624, Lettre du 25 avril 1623.*

وتـذكر بعض المراجع أن المرسيليـن أضرموا النار في المبنى حتى يرغموا الجزائريين على مغادرتـه ويتسنى لهـم بذلك القضاء عليهم . (1) وهو ما تمكن منه المرسيليـون، فذبحـوهم بشوارع المدينة . ويشيـر كرامون الى أن هذه الحادثـة دامت يوميـن، حاولـت البعثـة خلالها الدفاع عن نفسهـا لكنها في الأخيـر لقيت مصيرا أليما. (2)

وعلى المرء أن يتساءل عن موقف السلطات المرسيليـة من هذا الفعل ؟ يبـدو من خلال المـادة المتوفـرة لدينا، أنها عملت على الحـد من خطورة النتائج إلا أن العنفوان والشدة اللذيـن اتسمـت بهما تلك الحركـة حال دون التخفيـف من النتائج الوخيمة التي ترتبـت عنه . (3) حينئذ سارع لويـس الثالث عشر، خوفا من عـواقب رد الفعـل الجزائري الى اصدار أمر يقضي بمحاكمـة المجرمين، وتمـت محاكمتهـم في 21 مايـو 1620 . ويذكر بعضهـم أن اربعـة عشـر مجرمـا حكـم عليهم بالاعدام واختلفـت محاكمـة بقيتهـم (4) غير أنه استنادا الى النص الأصلي من المحاكمـة نجد أن الحكـم بالاعدام صدر ضد شخص واحـد وهـو الـذي تسبب في تلك الحادثة . وهو ما يتضح من: ترجمـة ملخـص المحاكمـة :

---

(1) GRAMMONT (H.de), *Histoire du massacre des turcs à Marseille en 1620*, Paris, , 1879, p. 14
(2) GRAMMONT, (H.de), *Histoire d'Alger sous la domination turque, 1515 - 1830*, Paris, Leroux, 1879, p. 156
(3) PILLORGET, " *Un incident ...* " p.

وحول نفس الموضوع انظـر :

- *A.C.C.M. E/52, Massacre des 40 turcs.*
- *PLANTET, Correspondance, tome 1.*

" الحكم على لويس" بلانكو " لإثارته ، في 14 مارس 1620، فتنة شعبية ، ذبح فيها الاتراك، والحكم على شركائه بالاشغال الشاقة . (1)

كان من الطبيعي أن يكون لهذه الحادثة اصداؤها في الجزائر، وأن تثير ضجة كبيرة في الأوساط الرسمية ، فثار الأهالي بمدينة الجزائر ضد الجالية الفرنسية من جهة وألقي القبض على القنصل الفرنسي من جهة أخرى .

وسارعت الى مراسلة الحكومة الفرنسية للتعرف عن أسباب الحادث الذي وصفته بأنه مناف لروح المعاهدات ومناف للروح العامة" [illegible] " وهو ما نقرأه في رسائل الاحتجاج لقد أخلت فرنسا باحد المبادئ وهي احترام وعدم المساس بشخصية السفراء" . (2)

وأوفدت بعد ذلك " محمد الشريف" وهو صهر كينان آغا لتقصي الأحداث لكن هذا الأخير لم يتمكن من العودة الى الجزائر فور الانتهاء من مهمته اذ قبض عليه من طرف سفينة من توسكيانا ، فتأخر الرد وزادت العلاقات توترا . (3)

وكان تبرير الفرنسيين لهذا الفعل الشنيع بمايلي : " إنما صرخة غضب ضد بربرية وفظاظة الاتراك"(4) ولن نجانب الحقيقة اذ قلنا أن هذه الحادثة قد عبرت وكشفت عن الحقد الدفين الذي يكنه الفرنسيون للجزائريين .

---

(1) توجد هذه المحاكمة في الأرشيف البلدي لمدينة مرسيليا . الا أنني لم أتمكن من تصويرها لأسباب تقنية . وهي ضمن مجموعة :

FF 32, Affaire du massacre des turcs.

- *" Condamnation à mort de " Louis BLANCOU " coupable d'avoir le 14 mars 1620 suscité une émeute populaire dans laquelle les turcs furent massacrés et condamnation de ses complices aux galères ".*

(2) *A.C.C.M. E/52 Massacre des 40 turcs*
PLANTET, Correspondance, p.

(3) *GRAMMONT, Histoire d'Alger, p. 155*

(4) نقلا عن :

TURBET DELOF (G), Bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française, 1532 - 1715, Alger, SNED, 1976, p. 95

وذهب بعضهم إلى أن هذه الحادثة رغم خطورتها تبدو كحلقة لاعواقب لها في تاريخ العلاقات الجزائرية — الفرنسية . (1)

ومهما يكن من أمر فإن هذه الحادثة كانت سببا مباشرا في عدم استتاب الأوضاع الى غاية 1628 . وزادت في تعطيل السلام لمدة ثماني سنوات. واستمر البلدان في حالة حرب تزايدت شدتها قرابة ثماني سنوات (1620 — 1628) كان البحر الأبيض المتوسط ميدانا لها . وركز الجزائريون نشاطهم أثناءها على الساحل الجنوبي لفرنسا ، فكبّد واالفرنسيين خسائر جسيمة . فقد بلغت حسبما أورده القنصل الفرنسي في احدى رسائله الى حكام مدينة مرسيليا بعد أربعة أشهر خلت على مجزرة 1620 فقط ، ما ينيف عن ألف أسير وقيمة الغنائم الأخرى أربعمائة ألف ؟

وفي ثنايا هذه الرسالة يحث صاحبها حكام مدينة مرسيليا بوجوب تهدأة البحارة الجزائريين باعتماد وسيلة من الإثنتين ، حرب صريحة ، أو تجديد الصلح .ولانكاد نقرأ في مراسلات تلك الفترة سوى التشكي من انتصارات البحارة الجزائريين (2) وفي رسالة أخرى مؤرخة في السادس عشر من شهر جانفي 1621 يلح نفس القنصل لدى حكومته على اتخاذ التدابير الضرورية للحد من نشاط البحارة المتزايد اذ تزايد عددهم حتى بلغ ثمانمائة وخمسون بحار مسلحين بأحسن السلاح وهم مجهزون بأحسن التجهيز يرابطون بالطريق المؤدي الى الشرق للإستلاء على السفن الآتية من هناك وخاصة من الإسكندرونة . (3)

---

(1) *PILLORGET, " Un incident ... " p. 56*

(2) *GRAMMONT, " Relations ... " 1ère partie, p. 96*

(3) *Ibid., p. 97*

ونجح بحارتنا في محاصرة السفن الفرنسية ، حتى لم يعد بامكانها الخروج من الموانئ الفرنسية . وأصبح ربان السفن وأصحاب المصالح التجارية يحتجّون لدى حكومتهم لما أصاب الحركة التجارية من تعثر(1) بينما نادى بعضهم باستعمال القوة وتسخير عددا كافيا من البوارج للحد من نشاط البحرية الجزائرية غير أنه أمام ضعف البحرية الفرنسية ، اضطر لويس الثالث عشر الى طلب التفاوض لاجل اعادة العلاقات . وولت فرنسا وجهها صوب الباب العالي حتى يتدخل لإعادة العلاقات الودية بينها وبين الجزائر .

مهمة سليمان شاوش : 19 مارس 1623(2)

سعت الدولة العثمانية ، نظرا لما بذله سفراء فرنسا لدى البلاط العثماني لإعادة العلاقات بين فرنسا والجزائر . فعينت سليمان شاوش للنظر في النزاعات القائمة بين البلدين . وكان موقف حكومة الجزائر عنيفا ضد المبعوث العثماني وضد الوساطة العثمانية التى رأت فيها اجحافا للطرف الجزائري . وعارض الديوان والانكشارية معا التفاوض معه ، كما منعوا الباشا على ذلك أيضا . ولم تمتثل حكومة الجزائر للآوامر السلطانية محتجة على المبعوث السلطاني بعدم اطلاع الدولة العثمانية على احتجاجات الجزائر ضد ما ارتكبه الفرنسيون في حقهم . (3)

---

(1) *GRAMMONT, Histoire d'Alger ..., p. 160*

(2) حول هذه البعثة انظر :

- *A.C.C.M. E/52, Massacre des 40 turcs ...*

(3) *PLANTET, Correspondance ... , p.13 et sq.*

وأوفـدت الحكومـة الجزائريـة بـبـعـثة .   الى السلطان العثمانـــي لتعرفه بدورها عـن مصدر الخـلاف القائـم بينها وبيـن فرنسا . ولم تستأنف المفاوضات مع المبعوث العثماني الا بعد أن عادت البعثة الجزائرية من اسطنبـول . (1)

ويظهر أن الحكومة الجزائرية قد أبدت استعدادها لإعادة السلام منذ أواخر أفريـل 1623، اذ أعربت عن استعدادها لقبول مفاوض فرنسي ، كما التزمت بعدم التعرض للسفن الفرنسيـة . (2)

ولـم يـوفـق المبـعوث العثمـاني في اعادة السلام، رغم طول المدة التى استغرقتها اقـامته بمدينـة الجزائر، والتي كانت نحو ثلاثة أشهر . وكان كـل ما قام به هو أنـــه مهد الأرضيـة لإعادة العلاقات .

السـلام العـابـر

فقـد اتضـح للعيـان لحكـومة لويـس الثالـث أنها عاجـزة عـن التصـدي لنشـاط البحـارة الجزائرييـن ولقوتهم ليس هذا فحسب بل لقد أدركت أن مصالحها بالجزائر باتت مهـددة من طرف منافستها الخطيرة انكلترا (3) الأمر الذي جعلها تلح على اعادة/ العلاقات .

---

(1) PLANTET, *Correspondance ...*, p. 13)

(2) *Ibid.* p. 15 et Sq.

(3) استمرت انكلترا في محاولاتها لعرقلة المفاوضات فاتهمت المبعوث الفرنسي بحملـه لفرامات مزورة . وحتى بعد نجاح سانسون نابولون في مفاوضتـه لم تنفك عن ذلك . ولم تكن انكلترا المنافس الوحيد لفرنسا بل نافستها كل من اسبانيا وجنوة . اذ جاء في رسالة من سانسون نابولون الى الدوق دوكيز : "إن الاسبانيين والطبرقييـن أي (الجنوييـن) يحرصون حكومة الجزائر على قطع علاقاتها مع فرنسا فمنحوا أموا لا باهضة ... أما حاكم وهران فقد أعطى أمرا بوجوب استعمال كل الطرق لحمل الجزائر على قطع علاقاتها مع فرنسا . حول هذا الموضوع انظـر :

- *Ms. Fr., Lettres écrites ...*

فأوفدت في جوان 1626 ممثلا عنها للتفاوض بشأن اعادة السلام . ويجدر التذكير بأن المبعوث سانسون نابولون كان قد كلف بمهمة أولية لنفس الغرض لدى الدولة العثمانية .

ساهمت مدينة مرسيليا بجهد كبير في هذه المفاوضات ووجد سانسون نابولون مساندة كبيرة من طرف قناصل مدينة مرسيليا وممثلي التجارة، فصادقوا على منحه ثلاثين ألف ليفر "livres" لفدي الأسرى الجزائريين المحجوزين لدى الدوق دوكيز واسترجاع المدفعين . (1)

لكنه لم يكن في وسع المبعوث الفرنسي النظر في النزاعات فورا وصوله الى الجزائر بسبب مصادفته لوفاة الباشا . وأثرت هذه الحادثة على سير المفاوضات من وجهتين الأولى أنه كان على المبعوث الفرنسي الانتظار الى أن يتم تعيين الباشا الجديد والثانية أن الباشا المتوفي كان قد تمكن من اقناع الانكشارية على الامتثال لأوامر السلطان فيما يخص تسوية الخلافات. وبعد انتظار دام عدة أشهر دون جدوى اضطر الى مغادرة المدينة . (2)

وأبدت فرنسا في هذه المرة أيضا رغبتها واستعدادها لاعادة العلاقات فبذلت ما في وسعها لتهيأة الأرضية لذلك فأطلقت سراح الأسرى الجزائريين .

---

(1) FILLIPI (L), " *Marseille contre le bastion* ", in B.F., Déc. 1930, p. 169

(2) A.N. *Marine B7/49, Mémoire du Sieur Sanson NAPOLLON daté de l'année 1628,* fol. 83 - 84

وأفرجت عن الرايس شعبان ورفاقه وسفينته المحملة بالقمح المحتجزة بمدينة طولون . (1)

ولم تكن فرنسا تهدف الى اعادة السلام فحسب بل كانت تسعى الى الفوز بالمكانة الأولى، لدى حكومة الجزائر، خشية تزايد/نفوذ انكلترا، غير أن حكومة الجزائر أكدت للمبعوث الفرنسي أن شروط الصلح ستكون مثل التى تمت مع انكلترا . (2)

ويتضح مما سلف ذكره أن حكومة الجزائر قررت أن تجعل الدولتين في نفس المكانة وبهذا تكون قد رفضت منح فرنسا الامتياز الخاص الذي طالما حظيت به لدى الدولة العثمانية . كما نستشف مما ورد في ثنايا بعض الوثائق أن حكومة الجزائر لم تكن تحبذ كثيرا مسالمة فرنسا في هذه الاثناء، (3) ومع ذلك فقد توصل نابولون الدبلوماسي المحنك بأساليب شتى الى اقناع الجبهة المعارضة ويذكر بعضهم في هذا الصدد أن قيمة الهدايا التى وزعها على أصحاب الديوان وأصحاب الحل والعقد ،كانت خمسين ألف فرنك وهو مبلغ لا يستهان به في تلك الاثناء فضلا عن المساعي التى بذلها من أجل اعادة المدفعين والافراج عن الأسرى . فبلغت تكاليف المفاوضات مثلما تورده بعض الوثائق ثلاثين ألف (4) ليفر تورنوا "Livres - Tournois"

(1) *Marine B7/49, Mémoire concernant le bastion de France daté de 1626*, fol.84

(2) *Marine B Extrait d'une lettre du Sieur Sanson NAPOLLON du 6 juin 1627*, fol.86

(3) *Ibid., Mémoire du Sieur Sanson* ... fol. 84

(4) *A.C.C.M., E/49, Corsaires barbaresques, armements, affaires diverses, Mémoire daté du 12 sept. 1628.*

وأخيرا توجت مفاوضات المبعوث الفرنسي التى استغرقت حولين كاملين با برام معاهدة سياسية وتجارية بتاريخ 19 سبتمبر 1628.(1) جاءت هذه المعاهدة في اثني عشر بندا كانت أكثر وضوحا وشمولية من معاهدة 1619 . كما تمكن من ابرام اتفاقية بشأن المؤسسات الفرنسية .

ورغم ما تضمنته المعاهدة من امتيازات يبدو أنها لم تكن في مستوى طموح فرنسا ، (2) اذ حرمتها من مكسب طالما تمتعت به وهو أن تنقل على متن سفنها مختلف البضائع حتى ولو كانت ملكا لاعداء الدولة العثمانية . (3) كما فرضت على السفن الفرنسية التفتيش . أما الاتفاقية بخصوص إعادة نشاط الحصن ، فقد ثار ريشيليو ضدها ، خاصة فيما يتعلق بالبند الذي جعل تعيين الوالي على المؤسسات من صلاحيات الباشا وحده . (4)

ولم تضع هذه المعاهدة هي الأخرى حدا للنزاع القائم بين البلدين سوى لفترة وجيزة وكانت فرنسا أول من نقض العهد رغم ما بذلته من مساعي لتحقيق السلام . (5) وفي هذا الصدد يذكر المؤرخ الأمريكي وليام سبنسر ما نصه :

" إن هذا السلم الذي لم يتوصل اليه الا بعد جهد قد روعي بدقة من طرف / الجزائريين

---

(1) النص الكامل لهذه المعاهدة ضمن الملاحق .

(2) A.N. A.E/B$^{III}_{322}$ *Précis des traités entre la France et Alger et des expéditions entreprises contre cette Régence.*

(3) ينم هذا الموقف عن استقلالية الجزائر في سياستها الخارجية . ففي حين نجد أن الدولة العثمانية قد منحت ذلك الامتياز رغم مافيه من عيوب فان الجزائر رفضت ذلك

(4) رفضت الجزائر الاعتراف الى الملك الفرنسي (اي فرنسا) بالمؤسسات الفرنسية ، بل فضلت التعامل مع الاشخاص وهذا ما لم تفهمه فرنسا . وكان محل خلاف بين الحكومتين .

(5) ذهب بعض المؤرخين الغربيين الى أن الجزائر هي التى لم تحترم نصوص الاتفاقيات وهذا مناف للحقيقة التاريخية .

أكثر منه من جانب الفرنسيين . (1)

وفي الحقيقة نقض المعاهدة جاء من طرف الاتجاه المعارض للنجاح الذي حققه نابولون . تزعم هذه المعارضة الإخوة " فريجوس" ( ) أكبر المنافسين التجاريين لنابولون فوصل بهم الأمر الى تهديده بتدبير مقر إقامته بمدينة مرسيليا كما توعدوه بالقتل ما غامر بنفسه ودخل مدينة مرسيليا . (2)

كما شارض هذه المعاهدة مختلف البحارة الفرنسيين ، الذين رفضوا البند المتعلق بتفتيش السفن الفرنسية . لهذه الاعتبارات عزم الفرنسيون على نقض المعاهدة .

بدأت أول تحديات البروفانسيين في ربيع 1629 فاعترضت سفينة من سيوتات ، سفينة جزائرية ، واستمر المرسيليون في مهاجمة البحارة الجزائريين . (3) فكان من البديهي أن يعمل الجزائريون بالمثل وأثبتت الوقائع تفوقهم حينما يتعلق الأمر بلقاء العدو فبلغت قيمة ماغنمه

---

(1) سبنسر وليام ، الجزائر في عهد رياس البحر ، ترجمة عبد القادر زبادية الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ؟ ص 172 .

(2) FILLIPI, " *Marseille contre ...* " p. 169

(3) نفس المرجع . وانظر أيضا ، رسالة سانسون نابولون الى الكارد ينال ريشيليو مؤرخه بـ 5/ 10/ 1632 . وهي منشورة في مجلة حصن فرنسا . ديسمبر 1930 .

الجزائريون في الفترة الممتدة من خريف 1628 الى صيف 1634 أربعة ملايين وسبعمائة واثنين وخمسين ألف ليفر "Livres" .كما استولوا على ثمانين سفينة وأسرو ألفا وثلاثمائة وواحدا وثلاثين شخصا . (1)

ورغم تفوق الجانب الجزائري الذي سجّل في ميدان الحرب ، كانت فرنسا مترددة في السعي لإعادة العلاقات السياسية والتجارية معها . فامتنعت عن تعيين خليفة لسانسون نابولون لإدارة المؤسسات بعد وفاته. (2) وكان المجلس الملكي في هذه الاثناء يتجاذبه اتجاهان متعاكسان، اتجاه يدعو الى اشهار حرب دون هوادة للقضاء على البحرية الجزائرية، وهو الاتجاه الذي تزعمه رجال الدين وبقية الناقمين على الجزائر. أما الاتجاه الثاني الذي تزعمه التجار فقد كان يلح على اقرار السلام . (3) وكم من مذكرة قدمت الى الملك بهدف توضيح ضرورة اعادة العلاقات التجارية . وكان الفوز في الأخير للاتجاه الثاني .

---

(1) *DAN, Histoire de la Barbarie ... p. 320*

(2) رغم الحرب المعلنة بين البلدين ظلت العلاقات التجارية مستمرة ولم تتأثر بها . بل أن تعطيلها يعود الى اغتيال مدير المؤسسات سانسون نابولون من طرف الجنويز . انظر الفصل الخاص بالشركات التجارية .

(3) *GRAMMONT, " Relations ... " 3ème partie, p. 417*

تسوية الخلاف : بين الدبلوماسية والحرب :

1 - مهمة سانسون لوباج ونتائجها :

جاءت هذه المهمة لاعادة العلاقات السياسية والتجارية .وكانت التعليمات التى أعطيت للمفاوض تتناول قضايا مختلفة . والهدف الأساسي لهذه البعثة هو حمل الحكومة الجزائرية على تعديل موقفها ، من قضية جد حساسة، اعتبرها الفرنسيون اهانة لهم ، وهي تفتيش السفن الفرنسية من طرف الرياس الجزائريين . فكانت أولى التعليمات التى وجهت لسانسون لوباج ، منع الجزائريين من تفتيش السفن الفرنسية ،والدخول للمياه الاقليمية الفرنسية . (1)

فضلا عن ذلك كلف بفدي وتبادل أسرى الحرب منذ 1629 وباسترجاع المؤسسات الفرنسية، اذ عينه لويس الثالث عشر واليا عليها خلفا لنابولون.(2)

كان وصوله الى مدينة الجزائر يوم السبت 15 يوليو 1634 . واستطاع البث في المفاوضات فور وصوله خاصة وأن اليوم مخصص لمناقشة العلاقات الخارجية.(3) لكن غياب الباشا جعل المفاوضات التى تمت رأسا مع الديوان تتعثر بسبب انتظار الحكومة للباشا الجديد المعين من طرف الباب العالي . (4)

---

(1) LARONCIERE (Ch.de), *Histoire de la Marine française, Enquête d'un empire colonial*, Paris, 1910, Tome IV, p. 693

(2) GRAMMONT, " *Relations ...* ", *3ème partie*, pp 417 - 418

(3) *Ibid.* p. 422

(4) DAN, *Histoire de la Barbarie ...* pp 45 - 46

وبوصول الباشا يوسف (1) تغير الوضع ، فجعل تسوية الخلاف من صلاحياته وحده حسبما أورده الراهب دان الذي رافق المبعوث الفرنسي . وبعد مفاوضات مطولة يظهر أن حاكم الجزائر عارض بشدة مطالب فرنسا ، ورفض اطلاق جميع الأسرى الفرنسيين كما رفض ارجاع البضائع والسفن المستولي عليها .

عندما تبين للمفاوض أن تحقيق هذه المطالب دفعة واحدة أمر ميؤوس منه عدل منحاه وركز أساسا على الافراج على ثلاثمائة واثنين وأربعين أسيرا فرنسيا مقابل ثمان وستين أسيرا جزائريا ، لكن الحكومة الجزائرية رفضت هذا التبادل غير المتكافئ . (2)

ويفسر الراهب دان فشل هذه المفاوضات بلجوء الباشا الى حيلة، وهي استعمال بعض النساء على أنهن أزواج أسرى جزائريين تم بيعهم من طرف الفرنسيين بمطالبة، حيث يصرخن، "شرع الله ! شرع الله !" أمام باب القصبة ، جعلت الباشا يرفض اطلاق سراح الأسرى الفرنسيين دون عودة كل الأسرى الجزائريين . (3)

ويرى كرامون - وهو الوحيد الذي تناول الموضوع بالدراسة - أن فشلها يعود إلى شجع وطمع الباشا . (4)

---

(1)

(2) *DAN, Histoire de la Barbarie ..., pp 45 - 46*

(3) *Ibidem*

(4) *GRAMMONT, " Relations ... " 3ème partie, p. 423 et sq.*

ويظهر جليا مما تقدم أن ما كانت تطالب به فرنسا أمراغير منطقي ، وهو السبب المباشر في عدم تمكن المفاوض من انهاء الخلافات وعاد الى فرنسا دون أن يحقق شيئا .

زاد موقف فرنسا عنفا بعد هذا الرفض ، فأمر لويس الثالث عشر في شهر مايو 1636 بارسال اسطول يجوب مياه البحر الأبيض المتوسط لمطاردة البحارة الجزائريين . (1) وفي 7 نوفمبر 1637 أوعز الى القائد مانتان "MANTIN" بالتوجه مع "لوباج" الى الشواطئ الجزائرية على رأس حملة عسكرية تشكلت من اثنى عشر سفينة للضغط على الحكومة الجزائرية ، كي تفرج عن الأسرى الفرنسيين وتصادق على التعديلات التي أدخلتها فرنسا على نصوص معاهدة 1628 وحتى تحظى المطالب الفرنسية بالموافقة ، جلبت البعثة معها الأسرى الجزائريين على متن أساطيلها . لكن الرياح شتت شمله ولم يصل منه الى المياه الجزائرية سوى وحدتين . (2) فاستحال على هاتين القطعتين استعراض العضلات كما استحال عليهما تعديل معاهدة 1628 ، واشتدت العلاقات توترا ، تعطلت على اثرها العلاقات التجارية بعدما حطم الحصن على يد علي بتشين .

---

(1) GRAMMONT, " Relations ... " 3ème partie, p. 427

(2) Ibid., p. 429

2 ــ مفاوضات كوكيال وصلح 1640

أعقبت المحاولات العسكرية الفاشلة بعد اخفاق محاولة لوباج الدبلوماسية فترة من الغموض، ولم يسع أي طرف الى اعادة العلاقات، ففرنسا المنهمكة في حروبها ضد إسبانيا لم يكن في ميسورها الخوض في المفاوضات والجزائر هي الأخرى لم يكن يهمها كثيرا اعادة العلاقات.

وإنه لمن الأهمية بمكان أن أشير الى أن هذه المحاولة لم تصدر عن الجانب الفرنسي الرسمي، بل كانت من طرف أحد الخواص وهو كوكيال أحد أسرى الحصن (1) ومن أصحاب المصالح التجارية الذين رأوا في تعطيل العلاقات التجارية خسارة كبيرة، فعملوا على اعادة السلام.

لم يلق هذا المفاوض أدنى معارضة من قبل الحكومة الجزائرية، خاصة وأنها كانت تعيش في هذه الأثناء أحداثا خطيرة تمثلت في ثورة ابن الصخري وما تبلاها من اضطراب. ورخصت له الحكومة الجزائرية بالذهاب الى فرنسا للنظر في النزاعات.

أحرز بفضل دهائه على موافقة حكومته بهذا الشأن وبعد جهد استغرق سنتين توصل الأسير الذي تحول الى دبلوماسي مفاوض الى ابرام معاهدتين الأولى سياسية والثانية تخص المؤسسات الفرنسية. (2)

---

(1) COQUELLE (P), " *La mission de J.B. DECOQUIEL à Alger et à Tunis 1640, d'après des documents inédits* " Fxtrait du B.H.P., 1905, p. 249

(2) *Ibid.* p. 262

وأهم ما يلفت النظر في بنود المعاهدة الأولى : البندان الرابع والخامس عشر،فالأول نص على ما يلي " لضمان تطبيق المعاهدة سيقيم ممثل عن الديوان بباريس" .

" تكون فرنسا ملجأ للأسرى الجزائريين الفارين من اسبانيا ".

أما المعاهدة التي تخص المؤسسات التجارية، فقد منحت للشركة الفرنسية حق اعادة المؤسسات مقابل 34.000 دوبلو" DOUBLES " ، (1) غير أن فرنسا امتنعت عن المصادقة عليها واعتبرها الكاردنال ريشيليو اهانة لشرف وعظمة فرنسا .

وعزم ريشيليو على استعمال القوة بغية تعديل نصوص المعاهدة ، فأوكل الى نائب أميرال الجيش البحري قيادة الاسطول والتوجه الى الجزائر. وبعد ارسائه بالميناء بعث برسالة الى الديوان ليوضح فيها مطالبه ومن أهم ماجاء فيها " ... إنه ونظرا لاستحالة اقامة سلام طويل المدى مع السادة رؤساء الانكشارية، فإن جلالة الملك قد أمرني بأن أتوجه على رأس اسطوله البحري وأن أرسو بالميناء وأن لا أقلع الا بعد الاتفاق حول فحوى المعاهدة." (2)

غير أن حكومة الجزائر رفضت ادخال أي تعديل على معاهدة 1640، وانتهى الاسطول الى الاقلاع دون أن يحقق أدنى شيء. لم تيأس فرنسا من هذا الاخفاق فأرسلت عمارة حربية أخرى في صائفة 1641. وكان مآلها مآل حملتها السابقة ورجع الاسطول الفرنسي في محاولاته العديدة مهزوما .

---

(1) نشر النص الكامل لهذه المعاهدة في

ROUARD DECARD, *Traités* ... pp 22 à 26

- LAPRIMAUDAIE (*Elie de*), *Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française*, Paris, Lahure, 1861, pp

(2) PLANTET, *Correspondance*, *tome* 1, p. 49

ولم تعدل حكومة الجزائر من موقفها ، وحاولت فرنسا بذلك عبثا تعديل نصوص المعاهدة . عندئذ قررت الحكومة الفرنسية رسميا عدم المصادقة على المعاهدة السياسية (1) ونص إعلان المجلس الملكي بذلك الشأن على ما يلي : لقد تم الاجماع على أن الملك لا يمكنه المصادقة على تلك المعاهدة باعتبارها مناقضة لمعاهدة الامتياز التى بيننا وبين السلطان العثماني" . (2)

استمرت الحرب بين البلدين وان لم تكن معلنة بطريقة رسمية وحقق فيها الجزائريون انتصارات باهرة ، فغنموا أثناءها ما قيمته أربعة ملايين (؟) ووقفت فرنسا مكتوفة الايدي أمام هذه الانتصارات لانشغالها بمشاكلها في أوروبا . وخاصة مع اسبانيا . ولم يكن في صالح فرنسا أن تتحرك ضد البحرية الجزائرية بل إن غض النظر عن انتصارات وتعديات الجزائريين غدا ضروريا بل حيويا لضرب اسبانيا من ناحية ولاتقاء شرهم من ناحية أخرى وأضحى الجزائريون في هذه الحقبة الحلفاء غير الرسميين .

لم يغير إعتلاء لويس الرابع عشر الحكم ، في السياسة الفرنسية شيئا في السنوات الأولى لإنشغاله بحروبه في أوروبا .

---

(1) المعاهدة التجارية كانت قد دخلت حيز التنفيذ .

(2) COQUELLE, " *La mission ...* " p. 269

خلاصة الفصل :

ومجمل القول تعتبر الفترة الممتدة من 1619 الى 1660، من أشد الفترات غموضا في تاريخ العلاقات السياسية بين البلدين فهي فترة امتازت بالاضطراب والتناقض، بالاصطدام والتصالح . فإذا قارناها بالفترة السابقة فهي ليست بفترة التحالف أو التقارب مثلما شاهدناه خلال القرن السادس عشر ، وهي ليست فترة العداء الصريح المتميزة بالحملات العسكرية المتعددة التى شنها الملك لويس الرابع عشر ضد الجزائر كما سيأتي توضيحه .

تميزت هذه الحقبة بنوع من المرونة من الجانب الفرنسي تجلى في الأسلوب الديبلوماسي اللين، كالبعثات الديبلوماسية المتعددة التى أوفدتها الى الجزائر وكثيرا ما اضطرت فرنسا الى شراء السلم كسلم 1628، وهو أمر يمكن تفسيره بعوامل أهمها :

أ ـ ظروف فرنسا الداخلية

ب ـ قوة الجزائر البحرية اذ تمثل هذه الفترة عز ازدهار الجزائر وأوج قوتها البحرية مما جعل الدول الأوروبية تتسابق لكسب تفهمها .

ج ـ منافسة الجنوبيين والانكليز والهولانديين .

بيد أن المرونة ـ المشار اليها أعلاه ـ لم تكن طابعا مميزا للديبلوماسية الفرنسية وقتذاك ، بل إن فرنسا كثيرا ما عمدت الى أسلوب القوة المتحفظ الذي طغى على الفترة الممتدة من 1636 وما بعدها . فعرفت بذلك العلاقات صراعا حادا ويعود جوهر الصراع الى ماتضمنته معاهدة 1628

وخاصة منها البنود المتعلقة بتفتيش السفن الفرنسية من طرف الرياس الجزائريين وعدم نقل بضائع اعداء الجزائر على متن سفنها ، وخرجت فرنسا من هذا الصراع مهزومة ، اذ باءت مختلف المحاولات الدبلوماسية والعسكرية بغية تعديل نصوص المعاهدة بالفشل . ومن مميزات هذه الحقبة أيضا لجوء فرنسا باستمرار الى وساطة الباب العالي لتسوية الخلافات الناشبة بينها وبين الجزائر الشيء الذي ستتخلى عنه في الفترة اللاحقة ، وأبدت الحكومة الجزائرية معارضة شديدة لهذه الوساطة التي رأت فيها في كثير من الأحيان إجحافا لحقها .

الفصل الثاني: فترة الصراع (1661-1694)

مخطط الفصل:

- بواعث سياسة لويس الرابع عشر
- أول محاولة فرنسية للاحتلال: حملة بوفورت على جيجل 1664
- لويس الرابع عشر وصداقة الجزائر تصدع العلاقات وتصفية الحسابات

ابتداءا من 1661 وهي السنة التى أجمع المؤرخون على اعتبارها بداية الحكم المطلق بفرنسا .(1) ناصب لويس الرابع عشر(2) العداء الصريح ضد الجزائر. ويظهر من رفضه المصادقة على المعاهدة التى أبرمت بين رومنياك " " وديوان الجزائر أن نواياه كانت واضحة ضد الجزائر. (3)

فبمجرد توطيد مركزه أصبحت سياسته تجاه إيالة الجزائر تهدف الى محاولة القضاء عليها، وتحطيمها عن طريق الحملات البحرية، والتدخل المسلح ، وأصبحت الحرب ميزة العلاقات الجزائرية ـ الفرنسية . (4)

---

(1) لم يكن الحكم الى غاية ذلك التاريخ بيد الملك وحده ، بل ساهمت شخصيات بارزة في الحكم وفي توجيه السياسة الخارجية ومن بين هؤلاء مازاران . وبعد وفاته مباشرة في التاسع من شهر مارس 1661 ـ وهي الفرصة التى كان يتحين لويس الرابع للاستحواذ على زمام الحكم بمفرده ـ اعلن الملك للبلاط عن الغائه لمنصب الوزير الأول، واكتفى بالاعتماد على بعض الكتبة المختارين . " "

(2) ولد سان جيرمان في 5 سبتمبر 1638 . وفي سن الخامسة أصبح ملكا بعد وفاة أبيه في 14 ماي 1643 .

(3) CHARLES ROUX, *France et A.N. p. 150*

(4) ذهب بعض المؤرخين، ومن بين هؤلاء شارل روكس، " " وكابوت ري " " الى أن السلام الذي شهدته العلاقات قبل 1661 يعود الفضل فيه الى سياسة مازاران المسالمة للعثمانيين غير أن مازاران الذي لعب دورا كبيرا في توجيه سياسة فرنسا الخارجية لم يكن له الفضل في ذلك مثل ما ذهب اليه أولائك، بل ذلك يعود بالدرجة الأولى لانشغال فرنسا بحروبها في أوروبا فلم يكن عندئذ في صالح البلاط الفرنسي التعرض الى الجزائريين . فامتناع فرنسا عن اتباع أسلوب القوة ازاء العثمانيين المغاربة كان في صالحها بالدرجة الأولى .
أما بيير دوبارك " " فيرى أن أحد أسباب توتر العلاقات الفرنسية ـ العثمانية خلال القرن السابع عشر يعود الى مازاران الذي تخلى عن سياسة التحالف وناصب العداء للاسلام هو الآخر . ففي سنة 1660 أي سنة قبل وفاته اقترح ترك بعد وفاته مبلغ 200 ألف فرنك لتمويل الحرب ضد الأتراك.

بواعث سياسة لويس الرابع عشر

اختلفت آراء المؤرخين حول خلفيات سياسة لويس الرابع عشر الخارجية فذهبوا مذاهب شتى في تفسير الحروب العديدة والمتكررة التى خاضها لويس الرابع عشر ومن ضمنها حروبه ضد الجزائر. يرى فريق أن العامل الديني كان الحافز الرئيسي لتلك السياسة. فلويس الرابع عشر كان يعتبر نفسه "حامي المسيحية" ومسؤولا أمام الله عن مصالحها. من ثم فإن هذا الشعور، بل أن هذا "الاقتناع" دفعه الى محاربة الاسلام في مناسبات مختلفة سرا أو علنا. (1)

ويرى البعض الآخر بأنه "من العبث البحث في سياسة لويس الرابع عشر الخارجية عن محرك ثابت عدا البحث عن المجد ان همه الوحيد كان يتمثل في تحقيق ذلك. ويؤكد ذلك زلر " " بقوله : " أنه ليس برجل المشاريع الكبرى، ان الجري وراء المجد يمثل المحرك الأساسي لعهده".(2)

في حين رجح آخرون العوامل السياسية والاقتصادية على العامل الديني فلايمكن فصل الحرب الصليبية التى خاضها لويس الرابع عشر، ضد الأتراك عن الوضع المميز للدبلوماسية وقتذاك .

(1) LEBRUN (F), *Le XVIIè siècle*, Paris, Collection U, 1967, p. 248

(2) ZELLER (G), *Histoire des relations internationales, Temps Modernes*, p. 8

كما كان لروح العصر التي اتسمت بطغيان التيار الديني المتعصب دورها أيضا . اذ كان الرأي العام في فرنسا يدفعه دفعا لضرب الاسلام . كان أحسن معبر عن هذا الاتجاه الأدب من شعر ونثر . فالمتطلع على أدب ذلك العصر يرى بأنه كان الداعي والمحرض للويس الرابع عشر على أن يجرب سيفه البكر "ـ على حد تعبيرهم "ـ ضد الاسلام . (1) كما عمل الأدب السياسي خلال تلك الحقبة على توحيد أوروبا المسيحية ضد العثمانيين . بل إن دعاة هذا الإتجاه الذي نازعه الحنين الى أوروبا المسيحية الموحّدة جعل من الفرنسيين الأبطال الذين سيقضون قضاء نهائيا على العثمانيين . (2)

ويبدو من المفيد أيضا الإشارة بهذا الصدد إلى أن هذا الحماس الديني ، قد صادف المخططات الكثيرة والمتنوعة لإقتسام الإمبراطورية العثمانية وتحطيمها كما أنها حقبة المشاريع الجديدة لاجل احتلال الجزائر ، للقضاء على "الجحيم" ولاستغلال جنات عدن في آن واحد وتشير معظم المؤلفات بأنه بمجرد اعتلاء لويس الرابع عشر العرش أصبح المخططون ينادون باحتلال الجزائر

---

(1) *VANDAL (A), L'Odyssée d'un Ambassadeur, les voyages du Marquis de NOINTEL, 1670 - 1680,* Paris, Plon, 1900, 2ème éd., p. 3 .

\- *TURBET DELOF, L'Afrique ..., p. 171 et sq.*

(2) *THAU (E), Raison d'Etat et pensée politique à l'époque de RICHELIEU,* Athènes, 1966, p. 282

مستعملين/ في ذلك، شتى السبل . لقد بذل التيار المركنتيلي ، (أصحاب المصالح التجارية) ما في طاقاته الابداعية ليظهر/ في الجزائر أجمل صورة كالتغني بجمالها وخيراتها بل وبطبيعة سكانها !!!

وما دمنا بصدد الحديث عن هذه المخططات نقتطف بعض العبارات المغرية الواردة في أحد المشاريع لاحتلال مدينة الجزائر يعود الى ما قبل 1666م . "ما أربح تلك العملية" أي احتلال المدينة" ... لن يعارض سكان الجزائر هذه الفكرة لما يكونه من حقد للاسبان ... إنه لبلد غني جدا !! اذا إستغل بطريقة جيدة سينتج ثلاثة أضعاف ما ينتجه اليوم ، غشروات الذهب والفضة غير مستغلة بعد أما القمح فهو متوفر بكثرة إذ يمكن تصدير سنويا 540.000 (؟) ".

وكي يحظى المشروع بتأييد جميع الناقمين على الجزائر ختمه صاحبه بالعبارة الرنانة ليضرب على الوتر الحساس "ألم يحن الآوان لوضع حد لتعديات هؤلاء البرابرة، ان احتلال الجزائر عملية جد مربحة .(1)

نستنتج مما سبق عرضه أن فكرة احتلال مدينة الجزائر لم يناد بها الاتجاه الديني فحسب بل نادى بها أيضا التيار المركنتيلي ، وان إختلفت الآراء

---

(1) PAUL (*Chevalier*), *Projet pour l'entreprise d'Alger*, Archives curieuses de l'histoire de France, par Danjou, Paris, Blanchet, 1839, 2ème série, tome X, pp 79 - 88.

- TURBET DELOF, *Bibliographie* ... pp 178 - 179

والحجج ، اذ رأى فيها الفريق الأول الجحيم الذي يحتم القضاء عليه ورأى فيها الفريق الثاني جنة يجب استغلالها .

ان هذا الوضع المشحون بالصليبية والنفعية ، دفع بلويس الرابع عشر الى خوض تلك الحروب ضد العثمانيين . وفي هذا الصد يقول بيكاري "PICCARET" " لا يمكن فصل الحرب الصليبية التي خاضها لويس الرابع عشر عن الوضع المميز للدبلوماسية وقتذاك وبعبارة أخرى إن تلك الحروب يجب نسبتها الى روح العصر أكثر من نسبتها الى تفكير لويس الرابع عشر نفسه" (1)

وحاول فريق آخر تحليل مواقف لويس الرابع عشر بعوامل نفسية بالدرجة الأولى "ان مصدر أخطاء لويس الرابع عشر هو مرضه العقلي : جنون العظمة، فتعطشه الى اكتساب لقب الامبراطور الأعظم دفعه الى انتهاج أسلوب الغزو والحرب"(2) وتكاد سياسة لويس الرابع عشر الخارجية تتطابق وسياسته الداخلية التى امتازت بالحزم والسيطرة واستعراض العضلات .

يتضح مما سبق عرضه أن سياسة لويس الرابع عشر لم توجهها عوامل دقيقة أو ثابتة، بل كانت رهينة ظروف معينة فهو الذي صرح بأن فن السياسة يتلخص في استغلال الظروف ، مما جعله لا يتردد في الاعلان عن الحرب ضد الجزائر كلما وجد الى ذلك سبيلا .

ان هذا الملك الذي اعتبر أبرز شخصية في عصره كانت جل الظروف مساعدة على أن يتباهى على غيره من الملوك بشتى الألقاب وبشتى الانتصارات الشيء الذي لم يحققه في حروبه العديدة ضد الجزائر وهو ما سيأتي عرضه .

---

(1) PICCARET (C.G.), *La diplomatie française au temps de Louis XIV, 1661 - 1715 Institutions, Moeurs et coutumes*, Paris, Alcan, 1930, p. 160

(2) BOULENGER (J), *Le grand Siècle*, Paris, Hachette, 1911, p. 187

أول محاولة فرنسية للاحتلال : حملة بوفورت على جيجل 1664

ضمنت معاهدة البيرنسي (1) التى وضعت حدا للصراع الأوروبي ـ الذي تعود بداياته الى 1618 ـ للويس الرابع عشر مكانة ابن حفيد شارل الخامس من جهة ومن جهة أخرى سمحت له بأن يوطّد مركزه وأن يضمن التوازن الأوروبي (2) بل لقد وجد نفسه الملك المتصر والمتفوّق على أوروبا الشيء الذي أتاح له توجيه أنظاره صوب منطقة بلاد المغرب وأخذ "المسألة بحزم". فكان أن فتح سياسته الصليبية ضد الجزائر مصدر قلقه بوجه خاص ، تجلّى ذلك في حملة "بوفورت" على مدينة جيجل .

استهدفت هذه الحملة العسكرية وهي الأولى من نوعها "الاستيلاء على مدينة جيجل . وإذا بحثنا عن أسباب هذا الاعتداء الصريح نجد المراجع الغربية تجمع على أنها كانت رد فعل انتقامي لنشاط البحارة الجزائريين ففي فترة لاتتجاوز سبعة أشهر وهي الممتدة من أكتوبر 1660 الى غاية افريل 1661، استولى الجزائريون على ما ينيف عن قيمة المليونين من البضائع وعلى حوالي ثلاثين سفينة، فضلا عن أسرهم زهاء خمسمائة أسير. (3)

---

(1) أمضيت معاهدة البيرنسي ـ والتى تعرف بمعاهدة البرانس ـ في 7 نوفمبر 1659 وجاءت على اثر الحرب الاسبانية ـ الفرنسية التى دامت قرابة الاربعين سنة . تخلت اسبانيا بمقتضاها لفرنسا عن عدة مناطق . ومن شروطها أيضا : أن يتزوج لويس الرابع عشر "ماري تريزا" ابنة ملك اسبانيا فيليب الرابع مع اعتراف لويس الرابع عشر بأنه لايتمخض عن هذا الزواج أي حق في وراثة عرش اسبانيا .

(2) BRUNEAU (A), *Traditions et Politique de la France dans le Levant*, Paris, Alcan, 1932, p. 42

(3) CHARLES ROUX, *France et A.N.* p. 143

دفعت هذه الانتصارات المتتالية بالقنصل " الأب لوفشر " إلى الالحاح لدى حكومته على ارسال اسطول فرنسي لبث الرّعب في نفوس الجزائريين لعلّهم يتخلون عن نشاط القرصنة (1) بينما أرجع بعضهم سبب هذا الاعتداء الى فشل المحاولة الدبلوماسية بهدف اعادة مؤسسات الحصن الى فرنسا . (2) فرفض حكومة الجزائر تسوية الخلاف ، جعل فرنسا تعد للتخطيط لاحتلال احدى النقاط الاستراتيجية كي تتمكن من " استئصال الداء على تعبير الفرنسيين .

غير أنه يتضح من سير الاحداث أن هذه الحملة لم تكن تستهدف الحد من نشاط البحرية الجزائرية كما أن المتتبع لنشاط البحارة الجزائريين يجد انتصاراتهم ليست بالشيء الجديد ولا الغريب بالنسبة للفرنسيين ، أو لغيرهم من الأمم بل ان غرض لويس الرابع عشر من ذلك كان الحصول على امتيازات خاصة لدى الحكومة الجزائرية من ناحية، ومن ناحية أخرى توجيه نشاط البحارة الجزائريين ضد الدول الأوروبية ، أي كسر شوكة الدول الأوروبية المعادية له بواسطة قوة الجزائريين .

ففي هذه الفترة كان الاسطول الهولاندي يتأهب لضرب الجزائر عن طريق الموانيء الاسبانية وكان لويس الرابع عشر أول من أوعز لاسبانيا بمنع

---

(1) *CHARLES ROUX, France et A.N... p. 143*

(2) *MONCHICOURT, " L'expédition de Djidjelli "*, in R.M.

استعمال موانئها على الأسطول الهولاندي فلو كانت نية لويس الرابع عشر الحد من نشاط البحرية الجزائرية المتزايد لسعى لتظافر الجهدين الفرنسي والهولاندي في سبيل القضاء عليها . (1)

ويرى " توربي دولوف " أن الهجوم على جيجل سنة 1664 م أرادت منه فرنسا تحقيق مشروعها ضد مدينة الجزائر الذي يعود الى حوالي 1658 كما هدف لويس الرابع عشر من وراء ذلك أيضا الى تبرير امتناعه عن المشاركة في حصار قينا ضد العثمانيين (2) أي مساندة الجبهة المسيحية في صراعها ضد الاسلام ، حيثما كان .

وتجدر الاشارة الى أن أوضاع فرنسا هي الأخرى كانت مواتية لأن يوجه لويس الرابع عشر حملته منها زوال شبح الهيمنة الاسبانية كما أصبحت عائلة الهيسبرغ في قيتا الخصم التقليدي ، لفرنسا أقل خطورة فهذه الأوضاع أعطت للملك الفرنسي فرصا عديدة . (3)

وكان لظهور شخصية كولبير الذي تميز بالطموحات الكبرى في مجال الهيمنة الاقتصادية وتطبيق المركنتيلية دوره أيضا . فأصبحت منطقة بلاد المغرب مصدر اهتمام الفرنسيين . ويستدل من التقارير العديدة أن فرنسا كانت تسعى سعيا الى استكشاف منطقة المغرب وبصورة خاصة الجزائر تجلى ذلك في مهمة كليرقيل .

---

(1) TURBET DELOF (G), *La presse périodique française et l'Afrique barbaresque au XVIIè siècle, 1611 - 1715*, Genève, Droz, p. 180

(2) TURBET DELOF (G), " BOSSUET, *La question d'Alger au XVIIè siècle* " in Le XVIIè siècle, n° 100, 1973, pp 63 - 64.

(3) ZELLER, *Les temps modernes* ... p. 8

مهمة كليرقيل (1) :

في خريف 1661 كلف "كليرقيل" وهو أحد الجواسيس، بأمر من الملك، بالتوجه إلى عين المكان للتعرف على المنطقة. وحتى يتسنى له القيام بمهمته أحسن قيام ولتفادي شكوك الحكومة الجزائرية والأهالي معا، امتطى سفينة تجارية وبعد زيارته للمنطقة وتعرفه عليها، انتهى الى أن أفضل منطقة يمكن اقتراحها كنقطة للاحتلال، مدينة عنابة فهي جد صالحة لتشييد حصن دائم (2) ثم تليها ميناء ستورة من حيث الأهمية. ويستنتج من نص التقرير أن "جيجل" التى تم الاتفاق حولها في الأخير، لم تكن من المناطق المقترح احتلالها لكون مينائها غير صالح . (3)

وتجدر الاشارة إلى أن فكرة احتلال أحد موانيء الجزائر لا تعود الى عهد لويس الرابع عشر فحسب، بل هي فكرة اختمرت في اذهان ملوك فرنسا قبله فكم من مشروع قدم في ذلك الصدد .

نستشف من خلال مذكرة موجهة للويس الثالث عشر أن ايالة الجزائر كانت محط انظار الفرنسيين، فبذلوا مافي وسعهم للتعرف على البلاد

---

(1) لقد صادف وجود هذا الجاسوس بالمنطقة الشرقية من البلاد ثورة فرحات باي فأراد استغلالها لصالح فرنسا .

(2) MONCHICOURT, " L'expédition ... ", p.

(3) لقد أشار بعضهم الى أن الجاسوس كليرقيل كان قد اقترح مدينة جيجل كنقطة صالحة للاحتلال أنظر :

- ARNAUD D'AGNEL, " Rôle de soixante quatorze esclaves provinciaux échangés ou rachetés à Alger par le Sieur TRUBERT " in B.H.P. 1905, p. 216

وللحصـول على أكبـر قدر ممكـن مـن المعلـومات الدقيقـة. واقتـراح صاحب المذكرة جديـر بالاهتمـام، فهو يتمثـل في احتـلال وتشييـد حصـن للضغـط على الايالتين الجزائريـة والتونسيـة(1) ، والمنطقـة المقتـرح احتلالها هـي : " تلك التى تمتـد بيـن مملكـة تونـس ومملكـة الجزائر قـرب مدينـة تدعـى قسنطينـة" (2) كما احتوت المذكـرة على معلومـات وافيـة حول أهميـة المنطقـة كخصوبـة الأرض، والثـروة الحيوانيـة الـتى تتوفـر عليهـا الناحيـة.

ويلاحظ من خلال هـذه المذكرة، أن المنطقـة الشرقيـة من البلاد حظيت باهتمام خاص من طرف المخططيـن لهذه المشاريـع. (3)

<u>إنطـلاق الحملـة :</u>

بعـد الانتهـاء من الاستعـدادات اللازمـة . انطلقـت الحملـة من مينـاء طولـون فـي الثانـي من شهر جوليـة. وكان اختيـار قد وقـع على أقـدر الشخصيات في ذلـك المجال انذاك وهـو "الـدوق دبـوفورت". (4)

تشكلـت من أربعة آلاف وستمـائـة وخمسيـن جنديـا مـن القـوات البـريـة،

---

(1) *STEIN (H), " Un dessein sur Alger sous Louis XIII "* in <u>R.G</u>. 1883, Tome 12, pp 25 à 29.

(2) نفسـه ، ص

(3) قد يعود ذلك الاهتمام الى وجود المؤسسات التجاريـة الفرنسيـة بالمنطقة مـمـا سمـح لهم التعرف عليهـا أكثـر من غيرها . أما الناحيـة الغربيـة فلـم تحظ بنفـس الاهتمـام نظرا للاحتلال الاسباني لمدينة وهران الـذي دام الى غايـة 1792م.

(4) *CHARLES ROUX, France et A.N... p. 157*

مدعمة بقوات بحرية بلغ عددها ثمانمائة جندي . فضلا عن انضمام قوات أجنبية اليها منها، فرقة من مالطة بمائة وخمسين شخصا واخرى اكليزية وثالثة هولاندية ومآت المتطوعين . (1) وقدر بعضهم العدد الاجمالي للحملة سبعة آلاف جندي . (2) أما الاسطول فقد تشكّل من ستين سفينة، مختلفة في الشكل والحجم .

كان وصول الحملة يوم 22 جويلية 1664 ويظهر أن الحملة ترددت في بادئ الأمر بين الاستيلاء على بجاية أو على جيجل ثم اختارت التوجه الى مدينة جيجل (3)

تمكن الجيش الفرنسي من الاستحواذ على المدينة بعد معركة دامية كلفت خسائر على كلا الطرفين أربعة مائة شخص (4) دافع سكان المدينة اثنائها (5) ببسالة غير أنه لم يكن بامكانهم التصدي ،على الفور لتلك الجبهة الأوروبية الغازية . وتمكّن الجيش الفرنسي من الاستحواذ على المدينة بعد أن غادرها أهلها والتجؤوا الى البوادي .

وحتى يضفي الجيش الغازي على حملته صبغة صليبية أقام الصليب ورفع العلم الفرنسي فوق محراب المسجد (6)

---

(1) *WATBLED (E), " L'expédition du Duc de BEAUFORT contre Djidjelli en 1664 "* in R.A., 1873, p. 218

(2) *MONCHICOURT, " L'expédition ... " p. 482*

(3) *JAL (A), Abraham DUQESNE et la marine de son temps*, Paris, Plon, 1873, Tome 1, pp 314 - 315.

(4) نفسه

(5) نادرا ما نعثر في ثنايا الكتب التى تناولت هذا الموضوع على اشارة ما الى المقارنة التى لقيتها الحملة الفرنسية .

(6) *WATBLED, " L'expédition ... " p.*

وكـان لنبـأ هذا الانتصـار المؤقت أكبـر الأصداء في وسط التجار المارسيليين . لقـد غمرتهـم الفرحـة الكبرى واعتبـروه أكبر خدمة قدمـت لهم مـن طـرف الملك فسارعـت الـغرفة التجاريـة بمرسيليـا اثر ذلك الى ترشيح أحد تجارهـا لوظيفـة القنصـل في مدينة جيجـل . (1) لكـن هذا الانتصار ما لبث أن تحول الـى هزيمـة شنيعـة .

نهـايـة حلـم :

رغم الظروف الصعبة التى كانت تجتازها الجزائر وما امتازت به فـترة الآغـوات من فوضـى واضطـراب، استطاع الآغـا شعبان أن يتصدى بكل بسالـة للقوات الفرنسيـة وكان النصر حليفـه . (2) اذ بعد هجوم الحاميـة الجزائريـة التى قدرت بعشـرة آلاف جندي فرت الجيـوش الفرنسيـة تاركـة وراءها مدافعها وعددا لا يستهان بـه من تشكيلة الحملـة خاصة الذين لم يكن باستطاعتهـم أن يلوذوا بالفرار، وبلغ عددهم حسبمـا ذكره كرامون ألف واربعمائة شخص وانسحبت القوات الفرنسية جارة وراءها ذيول الهزيمـة والخيبـة في آواخر شهر أكتوبر 1664، بعد أن مكثـت بالمدينـة حـوالـي ثـلاثـة أشهر .

أما المؤرخون الغربيـون فقد أرجعوا الهزيمة والفرار الذي اعقبها الى الانشقـاق الذي دب في صفوف القيادة بالدرجة الأولى متجاهليـن بذلك المقاومـة المحليـة .

---

(1) *MONCHICOURT, " L'expédition ... " p. 490*

(2) CHARLES-ROUX, *France et A.N... p,*

( )

( )

أصداء أحداث الانسحاب بفرنسا :

ما هو موقف لويس الرابع عشر المنتصر في أوروبا والقابض من حديد على فرنسا من هزيمة ألحقت به من طرف الجيش الجزائري . " جماعة الأوباش" مثلما كان يراهم ؟

أثار هذا الانسحاب المفاجئ غضب الملك فأبلغه الى منفذي الحملة طالبا منهم تقديم توضيحات وتفسيرات حول أسباب الإنسحاب/دون أمر منه . ففي رسالة منه الى شابيني : " ... لقد فوجئت من انسحاب قواتي التى كانت قد/احتلت بأمر مني مدينة جيجل ثم تخلت عنها دون أمر مني ... " وفي رسالة أخرى جاء ما نصه :

" إن الملك يريد التعرف على الأسباب الحقيقية التى أدت الى انسحاب قواته .. بدون أمر منه، والتي وجدت لإحتلال ميناء جيجل حتى يتسنى له الضغط على قراصنة بلاد المغرب الذين يتسببون في تخريب تجارة رعاياه ... " (1)

وخوفا من انتشار أخبر الهزيمة بأوروبا، أعطى الملك المهزوم أمراالى الصحافة يقضي بالتزام الصمت فيما يخص قضية جيجل . (2)

أما الحزب المعارض، وخاصة الاتجاه الديني الساخط على الملك، فقد صفق الهزيمة . كما ألف القصائد في ذلك الصدد . (3)

---

(1) A.N. *Marine* $B7_{49}$ - *Ordre du Roi à M. de CHAMPIGNY sur la retraite des troupes de Gigeri*, Fol. 224

- *Lettre du Roi à M. de CHAMPIGNY*, Fol. 225

(2) TURBET DELOF (G),"*A propos de trois impressions bordelaises - L'affaire de Djidjelli, 1664, dans la presse française du temps*" *Extrait du* B.S.B Guyenne, n° 88, juillet-décembre, 1968, pp 10 - 11.

(3) اقتطفت ...

Je voy mes dessins avortés
par une conduite imprudente.
Je voy l'Afrique triomphante
D'un roi que jusqu'ici rien n'avait pu dompter.

موقف الدولة العثمانية: (1)

وقبل أن ننهي الحديث عن هذه الحملة يجدر بنا أن نتعرف على موقف الدولة "صاحبة السيادة".

فأي الاعتداء على احدى ممتلكات الدولة العثمانية/ يمثل من الناحية النظارية اعتداء عليها، فكيف كان موقفها من ذلك؟

إن الظروف العصيبة التى تمر بها الدولة العثمانية انذاك وانهماكها في حرب طويلة ضد البنادقة استغرقت الفترة الممتدة من 1645 الى 1669 جعلت موقفها لا يتعدى الإحتجاج لدى السفير الفرنسي المقيم باسطنبول : وجاء "... اننا لن نسمح أبدا لفرنسا بامتلاك بوصة من الأرض على شواطيء بلاد المغرب". (2) ويبدو أن هذا الحادث كان من جملة العوامل التى ساهمت في تأزم العلاقات بين البلدين. حتى أن فرنسا امتنعت عن ايفاد سفير لها باسطانبول خوفا من عواقب ذلك الاعتداء. (3) رغم أنها أوفدت بعثة بهدف" تفسير الأسباب التى جعلتها تعزم على ذلك الفصل". (4)

ولم يقتصر صدى هذا الاحتلال على المستوى الرسمي فحسب بل تعداه الى المستوى الشعبي وهوما سجله أرقيو الذي كان يقيم بالمشرق أنذاك كما يلي: "...ما إن ذاع خبر

---

(1) لقد وقعت الحملة الفرنسية على مدينة جيجل في فترة جد حرجة في تاريخ العلاقات العثمانية ـ الجزائرية. أي بعد ثورة الاغوات على الباشوات وما تلتها من أحداث ورغم هذا فان الدولة العثمانية كانت لا تزال تعتبر نفسها المسؤول الروحي عليها.

(2) SAINT PRIEST (Ct de), *Mémoires sur l'Ambassade de France en Turquie et sur le commerce des français dans le Levant*, Paris, Leroux, 1877, p. 84

(3) DUPARC, *Recueil des institutions ... Introduction.*

(4) VANDAL, *L'Odyssée ...*, p. 17

الاستيلاء على المدينة حتى نادى العرب والاتراك بالانتقام لقد كانوا يصرحون بوجوب استئصال كل الفرنسيين المتواجدين بالامبراطورية . (1)

بعد هذه الهزيمة حاولت فرنسا أن تمحي وصمة العار باجبار تونس على تجديد المعاهدات ، وبقصف مدينتي شرشال والجزائر 1665، وبعد سنة تم تصفية الخلافات بين البلدين بابرام معاهدة 17 ماي من نفس السنة ، بفضل مساعي تروبر" " (2)

جاءت في اثني عشر بندا ، تناولت مختلف النزاعات القائمة بين البلدين وهي من المعاهدات الهامة ، هيأول معاهدة تنص القضايا المتعلقة بالجالية الفرنسية بالجزائر، من قناصل وتجار وأسرى .

كما نصت على ضرورة حمل التي تعطى من طرف فرنسا ، وشهادة قنصل فرنسا . حتى يتم التفتيش الذي نصت عليه معاهدة 1628 . والذي كان مصدر خلاف ومنازعات حادة .

وتمكن تروبر ، من الإتفاق حول فدي الأسرى ، أسرى هزيمة جيجل وأسرى الحرب البحرية . فبعد سنتين من نتائج ابرام المعاهدة تمكن من فدي ألف ومائة وسبعة وعشرين أسيرا . (3)

---

(1) *ARVIEUX, Mémoires ..., Tome 3, p. 4*

(2) نشر النص الكامل لهذه المعاهدة في :

- *Recueil de traités ...*

(3) *ARNAUD D'AGNEL, " Rôle des soixante ... ", pp 216 - 217*

لويس الرابع عشر وصداقة الجزائر :

حرصت فرنسا بعد معاهدة 1666م التي سمحت لها من أن توجه قواتها ضد الهولانديين وحلفائهم الاسبان على المحافظة على السلم وعلى كسب صداقة الجزائر الضرورية ، لضرب اعدائها .

فمباشرة بعد عقد المعاهدة بعث الملك الشمس الى قنصله بالجزائر قيمة ستة آلاف فرنك" Livres " ليوزعها على شكل هدايا على حكام مدينة الجزائر ، لتحريضهم على قطع علاقاتهم بهولاندة وانكلترا والذي عبر عنه في احدى رسائله الى القنصل الفرنسي بالجزائر. عليكم عند وصولكم بالعمل على تدعيم السلام وبذل قصارى جهدكم لحمل حكام الجزائر على قطع علاقاتهم مع الانكليز والهولانديين .(1)

وكانت انكلترا هي الأخرى تعمل من جانبها على الفوز بمكانة خاصة لدى حكومة الجزائر ، وعلى تحريض الجزائر على قطع علاقاتها مع فرنسا ، فمنحت ثلاثين سفينة الى حكام الجزائر عسى أن يعلنوا الحرب على خصمها . (2)

---

(1) A.N. AEB[1] 115, *Correspondance consulaire 1642 à 1686, Lettres du 11 et 20 avril 1666*, Fol. 144, 147.

(2) *PLANTET, Correspondance ...., p. 62*

وفي 1669 صارح لويس الرابع عشر حكومة الجزائر ، بنية في تحالف الجزائر معه ضد أوروبا ويقطع علاقاتها مع مختلف الدول الأوروبية وأن تبقى على اتحادها مع فرنسا فقط. (1)

ويبدو حسبما ورد في رد الباشا اسماعيل (2) أن ذلك الطلب قد لقي الموافقة: "إنني سأخبركم بواساطة أحد المبعوثين بالاجراءات التي سنتخذها في ذلك السبيل". (3) غير أنه يتجلى من رسالة أخرى موجهة من الباشا نفسه الى لويس الرابع عشر أنه لم يكن في ميسوره تلبية رغبة فرنسا. (4)

---

(1) إن مؤرخي عهد لويس الرابع عشر وحتى من تعرضوا لموضوع العلاقات الجزائرية ـ الفرنسية لم يتعرضوا لهذه الفكرة ، وهي طلب لويس الرابع عشر صداقة الجزائر ومساندتها في حروبه ضد أوروبا .

(2) عين باشا على الجزائر سنة 1660 ويبدو أنه استمر في الحكم الى غاية 1686. فهو الباشا الوحيد الذي طال حكمه مدة خمس وعشرين سنة . عرف بميوله لفرنسا وهي سياسة قصد منها مناصرة وتأييد الباب العالي له. وعلى اثر ثورة ميزومورطو عين اسماعيل باشا واليا على طرابلس. وفي 1688 عين من جديد واليا على الجزائر غير أن الداي "ميزو مورطو" والانكشارية اعترضوا سبيله ورجع من حيث أتى . فاتجه الى لويس الرابع عشر برسالة يطلبه فيها التوسط لدى الباب في ذلك.

(3) PLANTET, *Correspondance ...*, p. 65

(4) نفس المرجع ، ص 66 .

تصدع العلاقات وتصفية الحسابات :

السلام المشروط :

إن الوفاق الذي اتسمت به العلاقات أصبح مشروطا بظهور الدايات واعتلائهم الحكم . فظهر تخلي واضح من جانب الحكومة الجزائرية عن أية ليونة . وتمثل الرسالة الموجهة من الداي الحاج محمد والمؤرخة ب 23 سبتمبر 1674 حجر الزاوية في العلاقات الجزائرية ـ الفرنسية . (1) فقد ضمنت الأسس التي وضعتها الجزائر في سبيل اقامة سلام وصداقة بين البلدين . كما يلاحظ قارؤها اللهجة الصارمة التي خاطب بها الداي حاكم فرنسا . ففي حين ذكر بالسلام القائم بين البلدين، حذر فرنسا بالقطيعة في حالة امتناعها عن احترام تلك القواعد التي نصت عليها الرسالة كما يلي :

" إن وسيلة تدعيم السلام بين بلدينا هي أن تمنعوا رعاياكم من استقبال أكثر من ثلاثة مسيحيين من أعدائنا على متن سفنكم ، وأن لا يبحر رعاياكم في سفن اعدائنا . ان هذا سيكون سببا في القطيعة وستكون في هذه الحالة خارجة عن ارادتنا .... كما أننا لن نسمح لكم بحجز رعايانا الذين يفرون من جنوة وليفورنة واسبانيا وأماكن أخرى عندما يلتجئون الى مملكتكم بناء على السلام القائم بيننا ".

---

(1)

(2) PLANTET, *Correspondance,...* , pp 71 - 72

- ARVIEUX, *Mémoires ...*, Tome 5, pp 104 - 105

ونستشف من خلال الرسائل التي بعث بها ملك فرنسا عن طريق القنصل أرقيو " " أن فرنسا وافقت على تلك الشروط. (1) وبعد مرور حوالي سنة على تاريخ رسالة الداي الحاج محمد شرعت في تطبيق ما عزمت عليه فاحتجزت الفرنسيين الذين تبخرعليهم على متن سفن أعدائها، كما فعله الرايس ميزومورطو عند استيلائه على سفينتين الأولى من جنوة والثانية من ليفورنة واللتان كانتا تحملان ثلاثة وعشرين فرنسيا . (2)

<u>القطيعة واعلان الحرب :</u>

استنادا الى رسالة من القنصل الفرنسي الى حكام مدينة مرسيليا يعود قطع الحكومة الجزائرية لعلاقاتها بفرنسا لكون هذه الأخيرة لم تلتزم باحدى القواعد المشار إليها اعلاه، وهي عدم حجز الجزائريين الفارين من اسبانيا وغيرها. (3)

وكانت حادثة سنة/1679 سببا مباشرا في ذلك، اعترضت سفينة مرسيلية جماعة من الجزائريين كانوا قد/أفلتوا من قبضة الأسر الاسباني . لقد كان هذا الاعتداء خرقا صارخا لنصوص المعاهدات خاصة اذا علمنا أن البلدين كانا في حالة سلم

---

(1) PLANTET, *Correspondance ...*, p. 77

(2) ARVIEUX, *Mémoires ...*, Tome V, p. 126

(3) A.C.C.M. I/1875, *Négociations, traités et capitulations ...*

وأنظر أيضا :

J/1351, Lettre du P. Jean LEVACHER, Vicaire apostolique, Consul de France, 1675 - 1683.

وهو وضع كان يضمن للجزائريين جل أنواع المساعدات من الجانب الفرنسي . ولم يكتف المارسيليون بحجزهم فحسب بل استعملوهم في المجاديف . ورغم الاحتجاجات العديدة التي تقدمت بها الحكومة الجزائرية الى الحكومة الفرنسية فقد تشبث المارسيليون بعدم الافراج عن أولائك الأسرى نظار لحاجاتهم الماسة إلى خدمات الأسرى الجزائريين . (1)

وظلت المسألة محل خلاف بين الحكومتين مدة ثلاث سنوات من 1679 الى 1681 . ويبدو وحسبما توردة بعض المراجع أنه تم توصل الطرفين الى اتفاق بشأن تبادل الأسرى بتاريخ 1681 . (2) غير أن فرنسا لم تلتزم هذه المرة أيضا بوعدها . عندئذ يئس الديوان من ارجاع الأسرى فقرر في 18 اكتوبر نقض السلام واعلان الحرب ضد فرنسا . وكان ذلك يعني العودة الى نشاط القرصنة فالسفن التي كانت قبل هذا التاريخ ممنوع التعرض لها أصبحت مباحة لذلك . وتمكن بحارتنا في ظرف شهر واحد من الحاق خسائر كبيرة بالبحرية الفرنسية وفي استنادا الى ما أورده الأب لوفسي قنصل فرنسا - في احدى رسائله الى حكام مدينة مارسيليا فقد كانت كما يلي : عشرون غنيمة واربعمائة أسير أما قيمة البضائع فقد قدرت بـ 200 ألف(3) .

---

(1) حول هذه الاحتجاجات انظر :

A.C.C.M. J/1875
J/1351

(2) PECHOT (L), *Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830*, Alger, Gojosso, 1919, volume 3, p. 92

(3) A.C.C.M. J/1351, *Lettre du 31 décembre 1681*

وكان ضمن السفن المستولى عليها : سفينة تابعة للبحرية الملكية بيع قائدها بالمزاد فاتخذت فرنسا هذه الحادثة ذريعة للهجوم على مدينة الجزائر باسم الانتقام لشرف الملك الذي أهين من طرف الجزائريين . (1)

ولم ترض فرنسا أن تعلن الجزائر الحرب ضدها : ... "انه لمن الغريب حقا أن تعلن جمهوريتكم الحرب ضد لويس الرابع عشر وكل الدول الأوروبية خاضعة له ... (2)

والحقيقة أن موقف فرنسا تحرج بعد هذه القطيعة ، خاصة وأن الجزائر قد أبرمت معاهدة مع هولاندة بتاريخ أول ماي 1680 تعهدت بمقتضاها تزويد الجزائر بالعتاد الحربي من حبال وبارود وقذائف ومدافع . (3) وقامت انكلترا هي الأخرى بعقد معاهدة بتاريخ 22 افريل 1682 التزمت فيها أيضا بتزويد الجزائر بالعتاد الحربي . (4)

فأي سبيل تختاره فرنسا ، بعد أن سالمت حكومة الجزائر كلا من هولاندة وانكلترا ؟ هل تتفاوض معها أم تعلن الحرب ضدها ؟ إن التفاوض بالنسبة لها لم يكن شيئا مضمونا لاعتبارين اثنين ، يبدو وأن لويس الرابع عشر وضعهما في الحسبان .

---

(1) *LARONCIERE (Ch. de), " Le bombardement d'Alger en 1683 " extrait du* B.S.G. 1916, p. 8

(2) *PLANTET, Correspondance ..., p.*

(3) لم تتمكن هولاندة من الحصول على هذه المعاهدة الا بعد خمس سنوات من التفاوض اذ هنيكس المفاوض خلال هذه المدة بمدينة الجزائر . وقد علقت عليها فرنسا بأنها معاهدة مهينة ومذلة .

(4) *LARONCIERE, " Le bombardement ... " pp 8 - 9*

1 ـ قد ترفض الجزائر التفاوض مع فرنسا وفي حالة قبولها بذلك فإنها ستفرض عليه معاهدة مثل التي التى تمت مع هولاندة وانكلترا ومن ثم فلاسبيل أمام لويس الرابع الا استعراض العضلات فقرر عندئذ حرق وتدمير المدينة رأسا على عقب. (1)

قنبلة دوكين "

جهزت فرنسا حملة عسكرية جرارة بقيادة دوكين انطلقت في الثاني عشر من شهر جويلية. حظيت هذه الحملة على خلاف " حملة بوفورت" باهتمام معاصريها.(2) اذ سجل لنا صاحب الزهرة النيرة تفاصيل دقيقة عن ذلك الحادث" ... في عهد بابا حسن باشا وفي أول رجب من سنة 1093 هـ وصلت حملة عسكرية بلغ عدد سفنها ستين سفينة. (3)

واعتمادا على ما أورده هذا الأخير، فان الحملة لم تستهدف مدينة الجزائر في بادئ الأمر بل قصفت شرشال لكنها لم تتعرض لاضرار خطيرة بينما بلغت خسائر العدو ألف جندي . (4)

بعد مضي شهر جاء دور مدينة الجزائر التي قصفت بدون هوادة خلال خمسة أيام. (5)

---

(1) *PECHOT, Histoire de l'Afrique ..., p. 92*

(2) اذ سجلها صاحب الزهرة النائرة، انظر :
محمد بن عبد الرحمن التلمساني الجديدي ، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة. نشرها سليم بابا عمر. مجلة تاريخ وحضارة بلاد المغرب عدد 3. 1567 ص 20 .
وانظر أيضا :

(3) ROUSSEAU (A), *Chroniques de la Régence d'Alger*, traduites d'un manuscrit arabe intitulé : *El Zohrat El Nayerat*, Alger, Imp. du Gouvernement, 1841, p. 132

(4) *Ibid. p. 133*

(5) *LARONCIERE, " Le bombardement ... ", p. 11*

ففي ليلة واحدة، قصفت المدينة بمئة وخمسين قنبلة، تزن كل واحدة منها . قنطار. وبعد ليلتين ، قصفوها بثمانية وسبعين بومبا". (1) أما صاحب تاريخ باشوات الجزائر فقد أورد عدد ثلاثمائة قنبلة. (2)

نجم عن هذا القصف المتواصل خسائر جسيمة ، اذ دمرزهاء مائتين مسكن وأصاب المسجدين ، الجامع الجديد والجامع الكبير ، فضلا عن البلبلة التى أحدثها في نفوس السكان وما إلحق بهم من خسائر : " انهم قلة قليلة الذين لم يتضرروا خلال هذه الحوادث . لقد أصبحت وضعية السكان سيئة للغاية اذ فقدوا معظم ما يملكون على اثر فرارهم خارج المدينة هربا من دوي القنابل " .

ورغم الخسائر التى ألحقتها هذه القذائف والتى كانت من أحدث ما اخترع عندئذ ، فإن القوات الجزائرية تصدت لها بكل قوة ، واستطاعت أن تلحق بجيش العدو خسائر كبيرة : " مات من الملاعين خلق كثير ، خصوصا من المرض" (4) واضطرت القوات الفرنسية الى الانسحاب .

<u>قنبلة دوكين الثانية ، صفر 1094 هـ/ يونيو 1683م (5)</u>

انطلق قائد الحملة في شهر يونيو على رأس حملة قوامها أحد وعشرين عمادة حربية ، وفيلق يضم أربعة آلاف جندي ، عازما على "حرق المدينة" .

---

(1) التلمساني ، الزهرة النائرة ، ص 20 .

(2) DELPHIN, " *Histoire des Pachas d'Alger* " in <u>J.A.</u>, 1922, p. 211

(3) *Ibid. p. 213*

(4) التلمساني ، الزهرة ن.م.، ص 20 .

(5) حتى تظهر فرنسا للرأي العام الأوروبي أن حملة دوكين ضد مدينة الجزائر حلقة من حلقات مناهضة الاسلام مزجت الصحافة الفرنسية أخبار حصار فينا بأخبار حملة دوكين ، وكأن المعركة واحدة بل وكأنها نتائج نفس المعركة

فما إن وصلت الحملة حتى انطلق في قصف المدينة ولم يقدر عدد القنابل التي تساقطت على المدينة لكثرتها اذ وصفها بعضهم بأنها " وابل من القنابل". (1)

أما التلمساني، فقد سجل أحداث هذا القصف كما يلي : " ففي الليلة الأولى من رجب الفرد رموا قدر ستين بومبا . وفي الليلة الثانية منه رموا الى البلد والى المرسى قدر بمائة وعشرين بومبا . وسقط في الليلة الثانية بومبان في دار الحاكم باب حسن ." (2) بينما تورد مصادر أخرى سبعمائة قنبلة . (3) إثر هذا القصف الذي افزع السكان لما خلفه من خسائر في الأرواح والممتلكات والاضطرابات الخطيرة التي اعقبتها ، هرع الأهالي الى الداي طالبين منه تسوية الخلاف وتحت ضغط الأهالي رضي الداي بابا حسن - الذي كان رافضا لأي تفاوض - بفتح باب التفاوض. ويبدو أن فئة المرابطين عارضته على ذلك ، وحتى قناصل الدول الأوروبية هددوا باستعمال قواتهم للحصول على نفس الامتيازات وراحوا يؤكدون له بأنهم على استعداد لأن يقدموا له كل ما يرغب فيه للتصدي لفرنسا . (4)

واستطاع قائد الحملة أن يفرض شروطا مجحفة على الداي " بابا حسن" : لكن أصالح معكم اذا اعطيتموني جميع ماعندكم من أساري الفرنسيين ومصروف العمارة ،

---

(1) *TOURNIER (J), Jean LEVACHER, prêtre, Consul de France et martyr (1647 - 1683)*, Rabat, 1947, p. 220

(2) التلمساني ، الزهرة ... ص 21 .

(3) *DELPHIN, " Histoire des Pachas ... " p. 211*

(4) *LACROIX, Relation ... , p. 164*

وهي ثلاثمائة ريال متاع الميزان ، وقبلتهم جميع ما اشترط عليكم" (1) وليظفي لويس الرابع عشر على نفسه أبهة الانتصار بعث الى دوكين رسالة من جملة ما تضمنته : " ... أرفض ادراج أي بند يتعلق بإطلاق سراح الأسرى الجزائريين بل يجب التأكيد لديهم لإرسال بعثة تقدم الاعتذار" . (2)

ورضخ الداي لهذه الشروط رغم معارضة مختلف الفئات. فسلم مائة وخمسين أسيرا فرنسيا لقائد الحملة . في هذه الأثناء إستطاع حاجي حسين الملقب "بميزو مورطو" وهو أحد رهائن المفاوضات ، أن يفلت من يد العدو بعد ماوعده بتسوية الخلاف وانهاء الحرب في بضع ساعات ، ودبّر مؤ مرة ضد الداي ، ونصب نفسه دايا (3) وفور ذلك أعلن أن حكومته ليست مسؤولة عن قرارات لم تتخذها . وقرر مواصلة الحرب ضد فرنسا فكان يجوب شوارع المدينة حاثا الأهالي على التصدي للعدو .

أمام هذا التحدي قرر المسؤول عن الحملة تدمير المدينة فقصفها باثني عشر قنبلة . ( ) ورغم ما خلفته هذه القنابل من خسائر رهيبة دافع السكان بكل بسالة ورفضوا الصلح مع فرنسا .

---

(1) التلمساني ، الزهرة النيرة : ص 21 .

(2) *JAL, Abraham DUQUESNE ... p.*

(3) هناك اختلاف بين المؤرخين حول هذه الحادثة . اذ يشير بعضهم الى أن الانكشارية هي التى ثارت ضده بسبب اعلانه الحرب جزافا ضد فرنسا فقتلته وجماعته بينما يذكر البعض الآخر أن الانكشارية ثارت ضده وقتلته لأنه رضي بالتفاوض مع فرنسا .

وعن نتائج هذا القصف تضاربت الآراء، فالقنصل الانكليزي ريكوت أورد التقدير التالي : " ... تقدر عدد الدكاكين والمنازل التي هدمت بثمانمائة" (1) بينما تورد مصادر أخرى " أصاب ألفين مسكنا" . (2)

وكان طبيعيا أمام الخسائر التى ألحقت بالمدينة أن تنتقم الحكومة الجزائرية لذلك . فوضعت لوفنشر قنصل فرنسا في فوهة المدفع بسبب تآمره مع بني جلدته اذ أخبرهم بأن قنبلة المدينة في النهار أكثر فعالية في الليل . ولم يكن الأب لوفنشر الشخص الوحيد الذي ذهب ضحية همجية ووحشية حكومته بل عرف نفس المصير عدد من الفرنسيين المقيمين لمدينة الجزائر . (3)

ورغم الخسائر التى ألحقت بالمدينة ، فإن الحكومة الجزائرية لم تطلب الصلح ولخص القنصل الانكليزي ريكوت موقف الجزائريين من هذا القصف كما يلي :
" .. أنظاركم هي قليلة المبالات التى أعطاها هؤلاء الناس الى القنابل الفرنسية التى أحصى عددها فكان حوالي ستة آلاف . (4)

نهاية الحرب وابرام معاهدة الصلح :

يئست فرنسا من حرب سخرت فيها معظم امكانياتها واستعملت أحدث الأسلحة

---

(1) *DELPHIN, " Histoire des Pachas ... " p. 212*

(2)

(3) *MISERMONT (L), " Les français mis à la bouche du canon à Alger en 1683 avec le Consul Jean LEVACHER "* in R.Q.H. oct. déc. 1917, p. 475.

(4) نقلا عن : وولف ، الجزائر وأوروبا ... ص 208 .

لكنها لم تسفر عن النتائج التى رسمتها لنفسها واضطربت الى استدعاء الأميرال د وكين واستبداله بالأميرال د وترفيل فأوكلت إليه مهمة التفاوض بل التعجيل به مثلما أكد عليه الملك نفسه : "ستقدم لي خدمة كبيرة اذا تمكنت من عقد الصلح ... (1)

استطاع "د وترفيل" بعد مفاوضات دامت عدة أيام يبرم معاهدة الصلح بتاريخ 25 أفريل 1684 تضمنت 29 بندا.

نصت على أن يكون السلام بين البلدين لمدة مئة سنة.

وبعد ابرام الصلح أوخذت الجزائر سفارة إلى البلاط الفنسي تشكلت أساسا من الحاج جعفر وهو من أبرز رجال الدّين وشاطر باشا وأصنا باشي . (2)

حظيت السفارة الجزائرية باستقبال الملك في 4 يوليو 1684، وتبادل الطرفان اثناء هذا اللقاء الهدايا فقدمت البعثة الى لويس الرابع عشر اثني عشر فرسا من أجود الخيول وتسلمت بالمقابل ثلاث بنادق وثلاثة مسدسات وسيفا من ركشا بالاحجار الكريمة وثياب فاخرة ومطروزات وساعة ذات ستة عناقيد والثني عشر ميدالية ذهبية وست زرابي فاخرة . (3) كما كانت هذه البعثة باربعمائة أسير . (4)

سمحت هذه المعاهدة لفرنسا من أتوجه جهودها ضد اسبانيا . وسعى كولبير الى توطيد علاقاته بالجزائر . فاقترح عليها أن يمدها بكل ما تحتاج إليه اذا ما قطعت علاقاتها مع انكلترا . (5)

---

(1) JAL, *Abraham DUQUESNE ...*, p.

(2) *Relation de ce qui s'est passé dans les négociations de la paix conclue au nom du Roy par le chevalier DE TOURVILLE avec le Bacha, le Dey et le Divan et la milice d'Alger*, Toulouse, Jean Boude, SD p. 8

(3) سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر .

(4) التلمساني ، الزهرة ، ص 23 .

(5) CAPUT REY, *La politique française ...*, p. 95

حملـــة د يشـــري على مـــد ينـــة الجزائـــر 26 يونيـــو 1688

لم يكـد ينقضـي ثلاث سنـوات على معاهدة السلـم المئـوي وتجددت النزاعـات ورجـع البلدان الى الحـرب .

تذرعـت فرنسـا لإعلان الحرب ضد الجزائر بسمـاح الحكومـة الجزائريـة ببيـع غنيمـة " فرنسيـة من طرف أحد بحارة مدينة سـلا . (1) اثر هذا الحـادث قرر الملـك مطاردة السفن الجزائريـة حيثما وجدت . (2) ويظهر جليا أن هذا الخـلاف كان من السهل على البلدين تجاوزه دون اللجوء الى أساليب مدمرة .

ولم يستطـع اسطـول " بـلان قبل " الذي وجهتـه في صائفـة 1686 أن يؤثـر على الحكومـة الجزائرية وتلتـه محاولـة أخرى بنفـس الغرض باءت هي الأخرى بالفشل .

دفعت هـذه الاستعراضـات العسكرية بالحكومـة الجزائريـة الى التفكيـر في قطـع علاقاتها مع فرنسا . وهذا ما تؤكده عـدة رسائل موجهـة من القنصـل الفرنسي الـى حكام مدينـة مرسيليـا : " ... إن الجزائر تنـوي قطـع علاقاتها مع فرنسـا ... "

(1) GRANDCHAMP (P), " Le Maréchal d'ESTREES devant Alger " in R.T. 1918, p.

(2) *Ibid.* , p.

كما نقرأ في رسالة أخرى حول نفس الموضوع : " ...لقد أخص الداي منذ عشرة أيام قرار قطع العلاقات بثلاث جلسات خاصة ...ويبدو أن الجزائر قد عزمت على اعلان الحرب إما ضد فرنسا أو ضد انكلترا .." (1)

أصبحت فرنسا عاجزة عن التصدي للبحارة الجزائريين رغم جل الاحتياطات التى اتخذتها في ذلك السبيل حيث جهزت عددا هائلا من السفن ووزعتها على مختلف النقاط التى يمر بها البحارة الجزائريون . (2)

قصف دبستري : يوليو 1688(3)

انطلق دبستري على رأس حملة عسكرية جرارة قوامها أربعة وأربعين عمارة وبمجرد رسو الاسطول بالمياه الجزائرية في 1 يوليو شرع في قنبلة المدنية ولم يحاول قائد الحملة أي تفاوض مع الجزائر . (4)

---

(1) *A.C.C.M. J/1352 Lettre du Consul André PIOLLE.*

(2) *A.C.C.M. E/53*

(3) في هذا الاثناء كانت انكلترا تبذل ما في وسعها للفوز بمكانة خاصة لدى حكومة الجزائر متخذة أسلوبا مغايرا لفرنسا وهو أسلوب الهدايا والترضية ففي الثالث والسادس من شهر يوليو 1687 وصلت إلى مدينة الجزائر سفينتان تحملان بضائع محضورة من أسلحة وغير ذلك . انظر :

- *A.N. AEB[1] 116, Mémoire du Sieur PIOLLE à Alger, le 18.7.1687*, Fol. 29

(4) انه لمن الأهمية بمكان أن أشير بهذا الصدد ، الى أن بعضهم يرى أن هذه الحملة لم تكن تستهدف مدينة الجزائر، بل كانت موجهة ضد طرابلس ولم تكن قبلة الجزائر في ذلك سوى مخادعة .

غير أنه يتسنتج مما ورد في ثنايا بعض الرسائل أن الجزائر كانت تتوقع تلك الحرب مما جعلها تبني حصن "رأس تمنفوست" وتشيد القلاع لمواجهة العدو . كما أن تخوفها من الهجوم جعلها تمتنع عن مد يد المساعدة للاسطول العثماني بعد انهزامه في معركة ضد المجر . وتشير نفس الرسائل ما فحواه: "إن هم الجزائر الوحيد ، في هذه الاثناء التصدي بكل بسالة للهجوم المتوقع ..."

حول هذا الموضوع انظر : *TURBET DELOF, La bibliographie* p.232 - 233.

استغرق القصف نحو ستة وعشرين يوما فبلغ عدد القنابل عشرة آلاف واربعمائة وعشرون قنبلة،(1) اصابت مختلف المنشآت من ثكنات ومنازل ومساجد .(2) حيث بلغت تسعة آلاف ومائتين مبنى .(3)

ونظرا لهذه الخسائر الجسيمة التي ألحقت بالمدينة تشاءم أحد التجار الانكليز كان مقيما بها عن وضعها .": إن عشرين سنة لن تجعل مدينتكم جميلة مثل جمالها السابق .(4)

ذهب ضحية هذه الحرب عدد كبير ، فبعد قتل الجزائر لثلاثة فرنسيين رد دستري بقتل ثلاثة جزائريين ، وقضت الجزائر على سبعة فرنسيين فردت فرنسا على هذا ، بقتل ثمانية عشر جزائريا من بينهم رياسين (5)

وكان رد الحكومة الجزائرية على ما ارتكبه قائد الحملة ضد الجزائر وعلى ما خلفته من خسائر في المدينة، بوضعها لأربعين فرنسيا في فوهة المدفع (6)

ان هذه الحرب رغم الخسائر التي نجمت عنها ، في مختلف المجالات على الجانب الجزائري والفرنسي لم يجن منها لويس الرابع عشر شيئا فلم يتمكن مثلما كان يزعم من املاء شروطه على الحكومة الجزائرية بل اضطر الى النزول عند رغبة الجزائريين .

---

(1) JACQUETON (G), " *La France et la Régence d'Alger* " in R.Q.H. Année 1890 Tome 48, pp 224 - 225

(2) ولف ، الجزائر وأوروبا .. . ص 208 .

(3) JACQUETON, " *La France ...* " *p. 224*

(4) نقلا عن ولف ... ص 208 .

(5) *TURBET DELOF, Bibliographie ..., p. 239*

(6)

فالتزم بتعويض سفينة أحد الرياس، وتقديم العتاد الحربي ،كما تعهد بتقديم تسعة آلاف قنبلة وأربعة مدافع بل رقائد للمدفعية لحصار وهران . (1)

فلويس الرابع عشر أعلن الحرب ضد الجزائر ، لكنه وجد نفسه عاجزا عن التصدي للبحرية الجزائرية وعن تمويل الحرب . وهو ما يؤكده نص القرار الملكي المؤرخ ب 14 سبتمبر 1689، قبيل ابرام المعاهدة .

" ...إن جلالة الملك قد أخبر بأنه يوجد في البحر الأبيض المتوسط عدد كبير من السفن الجزائرية مسيطرة على مختلف الممرات وتفاديا لوقوع سفن رعاياه في أيدي الجزائريين يمنع على مختلف السفن الخروج مهما كان الأمر .."

كما اضطر لويس الرابع عشر الى فرض ضريبة خاصة على مختلف السفن التى تعتبر الموانئ الفرنسية التجارية منها والحربية، تمثلت في ثلاثة الواحد على الطونو ، كمصدر ضمان مصدر آخر لتموين الخزينة . (3)

انتهى هذا القصف بابرام معاهدة الصلح (4) في الرابع والعشرين من شهر سبتمبر، (5) جاءت في احدى وثلاثين بندا . تناولت مختلف النزاعات القائمة بين البلدين واتفق فيها أيضا على فدي الأسرى .

---

(1) ولف ، الجزائر وأوروبا ، ص 208 .

(2) A.C.C.M. E/53

De part le Roy, le 14 septembre 1689.

(3) *Ibid.* *Extrait des arrêts du Conseil d'Etat du 10 et 25 novembre 168[illegible]*

(4) ثارت الانكشارية ضد الداي الحاج حسين بسبب قبوله لعقد الصلح مع فرنسا

(5) تعتبر معاهدة 1689 من أهم المعاهدات التى أبرمت بين الجزائر وفرنسا ، لقد ظلت القاعدة التى ترتكز عليها المعاهدات الأخرى . اذ تم تجديدها عشرين مرة .
حول هذا الموضوع انظر :
قنان جمال : " عنصر في الأزمة الجزائرية ــ الفرنسية 1827 ، وحدة التراب الوطني " ، مجلة التاريخ ، عدد خاص، 1984. ص ص 9 ــ 40 .

أرسل الداي شعبان مبعوثا عنه للبلاط الفرنسي وهو محمد الأمين[1] لتسوية الخلاف ولإسترجاع الأسرى الجزائريين، وتبادل الهدايا.

ورغم ابرام معاهدة الرابع والعشرين من شهر سبتمبر 1689 ، فإن تسوية الخلافات بصورة نهائية لم تتأت الا بعد 1694 .

(1) من أحدث الأخبار عن هذه الشخصية :

سعد الله أبو القاسم، "من أخبار شعبان باشا داي الجزائر"، مجلة التاريخ عدد 18، 1985 ص 107- 123 .

خلاصة الفصل :

بمعاهدة 1689 ـ التي كانت تضمن سلما بين البلدين لمدة مئة سنة ـ تطوى صفحة الحملات العسكرية الى غاية 1715 م تاريخ وفاة لويس الرابع عشر . أما عن نتائج هذه السياسة أي "سياسة العصا" التي اتخذها لويس الرابع عشر فيصح بهذه المناسبة ذكر قول وليام سبنسر حول نتائج سياسة أوروبا عموما ازاء الجزائر : " ... أظهرت الوقائع الثابتة أن مختلف الحملات الأوروبية التي جهزت ضد الجزائر قد أثبت عجز السياسة الخارجية الأوروبية حينما جوبهت بأمة قوية في الداخل ومصمّمة ومتحدة ... "

ومجمل القول ان فرنسا بانتهاجها أسلوب القوة العسكرية لاخضاع الجزائر أو تدميرها لم تفلح في ذلك وبهذا فهي لم تختر الطريقة الأسلم والأنجع للتعامل مع الجزائر . بينما كانت كل من انكلترا وهولاندة قد فهمتا أن استعمال القوة لاطائل منه ، فسلكتا أسلوب الترضية عن طريق الهدايا وغيرها .

ويرى بعضهم أن هذه الوضعية ـ والتي لم تكن في صالح فرنسا ـ حتمت عليها مسايرة الدول الأخرى والتخلي عن الأسلوب العسكري غير المجدي . بيد أن تفسير هذا التغيير الواضح في سياسة فرنسا لا يعود مثلما زعم هؤلاء (1) الى مسايرة الدول المسالمة بل يعود الى جملة من العوامل من بينها :

1 ـ الفشل الذريع الذي منيت به فرنسا خلال مختلف حملاتها العسكرية ضد الجزائر . فلويس الرابع عشر الذي كان يراوده حلم تدمير الجزائر أصيب بفشل فادح وانتهى الى الاقتناع بعجزه عن تدمير الجزائر ، الأمر الذي جعله يتخلى عن سياسة المجد والانتصارات عن طريق القوة

---

(1) من هؤلاء كرامون .

2 — يجمع مؤرخو عهد لويس الرابع عشر على أن الفترة الممتدة من 1685 الى 1715 فترة حرجة ، عرفت خلالها فرنسا أزمات خطيرة في مختلف المجالات وخاصة الاقتصادي منها . فالحروب العديدة التي خاضتها على جبهات مختلفة تسببت في عجز كبير في خزينة الدولة . أما على الصعيد السياسي فان الهزائم البحرية المتكررة التى منيت بها في سنوات 1690 — 1692 قد أفقدتها هيبتها وهيمنتها بل لم يعد بامكان البحرية الفرنسية مواجهة البحرية الانكليزية والهولاندية مما جعل مسالمة فرنسا للجزائر ضرورة ملحة لضرب هؤلاء .

وقبل أن ننهي هذا الفصل يبدو من الضروري تسجيل بعض الملاحظات :

أولا : ان الاسباب القريبة لتأزم العلاقات ونشوب الحروب المتكررة تعود الى مشاكل البحر من تعديات السفن الى قضية الأسرى التى أثرت تأثيرا بالغا على مجرى العلاقات .

ثانيا : ان خرق المعاهدات لم يكن طرف الجزائريين ، بل ان الفرنسيين كانوا السابقين في ذلك في مناسبات مختلفة 1628 ، 1681 ، مما يفند ما ذهب اليه جل المؤرخين الفرنسيين وغيرهم من أن سكان المغرب عموما لا يفقهون في الدبلوماسية ولا يعيرون ادنى احترام للمعاهدات. فهذا "شارل روكس" يجزم بأن يمين الجزائر لاتصدق؛ "

"وبانتي" هو الآخر يصرح : "... لقد لوحظ منذ زمن بعيد بأن الوضع الطبيعي لهذه الامم أن تكون في حالة حرب، ان كلهما لاية صناعة ولأي عمل نزيه وجسمها الطبيعي يدفعها الى ممارسة القرصنة".

ثالثا : ان هذه الحرب التى خاضها لويس الرابع عشر ضد الجزائر لم تكن تهدف الى القضاء على نشاط البحرية الجزائرية، بل إن فرنسا أعلنت الحرب كلما رأت مصالحها مهددة من طرف منافسيها ، انكلترا وهولاندا عسى أن تحصل على بعض المكاسب بالقوة، الأمر الذي عجزت عن تحقيقه .

القسم الثاني: العلاقات التجارية

الفصل الأول : المبادلات التجارية

مخطط الفصل :

- الموانئ
- الصادرات
- الواردات
- الخلاصة

المـوانـيء (1) :

قبل البدء في الحديث عن أنواع المبادلات التجارية ، من صادرات وواردات يبدو من الضروري التعرف على الموانيء باعتبارها القنوات التى تتم بواسطتها المبادلات . فما الموانيء التى عنت بهذه التجارة ؟

تكاد العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا تنحصر أساسا بين موانيء الجنوب الفرنسي وموانيء بايليك الشرق حيث تمركزت المؤسسات الفرنسية وعلى المرء أن يتساءل عن دور بقية الموانيء الجزائرية في هذه المبادلات . من المصادر الأدبية التى احتفظت ببعض المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع "كتاب وصف افريقيا لحسن الوزان" اذ سجل لنا نشاط هذه الموانيء في النصف الأول من القرن السادس عشر . تتمتد هذه الموانـيء من الغرب الى الشرق كما يلي : حنين ورشقون والمرسى الكبير ووهران ومازاغران ومستغانم وتنس وشرشال ولجزائر ودلس وبجاية وجيجل والقل واستورة وعنابة ومرسى الخراز أو القالة

حنين : تبعد مدينة حنين عن مدينة تلمسان بحوالي أربعة وثلاثين ميلا . كان مرساها مقصدا للتجار البنادقة لكن سقوط مدينة وهران بيد الاسبان كان ضربة قاضية للتجارة فوصلت بذلك مدينة حنين الى حالة بائسة (2)

المرسى الكبير : يعتبر المرسى الكبير من أكبر الموانيء فحسن الوزان ودابر " Dapper " يعده الى أنه لا يوجد له مثيل في العالم قاطبة فهو يتسع لمئة سفينة فضلا على أنه في مأمن من العواصف والزوابع . (3)

---

(1) إن كل ما نهدف اليه من خلال تعرضنا لهذه النقطة هو التعرف على هذه الموانيء التي لازالت تحتاج الى دراسة شاملة ووافية.

(2) *LEON, l'Africain (J), Description de l'Afrique,* Nouvelle éd. traduite de l'italien par A. Epaulard, Paris, Adrien, Tome 2, p.

(3) *DAPPER (O), Description de l'Afrique,* traduite du flamand, Amsterdam, Wolfgang, 1686, p.

وهران : وكان ميناء وهران هو أيضا من الموانيء الهامة عندئذ اذ كان ملتقى للتجار وخاصة منهم الجنويين والبنادقة وكانت الحركة التجارية جد نشيطة بينهم وبين الأهالي عن طريق المقايضة. (1)

مازغران : رغم صغر الميناء فهو الآخر كان محط أنظار الأوربيين لكن النشاط التجاري عبره لم يكن في مستوى أهمية الميناءين السالفي الذكر. (2)

مستغانم : من الموانيء الصغيرة هو أيضا كانت تقصده السفن الأوروبية لكن الحركة التجارية كانت ضعيفة .

تنس : ميناء تجاري ، كان منذ مطلع القرن السادس عشر نقطة اتصال بين التجار الأوروبيين وسكان الناحية فيقايضون سلعا مختلفة كالشمع والجلود والعسل وغيرها من المواد التي تتوفر عليها المنطقة . (3)

الجزائر : كان ميناء الجزائر حسب ما أكده الجغرافيون العرب قبل حلول العثمانيين ميناء مزدهرا يتوارد عليه التجار بكثرة من افريقيا واسبانيا ومن مختلف موانيء البحر الأبيض المتوسط ففي الفترة الممتدة من 1308 و 1331 دخلت ميناء الجزائر احدى وأربعون سفينة قدمت من موانيء أرغونية . (4)

ولم يغير دخول العثمانيين الجزائر في الوضع شيئا فاستمر التجار الأوروبيون يتوافدون عليه وشكل الفرنسيون عنصرا هاما في ذلك . ومع ذلك يبدو أن اسكالة الجزائر لم تكن من الأساكل الهامة بالنسبة للتجار الفرنسيين فجل النشاط التجاري انفرد به الانكليز والهلاند بين(5

---

(1) *L'AFRICAIN, Description* ... Tome 2, p.

(2) *Ibid.* p.

(3) *Ibid.* pp 355 - 356

(4)

(5) *MASSON, H.E.C.F.*, pp 155 - 156

بجايــــة : لم ينل ميــنا ء بجايـة شهرة كبيـرة بسبب فقـر المنطقـــــة . (1)

. . جيـجــل : يبعــد عن الميــنا ء السابق الذكر بخمســة عشر ميلا من أهم الموانئ في تصدير الشعير والشمـع والجلود وكان مقصدا للتجار الفرنسييــن لكن محاولــة فرنسا للاستيلاء على المدينــة جعلت التجار الفرنسييـــن يطردون منـه .

القـــل : بحلــول الفرنسييـــن أصبـح ميناء القل من أهم المـوانئ التجارية ومركــزا أساسيــا للصادرات الجزائرية نحو مرسيليـا وغيرها .

عنــابـــة : كان ميناء عنابــة سوقا للدويلات المجاورة وأحد مصـــادر التمويــن لها نظرا لما تتوفـر عليه الناحيــة من غابــات وأشجــار مثمــرة ذات شهرة تاريخيــة واهتمام سكانهــا بتربيـة المواشـــي ففي مطلع العصور الحديثـة كانت تأتيها السفن سنويا من جربــة وغيرها من المدن الساحليةالتونسيـــة ومن جنـــوة وغيرها (2). ومنذ 1560 أصبحــت أحد المراكــز الفرنسيــة الهامة .

غير أنه يظهر أن معظـم الموانئ الجزائريــة أفل نجمهــا وركد نشاطهـــا في نهايــة القرن السادس عشر باستثناء موانئ شرق الايالــة مع مشاركة ضعيفة لموانئ الوسط كمينــاء الجزائر وشرشال وتنـس . وهكذا انحصرت المبادلات التجارية أساســا مع موانئ شرق الجزائر وهو وضع يمكن تفسيره بمايلــي :

1 ــ أهميــة المرجــان بالساحل الشرقي .

2 ــ وفرة الانتاج الفــلاحي والرعوي .

3 ــ تمركــز المؤسسات الفرنسيــة بالمنطقــة .

---

(1) *L'AFRICAIN, Description ..., Tome 2, p. 361*

(2) حول تاريخ عنابــة وأهميـتها أنظر : مجلــة الأصالــة عدد خاص
وأنظر أيضــا : سعيدوني ناصر الدّين : "الحياة الاقتصادية بعنابة أثنــاء العهد العثماني". في دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ــ العهد العثماني الجزائر ، م . و . ك 1985 . ص 199 ــ 222 .

أما موانئ الجنوب الفرنسي فهي الأخرى لم تكن عديدة ، بل لم تتعد أربعة موانئ وهي مرسيليا ، وطولون وسيتات " CIOTAT " وكاسيس " CASSIS " .

مرسيليا ، لقد أهلها موقعها الجغرافي لأن تلعب دورا أساسيا في تجارة البحر الأبيض المتوسط ، حتى أنها عرفت بباب المشرق، أو بنافذة على المشرق،(1) مما جعلها تحتكر لنفسها جل التجارة مع المشرق، والمغرب أيضا ، منذ مطلع القرن السادس عشر . وأصبحت منذ 1669 صاحبة الاحتكار الكلي للتجارة .

طولون : يعتبر ميناء طولون " TOULON " ، الميناء الوحيد الذي ظل المنافس الخطير لميناء مرسيليا ، نظرا لما كانت تتطلبه حركة التصنيع القائمة عندئذ بطولون . (2)

كاسيس : لقد كان هذا الميناء أقل أهمية من ميناء طولون . وكانت مشاركته في المبادلات التجارية ضعيفة .

سيوتات : اختص هذا الميناء باستئجار السفن ، أي أن المبادلات التجارية ومعظم الحمولات التجارية ، تتم بواسطة سفن السيوتيين . أما بقية الموانئ الفرنسية الأخرى، فمشاركتها تكاد تكون منعدمة . (3)

---

(1) COLOMER (L), *Le rôle de Marseille dans les relations politiques et économiques de la France avec les pays d'orient*, Toulouse, J.Fournier 1929, p. 75

(2) MASSON (P), *Histoire du commerce français dans le Levant au XVIIè siècle*, Paris, Hachette, 1906, p. 306

(3) *Ibid.* p. 364

الصـــادرات :

تمثلت صادرات الجزائر الى فرنسا في ثلاث مواد أساسية وهي : المرجان والجلود والحبوب من قمح وشعير وفول وتليها الشموع والصوف، وأخيرا الخيول .

1 ـ المرجان (1)

شكل المرجان فرعا أساسيا من فروع التجارة الدولية خلال الحقبة التي نحن بصدد تناولها، مما جعله يحظى باهتمام جل التجار الأوربيين : فرنسيون وإيطاليون وسردينيون وجنويون . (2)

يعود هذا الاهتمام البالغ بصيد المرجان وبالمتاجرة فيه الى عوامل مختلفة منها، طموح التجار في كسب أكبر قدر ممكن من الفائدة . لقد رأوا فيه مصدر ثراء قد لا يعثرون عليه باهتمامهم بتجارة أخرى كالحبوب مثلا . (3)

كما كان دور المرجان في العمليات التجارية ،عمل استقطاب رئيسي . إذ اتخذ شكل عملة تبادل Monnaie de change بالنسبة للمتاجرين به . فبواسطته

---

(1) عرف المرجان تعاريف مختلفة حسب الأزمنة، ففي القديم كان ينظر اليه على أنه شجرة ذات عروق، وأغصان دون أوراق .أما في العصور الوسطى فقد عرف بأنه نبات يشبه الأشجار .أما التعريف الحديث له فهو: "ان الفصن الحي من المرجان هو تجمع الحيوانات متعددة فيما بينها . انظر:
الزبيري العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، 1792 ـ 1830 . الجزائر . بدون تاريخ . ص ص 65، 66.

(2) انظر الفصل الخاص بالشركات الفرنسية ـ شركة المرجان .

(3) SAVARY (J), *Le parfait négociant ou instructions générales pour ce qui regarde le commerce des marchandises de France et des pays étrangers*, 7ème éd. augmentée par Savary des Brulons, Paris, 1712, tome 2, pp 747 - 748.

يحصل التاجر على التوابل والحديد وهي مواد شغف الأوربيون بها شديدا. (1)

لقد كان المرجان موذة العصر. ولعل هذا مايفسر لنا اهتمام أولى الشركات الفرنسية التى تأسست بالشرق الجزائري بصيد المرجان. ولم يكن صيد المرجان ظاهرة خاصة بالعصر الحديث، بل يعود اهتمام أهل البروفانس وغيرهم بذلك إلى القرن الحادي عشر وما قبله. (2)

ولم تقم الشركة بعملية صيد المرجان بل تكلف به صيادين، تتفق معهم حول قضايا مختلفة كدفع الراتب والتجهيزات إلخ. وحرصا منها على أن لا يذهب المرجان المستخرج الى غيرها من المنافسين تدفع لكل قائد سفينة، مسبقا مائتين بياستر شرط أن لا يباع المرجان المستخرج سوى لمؤسسة الحصن وحدها (3) كما تتكلف الشركة هي الأخرى بضمان السفن ومختلف متطلبات عملية الصيد. ولكل سفينة رئيس وست نوتية.

ولم يتجاوز عدد السفن المستعملة لذلك الغرض أربعون سفينة، فميناء القالة لم يكن يتسع لأكثر من ذلك.(4)

وتجدر الإشارة إلى أن ممارسة صيد المرجان لا تتواصل على مدى السنة ذلك أنها تقتصر على المدة الممتدة من مارس الى سبتمبر، وهي الفترة التى يمتاز فيها البحر بالهدوء. (5)

---

(1) GIRAUD (P). " *Les Lenche à Marseille et en Barbarie* " in M.I.H.P. Tome 13, p. 21

(2) COLOMER, *Le rôle de Marseille* ..., p. 224

(3) **SAVARY, Le parfait né***gociant* ..., *pp 747 - 748*

(4) A.N. AE B^{III} 303, *Compagnies du bastion et du cap Nègre, Compagnie d'Afrique, Mémoire instructif.*

(5) RAYNAL (A.G.), *Histoire philosophique et politique des européens dans l'Afrique septentrionale*, Paris,, 1826, tome 1, p. 191

وبخصوص الكميات المستخرجة فهي تتراوح ما بين 20 و25 قنطار سنويا كحد أدنى لكل سفينة، وتبلغ الكمية الاجمالية المستخلصة أي لمختلف السفن، ألف قنطرا سنويا . (1)

وعند الانتهاء من عملية الصيد يقوم الصيادون ببيعه الى الشركة بسعر ثمانية وخمسين قرشا للرطل الواحد . وتتكلف الشركة عندئذ بوضعه في الصناديق . وبعدها يتم تسويقها بحيث يجب أن يكون الوزن النهائي لكل صندوق مائة وثلاثين رطلا . وفي مرسيليا يتم بيع الصندوق الواحد بثلاثمائة بياستر . ويخضع سعر المرجان أيضا لجماله ونقائه.. (2)

ولم يقتصر تصديره الى مدينة مرسيليا فحسب ، بل كان يوجه الى المشرق أيضا وبخاصة مصر، دون العبور بمرسيليا . وذكر "ماصون" بهذا الصدد أن حجم الكمية المصدرة الى المشرق كان يفوق كثيرا تلك التى وجهت إلى فرنسا، لما كان يدره عليها من أرباح طائلة . (3)

ان ما ذهب اليه "ماصون" يجعلنا نستنتج أن المرجان الجزائري كان يغذي الأسواق الأوربية والمشرقية معا . ويجعلنا نرجح أيضا أن كمية المرجان المصدرة الى المشرق كانت ضعف ما كان يوجه نحو مرسيليا على أقل تقدير .

---

(1) هذا العدد ناتج عن العملية الحسابية التالية . 40 سفينة × 25 ألف قنطار لكل سفينة .

(2) SAVARY, *Le parfait négociant ...*, pp 747 - 748

(3) MASSON (P), *Les compagnies du Corail*, Etude historique sur le commerce de Marseille au XVIè siècle et les origines de la colonisation française en Algérie - Tunisie, Paris, Marseille 1908, p. 121

سمحت هـذه الكميـات الهائلة لمدينـة مرسيليا أن تظل المحتـركـة الوحيدة لصناعة المرجان حتى القرن الثامـن عشر حيث إنتقلـت الـى ايطاليا (1)

وحتى يتسنى لنا التعـرف على التطورات التي عرفتها حركة التصدير لهذه المادة من ناحية. ومن ناحية أخرى لابراز مكانة حجم الصادرات خلال الفتـرة المحددة لهذا البحـث. أعددت جداول ببعض الاحصائيـات حول تصدير المرجان الى فرنسا خلال القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشـر.

أ ـ القرن السادس عشـر

المصـدر	الكميـة	السنـة
GIRAUD, Les Lenche ... pp39/40	21748 رطلا = 33805	1559 1560
MASSON, Les compagnies du Corail, p. 114	44051	1580 ـ 1579
	21601	1581 ـ 1580
	3133	1582 ـ 1581
	23823	1583 ـ 1582
	20752	1583
	18391	1584
	20038	1585
	19765	1586

(1) *COLOMER, Le rôle de Marseille ..., p. 225*

ب ـ القـرن السابـع عشـر

ملاحظـة : بالنسبـة للقرن السابع عشر لايمكننا تتبع حركة التصدير خلال مختلف السنوات لعدم توفر الوثائق فالمصدر الوحيد الذي افادنا ببعض الاحصائيات هو" التاجر الكامل ...وهو لأحد التجار اعتنى بتجارة الجلود الجزائرية وغيرها خلال خمسة عشر سنة .

المعدل السنوي وهو الحد الأدنى :20 الى 25 قنطار للسفينة الواحدة 25 قنطار × 40 (؟) سفينة = 1000 قنطار.

ج ـ القـرن الثامـن عشـر

السنـة	الكميـة	المصـدر
17 07	24000 رطلا	
1718	" 15600	
7126	" 15000	
1785	" 8970	
1786	" 8870	
1787	" 6890	
1788	" 8220	
1789	" 8190	
1790	" 2080	
1791	" 6370	

مـلاحظـة : هذه الاحصائيات ليست واردة في الملف كما هو الحال في الجدول . فالشركة كانت تسجل عدد الصناديق المبعوثة الى مرسيليا . وهذه الاحصائيات محصل عليها : نتيجة عملية ضرب عدد الصناديق . 130 رطل وهو وزن الصنـدوق الواحد .

على ضوء الاحصائيات الآنفة الذكر يمكننا استنتاج ما يلي :

1 — ظل صيد المرجان خلال القرن السابع عشر على غرار القرن السادس عشر مصدرا أساسيا بالنسبة للشركات الفرنسية وظلت حركة التصدير مزدهرة .

2 — عرفت حركة التصدير تقهقرا واضحا بعده ، أي في الثامن عشر وما يليه فبم نفسر هذا التقهقر ؟ هل بقلة في الانتاج أم بعزوف فرنسا عن تلك المادة ؟

ان "جاك سفاري" ، وهو أحد التجار الفرنسيين خلال القرن السابع عشر ، أشار إلى أنه لم يعد للمرجان نفس الاعتبار مثل القرن السادس عشر ، خاصة في فرنسا فلم يعد/ يستعمل بنفس الصورة في صناعة الحلي ، بعد تخلي النساء عن التزيين بالحلي المزخرف بالمرجان . واقتصر استعماله في الأدوية لعلاج بعض الأمراض (1) ورغم هذا ، ظلت الكمية المصدرة معتبرة .

غير أن "رينال" فسر تفسيرا آخر ضآلة حجم الصادرات وخاصة خلال القرن الثامن عشر . فالاستغلال المفرط — في نظره — الذي قامت به الشركات التي توارثت ذلك الامتياز خلال قرنين تسبب في نفاذه . ورغم أن حق الاحتكار كان لفرنسا وحدها ، فقد نافسها فيه سكان صقلية ونابولي .

ومما زاد في تناقص كمية المرجان أيضا ، اختلاس الصيادين لكميات من المرجان وتهريبها وبيعها لصالحهم في الخارج . (2)

(1) SAVARY, Le parfait négociant ..., tome 2, p. 751

(2) RAYNAL, Histoire philosophique ... tome 2, pp 92 - 93

2 — الجلـــود :

تعتبر الجلود هي الأخرى عنصرا هاما في الصادرات الجزائريـة انذاك. ومما شجع اقبال التجار عليها عدة عوامل منها : الثروة الحيوانية التى تمتعت بها البلاد وما إمتاز به بايليك الشرق عن غيره من المناطق هو وفرة الثروة الحيوانيـة حتى أن القانون المحلي جعل الأبقار ثمن العقوبة لجريمـة ما.. ".. على أن الذي يعتدى على جيرانه أو يتشاجر مع غيره، أو يتعصب لجماعة ظالمة ... تعاقبه القبيلة فتذبح عددا من أبقاره يتناسب مع الجريمـة المرتكبة". (1)

ومما ساعد على الاهتمام بها أيضا ،كونها لم تكن محضورة كالقمح والشمع والزيت فلا تخضع سوى لضريبـة تعرف باسم حق القائد وتقدر بـ 10٪ . (2)

ومن المناطق التى اشتهرت بتصديرها للجلود ، القل وعنابـة والقالـة (3) وبجاية (4) والحصـن . غير أن مدينتي عنابة والقل قد تصدرتا ذلك بعشرين ألـف جلد سنويا . (5) في حين أورد بعضهم عدد سبعين ألف جلد سنويا (6) . وساهم الحصن بثلاثة ألاف جلد والقالة بحوالي ستة الاف جلد . وظل القل المركز الأساسي لتصدير الجلود حتى بعد القرن السابع محتفظا بنفس الحجم . (7)

---

(1) الزبيري العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، ش.و ن . ت ؟ 83

(2) *MASSON, Les compagnies du Corail ... p. 135*

(3) *REBUFFAT, " Les piastres de la compagnie royale d'Afrique"*- Commerce de gros, commerce de détail dans les pays méditerranéens, XVIè au XIXè siècles Actes de Journées d'Etude de Bendor in Cahiers de la Méditerranée, 1976, p.66

(4) *DEVOULX (A), Les archives du Consul . Général*

(7) الزبيري جارة الخارجية ،.

ان ماسلف ذكـره من كميات مصدرة كان يتم عن طريق موانيء الشرق الجـزائـــري. ومما لا شك فيه أن مدنا أخرى ساهمت في هذا النشاط ، خاصة عن طريق ميناء الجزائر، وإن كانت الاحصائيـات تعوزنا بالنسبة للفترة المحدّدة لدراستنا . أما في القرن الثامن عشر، فقد كان يخرج من ميناء الجزائر سنويا ما بين عشرين ألف وخمسة وعشرين ألف جلد.(1)

وإنه لمن الأهمية أن أشير الى أن الكميـة المصدرة رغم ضخامتها لا تعكس الانتاج الوطني الحقيقي للاعتبارات الآتيـة :

- ان التجار الفرنسيين لم يكونوا أصحاب الاحتكار المطلق،
- دور المنافســة الأجنبيـة .
- دور المنافسة المحليـة بزعامة فئة الاندلسيين، التى اعتنت بصناعة الدباغـة قصـد تزويـد السوق المحليـة . ولم تكن صناعـة الدباغة مقصورة على مدينة دون الأخـرى . لقـد انتشرت في مختلـف المدن .وأشار بنـانتـي أنها واسعة الانتشار بمدينـة الجزائر(2) واشتهرت بها ضاحيـة عرفت بسوق الدباغيـن . وأكد دوفنتـان على أن الصناعـة الأساسيـة لسكـان قسنطينـة هي الدباغـة . (3)

أمام هذه الأعداد الهائلة المصدرة نحو مرسيليا على الباحث أن يتسائل عـن مصدر هذه الكميات ؟ تشير احدى الوثائق الى أن أغلبها ناتج عن الأبقار التى يتم ذبحها

---

(1) *VENTURE DEPARADIS, Alger au XVIIIè siècle*, Tunis, Ed. Bouslama, S.D p. 18

(2) *PANANTI (F), Relation d'un séjour à Alger*, Paris, 1820, p. 359.

(3) *PEYSSONNEL et DESFONTAINES, Voyages dans la Régence de Tunis et d'Alger*, publiés par M. DURFAU DE LAMALLE, Paris, Gide, 1838, Tome 2 p. 341

من طرف الأهالي . كما تساهم وفاة الحيوانات في بعض السنين هي أيضا في وفرة الجلود(1)
مما يدفعنا الى القول بأن سكان الجزائر لم يكونوا عرضة الى سوء التغذية أو أنهم كانــــوا
يموتون جوعا ، مثلما ذهب اليه جل المؤرخين الغربييــن ، كما أنهم لم يكتفوا " بالقـــوت"
أي الخبز والماء" على حد التعبير الشعبي . والا كيف نفسر ذبح تلك الأعداد الهائلة
من الأبقار وغيرها ، لو لم تكن موجهة للاستهلاك المحلي .

وغنـي عن الذكر أن الشركات الفرنسية جنت أرباحا وفيرة في ذلك ، فسعر الجلـد
الواحد لم يكن يتعدى أربعة ريالات .

وقبل أن ننهي الحديث عن الجلود نورد بعض الاحصائيات عن حركة التصديـــر .

السنة	المكان	الكمية	المصدر	
1575 ـ 1582	الموسسات الفرنسية	75974 وحدة	MASSON, Les compagnies, p. 135	القرن السادس عشر
1582 ـ 1591	" "	86000 + وحدة		
1591 ـ 1594	" "	27789 وحدة		
السنة	**المكان**	**الكمية**	**المصدر**	
المعدل السنوي	عنابــــة	20،000 وحدة	SAVARY, pp 748 - 749	القرن السابع عشر
	القـل	" 20،000		
	القالــــة	" 6000		
	الحصــن	" 3000		

(1)

الحبـــوب :

أولا : القمـــح :

كان القمح ولا يزال من المواد الأساسيـة التى تتوقف عليهـا معيشة السكان .
إن توفر القمـح يخضع في المحل الأول للعوامل الطبيعيـة، كطبيعة الأرض وطبيعـة المناخ . ومن ثمـة فإن المناطق التى لم تحظ بسخاء الطبيعة ظلت تعانـي مـــن افتقارها الى تلك المادة الحيوية .

كان الجنوب الفرنسي عندئذ من أكثر الأقاليم الفرنسية حاجة الى الحبوب فالمناخ الجاف جعله يتعـرض بين الفـينـة والأخـرى لمجاعات مهلكـة حتى أضحت مسألـــة تزويـد الجنوب الفرنسي بالحبوب ، مسألـة " حياة أو موت" . وهذا ما نـلاحظه مـن خلال القرارات الملكيـة القاضية بمنـع التجارة في حوض البحر الأبيض المتوسط . فعند ما تضطـر الحكـومة الفرنسيـة الى منـع التجارة تستثنـي تجارة الحبـوب مــــع بلاد المغـرب .

كما كانت تمنـع تصدير الحبـوب خارج حدودها عبر الموانـي ء الأخرى كسنـوات 1630 و 1631 1671 و1681.[1] وخوفـا من السنيـن الصعاب حرصـت مرسيليـا أشـد الحـرص كي لا تفلـت من يدها المؤسسات الفرنسيـة بالجـزائر لما توفـــره لهـا من كميـات هائلـة من القمـح في مختلـف الفترات .

---

(1) *A.C.C.M. H 101, Blés et grains, 1577 à 1793*
Déclaration du Roy portant défense de transporter aucuns bléds hors du royaume.

ويبدو من المفيد أن أشير بهذا الصدد الى أن تصديـر الحبـوب خارج الجزائر لم يعد مسموحـا به الا ابتـداء من سنـة 1679 اذ أقـره البند الرابع من معاهدة 1679.(1) أما قبل هذا التاريخ فلم يسمـح به لاي سبب كـــان (2) الا أن هذه المعاهدة التى أقرت السماح بتصدير القمـح حددته من حيث الكم والغاية كما يلي : "يسمـح بتصديـر حمولـة مركبيـن لتمويـن عائلات التجار المقيمـة بمرسيليـــا . (3)"
ولم يسمح بتصدير القمح بصورة رسميـة قصد تمويـن فرنسا الا سنة 1714 . (4)

ولم يكن هذا المنـع حائلا دون الشركات الفرنسيـة لتصدير القمح ، ويعـــود ذلك الى أول شركة فرنسيـة وهي شركة "لنـش". وكان يتم على نطاق جد واسع مثلمـا تثبتـه الوثائـق .

ومما شجع هؤلاء التجار منذ بداية تواجدهـم على الاهتمام بتجارة القمـح عوامـل كثيرة، منها توفر القمح بالمنطقـة، وانخفاض الأسعاره حيث لم يتجـاوز سعـر الكيلة الواحدة 2 بياستـر بالنسبة للمحليـة وثلاثة ونصف بيـاستـر للكيلةالمرسيلية.(5)

---

(1) *ROUARD DECARD, Traités ... pp*

(2) *ROCQUEVILLE (Le Sieur de) Relation des Moeurs et du Gouvernement des Turcs à Alger*, Paris, Olivier, 1675, p. 72

(3) المقصود بالتجار هنا، التجار المتواجدون بالشرق الجزائري والذين عائلاتهـم بمدينة مرسيليـا .

(4) وهي المعاهدة التى ابرمت بين باي قسنطينة "كليان حسين" والسيد دومال حاكم مدينة القالة والممثل لاعضاء الشركة الافريقية . انظر البنود 2 و3 و 6 8 . التـى حددت شروط تصدير القمح . بينما الايالـة التونسيـة سمحت بتصدير الحبـوب الى فرنسا في معاهدة 1684 .

(5) *SAVARY, Le parfait négociant ... p. 748*

كما تذكر بعض الوثائق أن سعر الكيـــة الواحدة يتراوح عادة مابين بياستـــــر ونصف الى اثنيـن ويتعداه أحيانا . ويخضع سعره بصورة عامة لعوامل مختلفة منها وفرة الانتاج بالمنطقة وسعره بأوروبا اذ كثيرا ما يرتفع في فترات القحط هنـــاك(1) على أن أكبر العوامل تشجيعا للفرنسييـن، هو قرب المسافة .

وفيما يلي جدول ببعض الاحصائيات حول الكميات المصدرة منذ البدايات الأولـى لتلك الشركات. تمتد الفترة الزمنيـة لهذا الجدول من 1575 الى 1597 أي بعد حوالي خمسة عشر سنة من تأسيس الشركة الأولى وهي " شركة لنـش" .

السنـــة	الكميـــة	الوحـــدة
1575 _ 1577	1653	كافـي *
1577 _ 1578	1637	"
1578 _ 1579	12332	"
1582 _ 1591	14592	"
1592 _ 1594	863	"
1596 _ 1597	6339	"
المجمـوع	377416.	

* يساوي الكافي ، ثلاث كيلات ونصف وزنة مرسيليـة أو ما يعادل 120 كلغ . أما عن سعر الكافي الواحد فلم يكن يتجاوز سبع ريالات

_ أعد هذا الجدول بناء على الاحصائيات التى أوردها ماصون في كتابـــه شركات المرجان ، ص : 218 .

(1) AEB^{III}_{303} *Mémoire instructif*

وعلينا أن نتساءل كيف استطاعت الشركات الفرنسية منذ بداية تأسيسها أن تصدر القمح قبل أن يرخص لها به رسميا كما سبقت الاشارة اليه أعلاه.

لجأت الشركات الى أساليب عديدة لكسب رضا الهيئات الحاكمة قصد السماح لها بتصدير القمح عن طريق التقرب من الحكام بواسطة توزيع الهدايا الى البايات وأعوانهم وحتى الباشوات . وكان يرخص لها من طرف السلطات المركزية بذلك بعد التفاوض معها، اذ تعطي لمسؤولي الشركات رخصة تصدير القمح تعرف بالتذكرة ، وفيها تحدد الكمية المسموح بها وتعطي صلاحيات تحديد الأسعار الى حكام المقاطعة، أي الباي . (1)

<u>مراكز التصدير</u> :

رغم السمة المميزة للاقتصاد العربي آنذاك وهي سمة الاكتفائية أو الاكتفاء الذاتي ، فإن خصوبة الأرض جعلت من الجزائر أحد الممونين الأساسين لفرنسا . وقد نوه بتلك الخصوبة مختلف الجغرافيين وغيرهم ممن تعرفوا على البلاد . وكانت عبر العصور من أهم المناطق المنتجة للقمح لذلك كانت إحدى المقاطعات المنعوتة بأهراء روما " Grenier de Rome في العصور القديمة .

وأكد العالم النباتي دوفنتان الذي زار الجزائر على خصوبة الأرض .

---

(1) *MASSON, H.E.C.F. , p. 526*

فنذكر أن الأرض الخصبة تعطي عادة ما بين اثنى عشر الى عشرين ويصل المردود في مناطق أخرى الى خمسين (1)

وكما سبقت إليه الاشارة أعلاه لم يكن تصدير الحبوب مسموحا به الا في حالات خاصة من ناحية ، ومن ناحية أخرى اقتصر احتكار الفرنسيين للتجارة على موانئ الشرق الجزائري ، ولهذه الاعتبارات سيقتصر حديثنا تقريبا عليها .

من المناطق التى اشتهرت بتصدير القمح ، منطقة الحصن وكانت قبيلة أولاد علي التى عرفت بشغفها وحبها لاستغلال الأرض من الممونين الأساسين لمركز الحصن فمن مركز الحصن يخرج سنويا مابين عشر الى اثنتي عشر ألف قيسة . (2) وقد نالت عنابة شهرة كبيرة بمحاصيلها الزراعية المتنوعة وبخصوبتها : " بلاد بها خصب ورخص وفواكه وبساتين قريبة .. والقمح والشعير في أكثر أوقاتها مما قدر له . (3) وبلغ المعدل السنوي المصدر من مدينة عنابة عشرين ألف قيسة . على أن أكثر المناطق خصوبة وانتاجا القالة وهذا بمعدل أربعين ألف قيسة سنويا .(4) وهو

---

(1) *PEYSONNEL, Voyages ..., tome II, p. 271*

(2) *SAVARY, Le parfait négociant ..., p.*

(3) نقلا عن : سعيد وني ، الحياة الاقتصادية بعنابة ، سبق ذكره ص: 215 .

(4) *SAVARY, Le parfait négociant ..., p.*

مايعادل أربعة أضعاف ما تصدره منطقة الحصن . وفيما يلي جدول لشبت هذه الاحصائيات .

معدل تصدير القمح خلال القرن السابع عشر

عن

طريق المؤسسات الفرنسية

المكان	الكمية بالكيلة *	الكمية بالصاع الجزائري	ملاحظات
القالة	30 الى 40 ألف	12000 00	
عنابة	20 ألف	600000	
الحصن	10 الى 12 ألف	36 0000	
المجموع	الحد الأدنى : 60 ألف كيلة الحد الأقصى : 72 ألف كيلة	1800 000 2160 000	

* تساوي الكيلة أو القيسة ثلاثون صاعا .

الشعيـــــر :

اشتهـرت مناطق كثيرة بانتاجها للشعير ، فمن مركـز الحصـن يتم تصدير نحـو خمسـة آلاف قيسـة ومن القالـة نحو ستة الآف قيسـة، ومن رأس وردية ألف قيسـة (1) ومما لاريـب فيه أن مناطـق أخرى ساهمت في حركـة التصدير لكن المادة تعوزنـا فـي هذا المجال .

الفـــول :

وكانت هذه المصارف تمد فرنسا بالفول أيضا ، فميناء القالة كان يمد الجنوب الفرنسي بما ينيف عن أربعة آلأ ف قيسـة سنويا ، يتراوح سعر القيسة ما بين / بياستر الـى واحد بياستـر . (2)

ومن مركـز الحصـن أيضا يصـدر سنويا حوالـي ألفيـن قيسـة سنويـا (3)، ومـن القالـة ثلاثـة آلاف قيسـة ( ) ومن رأس وردية ثلاثمـائة قيسـة (4)

استفادت فرنسا مـن الفـول المستورد مـن بلاد المغرب استفـادة كبيرة ، حيـث كانت تستعملـه لتمويـن جيوشها ذلك أنها كانت خلال القرن السابع عشـر في حـروب عـديدة مع جيرانها . (5)

---

(1) *SAVARY, Le parfait ...., p. 748*

(2) *Mémoire instructif.*

(3) *SAVARY, Le parfait ... , p. 748*

(4) *Ibid.* pp 748 - 749

(5) BERGASSE, *Histoire du commerce ... p. 151*

الصـــوف :

لم تحتل الصوف في قائمـة المواد المصدرة مكانا أساسيا مثل المواد المشار اليها سالفـا . ولم يكن الحجم المصدر منها ضخما .(1) حيث تحكمت في حجم فيـــه عوامل عديدة منها، حاجة السكان إليها .فصناعـة الصوف من زرابـي وأغطيـة شكلـت فرعـا أساسيـا من فروع الصناعـة المحلية .(2) اذ كانت النساء يشتغلن بالصـوف التـي يقمن ببيعهـا الى صناع الصوف بسوق الغزل .(3) وفي مدينة الجزائر خصصت الأصواف لصناعـة الأغطية للأسرى والجنود اليولداش .(4) كما أن توفرهـا لدى سكان منطقـة البروفـانس حـدد من كميـة التصدير . ولا يصدر نحو فرنسا سوى الفائض من الأصواف . فمن مـدينـة عنابـة التي اشتهرت بثروتها الحيوانيـة ، يصدر منها سنويـا مـا بين ثلاث مائة واربعمائة قنطاره وتساهم مدينة القالـة أيضا ببعض الكميـــة .(5) وسجل هذا الانخفاض في التصدير منذ القرن السادس عشر فلم يصدر في الفتــرة الممتدة من 1582 الى 1594 سوى ستين ألف رطلا .(6)

---

(1) يبدو أن تصدير الصوف الذي ظل محدودا خلال القرنين السادس عشر والسابـع عشر . عرف ارتفاعا ملحوظا خلال القرن الثامن عشر . اذ ذكر فنتـوردي بارادي أنه بلغ في احدى السنوات اثنى عشر ألف قنطار عن طريق المؤسسات الفرنسية ومن عنابة وحدها بلغ سنة 1785 25 ألف قنطار . ص 18 .
ويفســر ارتفاع حجم الصوف المصدرة بالآثار السلبية للوباء الذي اكتسح البلاد في تلك الأثناء .

(2) SHAW,

(3) *DESFONTAINES, Voyages ...., Tome 2, p. 343*

(4) *VENTURE DE PARADIS*, Alger, p. 18

(5) *SAVARY, Le parfait négociant ..., p. 749*

(6) *MASSON, Les compagnies ... p. 139*

الشمـــــع :

يعتبـر الشمـع مـن المـواد الأساسيـة نظـرا لحاجـة السكـان اليها . اذ تستعمـل للانارة وخاصـة/المساجـد . ونظـرا لندرتها أيضـا لم يسمح بتصديرها الا في اطار محدود جـدا . ويخضع شراؤها لضريبـة تدفـع للسطات المعنية . (1)

فمـن مينـاء عنابـة يخـرج سنويـا اربعمائـة قنطـار ومـن مينـاء القـل حوالي نفس الكميـة في حيـن كانت مساهمـة ميناء القالـة مائـة قنطـــــار فقـط . (2) وتعتبـر هذه الكميـات كبيرة جدا، اذ يصـل المعدل السنوي للموانيء المذكـورة الـى تسعمائـة قنطار وهو حجم لم تحققـه الشركـات الفرنسيـة خـلال القـرن الثامن عشـــر ، الذي بلـغ حسبمـا ذكـره العربـي الزبيري 880 قنطـار . (3) غيـر أن هذا الحجـم لم يبـق ثابتا بـل عرف هو الآخر تقهقـرا واضحا حسبمـا تـوردة الوثائـق فمن 725 قنطـار سنة 1785 انخفض الى 169 قنطـار سنـة 1791 ولم تبلـغ الكميـة المصدرة خلال ست سنوات (1786 _ 1791) سـوى 1235 قنطـار.(4)

---

(1) *LAPRIMAUDAIE, Le commerce ..., p. 189*

(2) *SAVARY, Le parfait négociant ..., p. 749*

(3) الزبيـري ، التجارة الخارجيـة ، ص 200 .

(4) A.N., AE B^{III} $_{315}$, *Bilans annuels de la Compagnie Royale d'Afrique.*

الخيـــــول :

يختلف هـذا العنصر عن غيـــره من العناصـر المصدّرة الأخرى ، نظـــــرا للـدور الذي يلعبـه في الحروب. لقـد كان السلاح الأساســي في الحروب البريـة انذاك، مما جعل الحكومـات الاسلامية المعادية للدويلات المسيحية ، تمتنع ، بل "تحرم" تزويدهــا بهذا السلاح الحيوي . وكان موقفها من هذا أكثر تشددا من موقف الدول المسيحية من مسألة تزويـد الدول الاسلامية بالعتاد الحربي (1) .

غير أنه يبدو أن الطرفين تخليـا بين الحين والآخر عـن هذا المبدأ الصارم لاعتبارات عديـدة . وهذا ما يفسر لنا تزويـد حكـومة الجزائــر، فرنســا بالخيــول أنــذاك .

ولا يتم شراء الخيول الا برخصـة خاصة . كما يخضع أيضا لنوعيـة العلاقات السائدة بين البلـدين كفترات السلم والتقارب. ولهذا نرى بيع الخيــول الى فرنسا يعــود الى القرن السادس عشر ، وهي فتـرة امتازت بالانسجام والوفـاق بين البلدين .

ويستدل على ذلك برسالة إحتجاج بعث بها القائد العام للبحرية الجزائرية أنذاك الى حكـام مدينة مرسيليــا أن الباشــا الحاكم انذاك سمح لأحد الفرنسييــن ويدعى " بيــيـر باسكال " بشراء عدد كبير من الخيول ،غير أن هذا الأخير ارتكـــب مخالفــات كثيرة . منها سرقه لأحد خـدام الباشـا .(2)

---

(1) وهذا ما نلاحظه من خلال أساليب بعض الدول الأوروبية للفــوز بصداقــة الجزائر. اذ كانت تبذل مافــي وسعها للحصول على ذلك ، فتزودهــا بمختلـف أنواع العتاد الحربــي كهولنــدة وانكــلترا .

(2) *PLANTET, Correspondance ... pp 2 - 3*

وبعد سلم 1689 م سمح لـ دوزو " DUSSAULT " بشراء الخيول :

" ... لقد حصلت على رخصة لشراء الخيل من أماكن مختلفة حيث توجد أحسن مرابط الخيول ووعدني الداي بالحماية المطلقة في هذا الشأن ..." (1)

كما كانت فرنسا تحصل على هذه الخيول ، كهدايا ، فكل وفد يرفق بهدية تتضمن الخيول. وكانت فرنسا أيضا تتحين أية فرصة للحصول عليها ، فعندما انتصرت الجيوش الجزائرية على الجيوش المغربية، سارع بنتشارترن " PON CHARTRIN " الى مكاتبة نواب الغرفة التجارية بـ 25 مارس 1701 . "عليكم بتقديم التهاني بمناسبة انتصار الداي على مولاي اسماعيل" وأنهى رسالته بضرورة اغتنام هذه الفرصة لشراء الخيل التى أتى بها من المغرب من الجيش المهزوم ، ولارسال خبراء لفحصها واختيار أحسنها . (2) وكانت فرنسا حينئذ في حاجة ماسة الى مثل هذه الدواب لكثرة حروبها ومتطلبات نقلها .

ويخضع تصدير الخيول الى ضريبة تمثل خمس سعر الشراء ، وقدّرها بعضهم بثلاثة عشر بياستر .

ومن أهم المراكز التى اشتهرت بتصديرها للخيول منطقة الحصن . (3) غير أن الباحث في هذا المجال لا يستطيع أن يقدم تقييما شاملا لما كان يصدر من خيول نحو فرنسا خلال هذه الحقبة . فعملية التقييم تكاد تستحيل لتعذر الاحصائيات ومع ذلك يمكننا القول أن حركة التصدير كانت محدودة وخاضعة لإعتبارات عديدة كما سبقت إليه الاشارة أعلاه .

---

(1) A.N. AE B[1] 116, *Correspondance consulaire, Alger, (1687 - 1692)* *Lettre de DUSSAULT*, Fol. 162

(2) A.C.C.M.

(3) *TURBET DELOF, L'afrique ..., p. 63*

أسعار بعض الصادرات خلال القرن السابع عشر

نوعية البضاعة	السعر	الوحدة	المصدر
المرجان	58 قرشا	للرطل	
الجلود	4 الى 6 ريالات	للوحدة	SAVARY, p. 749
القمح	واحد ونصف بياستر 2بياستر الى ثلاثة ونصف	الكيلة المحلية الكيلة الاجنبية	SAVARY, p. 748
الشعير	½ بياستر الى واحد بياستر	الكيلة	
الفول	½ بياستر الى واحد بياستر	الكيلة	
الشمع	16 الى 20 بياستر	القنطار +	
الخيل	68 بياستر	للفرس	

* القنطار يعادل 130 رطلا وزنه مرسيلية : Poids de Marseille :

الــــواردات :

إن أكبرمشكل يواجــه الباحث بهذا الصدد ،عدم توفـر الاحصائيـات ، الـتي تفيد نا لتقييم حجمها . واقتصرت معرفتنا على أنواع الواردات المتمثلة في السلع الكمالية مثل الأثاث الفاخر من ثريات وأقمشة حريرية وصوفية والجوخ والقطايفـة، والرخام، والزجاج. وهي بضائع اقتصر استعمالها على تزيين القصور وارتداء الملابس الفاخرة، وللإستعمال فـي بعض الصناعات المحلية كالطرز وصناعة الأحزمة . (1)

كما شكلت مواد التموين والذخائر الحربية سواء على المستوى الرسمي ، أوعلـــى مستوى الخواص، عنصرا أساسيـا . اذ كان ريـاس البحر هم أيضا يجلبون كل ما يتـصـل بصناعـة السفن، حتى الخشب أحيانا، رغم توفره بضواحي شرشال وبجاية التى اشتهرت بغاباتها الكثيفة . (2)

ومن ضمـن العناصـر المستـوردة أيضا، القهوة ، والسكر، (3) والجبن والعسل والفواكـه المجففـة ، والبندق، والقسطـل ، والصابون ، والورق . (4)

---

(1) MORGAN (J), *Histoire des états barbaresques*, Traduit de l'anglais, Paris, MDCCLVII, Tome 2, p. 52

(2) LESPES (R), *Alger, étude de géographie et d'histoire urbaine*, Paris, Alcan, 1930, pp 152 - 153,

(3) PERROT (M), *Alger, esquisse topographique et historique du royaume et de la ville d'Alger*, *Paris*, Ladvocat, 1830, p. 47.

(4) MORGAN, *Histoire des états* ..., p. 51

وكانت المواد المهربة ، " La contrebande " ، من ضمن العناصر الهامة أيضا. خاصة وأنها إشتملت أساسا على المواد الحربية كمسحوق البارود ، والأسلحة من بنادق وغيرها . (1) وكانت مدينة مرسيليا مصدرا لذلك رغم قرارات الكنيسة القاضية بحضر هذه السلع ، وما يترتّب عنها من عقاب شديد .

وخضعت هذه البضائع المستوردة لنظام جمركي/محكم ، فبمجرد رسو السفن التجارية بالميناء ، يتقدم تاجران من السوق مكلفان بجرد البضائع المجلوبة ، وباحصاء المبالغ المالية المتوفرة لدى التجار وبعد تقديرها يلزم كل تاجر يدفع/عشر بالمائة من قيمة مبلغه، وخمس بالمائة الى أمين الأمناء ، وواحد بالمائة كضريبة للارساء واثنين بالمائة الى قنصل فرنسا .

كما يقدم قائد السفينة الى الترجمان قفطانا أو ما يعادل 35 دوبلاه ونفس الهدية تقدم الى أمين البحر، وعشرة دوبلو الى رئيس الطائفة وخمسة عشر الى المزوار وثمانية دوبلو الى كاهية الباشا .وستة عشر أسر الى الحملاين الذين يفرغون البضائع كما كان على كل سفينة عند وصولها الى الميناء أن تمر برأس تامنفوست لحمل الحجار والصخور الضرورية لإصلاح الميناء مجانا . (2)

---

(1) PERROT, *Esquisse ...*, p. 48
- BILLIOUA, *Commerce ...*, p. 271
(2) GRAMMAYE, *Africa illustrata*, p. 34

أوجه خالص شكري الى السيد الهادي بن منصور الذي أفادني بالنص مترجما من اللاتينية الى الفرنسية .

أما صاحب قانون الجزائر، فقد أفادنا بقيمة الضرائب التى خضعت لها مختلف البضائع المستوردة . فيؤخذ على قنطار القهوة ست صيمات وعلى قنطار الفلفل الأكحل مثله، وعلى الزجاج سبع صيمات .وثلاث صيمات على قنطار البرود ، أما الحديد فيخضع القنطار الواحد الى أربعة وخمسين درهما .

وتختلف ضريبة الاقمشة حسب نوعيتة القماش الهندي المجلوب من اسطنبول يؤخذ عليه واحد وعشرين صايمة . وسبعة عشر صايمة على القماش المصري ، وثمانية صايمة عن القماش التونسي . (1)

وما يجب تسجيله بالنسبة لحجم الواردات رغم تعذر الاحصائيات هو أن القرن السابع عشر امتاز عن غيره، من الفترات ، بالرفاهية والازدهار، مما جعل متطلبات واحتياجات السكان كثيرة ومتنوعة ومتطورة . أي أن حجم الواردات خلال هذه الحقبة عرف ارتفاعا ملحوظا عن غيره من الفترات الأخرى، ورغم هذه الملاحظة فإن حجم الواردات مقارنة بحجم الصادرات كان ضئيلا . وعليه فان هناك عدة أسئلة تطرح نفسها علينا، وهي تتعلق بامكانية تفسير ضآلة حجم الواردات؟ هل بضعف القدرة الشرائية أم بتطور في الاقتصاد ؟

يتحكم في حجم الواردات كما يراه الإقتصاديون عوامل منها المستوى المعاشي وعدد السكان ووضعية الاقتصاد ،إلخ .

يتبين من خلال أنواع الواردات ، أن نسبة كبيرة منها لم تكن موجة الى مختلف فئات المجتمع اذ اقتصرت على الفئة الحاكمة كأعضاء الديوان وجماعة الرياس. كما لانرى فيها أيضا مواد ضرورية لحياة السكان باستثناء بعضها (السكر والقهوة، والصابون .فالصناعات المحلية، المختلفة ساهمت مساهمة

---

(1) قانون الجزائر ،مخطوط رقم 1378 ، المكتبة الوطنية ، الجزائر ،ورقة 7وما يليها.

أساسيـة في تلبيـة حاجـات ومتطلبات السكـان/ في المدن أو في الأريـاف . (1)

ففـي كل مدينـة انتشـرت صناعـة معينـة أو عدة صناعات تستمـد وجودها مما توفـره المنطقـة من مواد .

فمدينـة الجزائر مثـلا كانت تضم خلال النصف الأول من القـرن السابع عشر ثمانـون حدادا وماثة وثمانـون سكاكـي وألف ومائتيـن خياطا وثـلاثة ألاف نساج ومائتيـن نسـاج الحديـد .(2) كما انتشـرت صناعـة الدباغـة والصـوف بهـا ، وفي سائـر المدن الأخرى كقسنطينـة وبجاية وتلمسان وغيرهـا ، أيضا .

وقبـل أن ننهـي الحديـث عن المبـادلات التجاريـة بين البلديـن يبـدو من المفيـد الاشارة إلى أن هـذه المبادلات كثيـرة ما تعثـرت لعـدة أسبـاب . فمن جملـة العوامـل التى أثرت تأثيـرا سلبيـا واضحا ، على مسار الحركـة التجارية بيـن البلديـن ، انتشار الوباء ، فتضطر على اثـره ، الحكـومات غلـق موانئها في وجه السفن الآتيـة من الأماكن المصابة . وعانت الدول المتوسـطية في هـذه الأثنـاء مـن أوبئـة خطيرة فبمفتتـح القرن السابـع عشر عـم الوباء ايـالة الجزائر واستمـر الى 1605 .وتجـدد مرة أخرى في 1622 .(3) وبعد فتـرة انقطـاع سجلـت الـى غايـة 1640 تجـدد الداء وفي 1647 أيضا ، وفي سنوات 1650 و 1659 مع فترات انقطاع الى غاية 1678 ، وظهر من جديد في سنوات 1683 و 1686 و 1689 و 1693 .(4)

---

(1) PERROT, *Esquisse ...*, p. 44

(2) LESSEPS, *Alger ...*, p.

(3) PECHOT, *Histoire de l'Afrique ... Tome 3*, p. 71

(4) REYNAUD, *Hygiène et pathologie Nord-Africaine*,

وكانت فرنسا هي الأخرى من المناطق التى أصابها هذا الداء ، فقد عمها الوباء سنة 1625 وفي 1649 وفي 1663 وفي 1664 .(1)

وقد كانت هذه الأوبئة الخطيرة تعقبها دائما مجاعات مهلكة وهو الأمر الذي يحدد من امكانيات التصدير والاستيراد .

ومن العوامل التى أثرت على المبادلات التجارية ، موقف الحكومة الفرنسية وقراراتها القاضية بمنع التجارة مع بلاد المغرب. وهذا منذ مطلع القرن السابع عشر، ومن أهمها قرارات 1607 و1621 و1631 .(2)

كما كان للقرارات الملكية القاضية بمنع الأسفار التجارية دون "ESCORTES" على السفن التى تضمن الحركة التجارية عبر البحر الأبيض المتوسط انعكاسا على الحركة التجارية . وكثيرا ما لجأت الحكومة الفرنسية الى مثل هذه القرارات كلما وجدت نفسها عاجزة عن التصدي لنشاط البحارة الجزائريين وغيرهم .

ففي 1682 على سبيل المثال ، أعلن لويس الرابع عشر ، عن منع التجارة في البحر الأبيض المتوسط ، ونص التصريح الملكي على أنه يكون جزاء أي مخالف لذلك حجز السفينة وغرامة مبلغها ثلاثة آلاف [illegible] ولم يعلن عن السماح بالنشاط التجاري الا بعد ما أعدت السفن والبوارج المجهزة والمسلحة لحماية تجارة رعاياه ، واشترط على كل سفينة أن تكون مدعمة بستة مدافع على الأقل وأن تشكل طاقمها من مائة شخص. (3)

---

(1) BIRABEN (J.M), *Les hommes et la peste en France et dans les pays méditerranéens*, Paris, Mouton, 1975, Tome 2, p. 129

(2) A.C.M. : HH/331 *Consulat des Echelles du Levant, Consulat d'Alger, 1566 - 1626*

- DEVOULX, *Les archives du consulat* ... p. 99

(3) A.C.C.M. E/11, *Protection du commerce du Levant, Armements, Escortes et Convois, Dispositions générales (1621 - 1782)*.

وفي 1695 قرر لويس الرابع عشر منع التجارة في البحر الأبيض المتوسط وجاء في نص القرار الملكي : "...إن عدد سفن وقراصنة الأعداء تجعل الملاحة عرضة للأخطار ولهذا تمنع جلالة الملك على السفن الخروج ، باستثناء السفن التى تجلب القمح من بلاد المغرب وهو شيء لم يسمح به الا للضرورة . (1)

كما كانت العلاقات المتوترة بين البلدين نتيجة الحروب العديدة التى شنها لويس الرابع عشر ضد الجزائر من العوامل التى أثرت على مسار العلاقات التجارية وإنه لمن الأهمية بمكان أن أشير بهذا الصدد الى أن الحرب والتجارة لم يعرفا دوما نفس التقلبات أو نفس الوتيرة . اذ ضمنت المعاهدات التجارية المبرمة بين الطرفين أمن المؤسسات الفرنسية، ولم تتعرض هذه الأخيرة لأدنى ضرر في 1681 وفي 1683 .

---

(1) A.C.C.M. E/11, *Protection du commerce ....*

خلاصـــــة الفصـــــل :

يستنتـــج مما سبق عرضــه أن حركـــة التصدير ظلت متواصلـــة رغــم تصدع العلاقات السياسية بين البلدين ، بل يمكن اعتبار القرن السابع عشر على ضوء الاحصائيات السالفة الذكر بأنه من أزهى الفترات في تاريـــخ العلاقات التجاريـــــــة .

ان هذا التصدير المفرط وخاصة لمواد أساسية عندئـــذ . والتي كان من الممكـــن أن تسخـــر للصناعـــات المحليـــة ، ومن ثم تساهـــم في تصنيـــع البلاد . ساهـــم على النقيـض من ذلك ، في تطويـــر صناعـــة مدينة مرسيليـــا علـى الخصوص فبرزت الى الوجـــود صناعات عديـــدة لم تكـــن موجودة بهـــا كصناعـــة الجلود أو الدباغة وصنـــاعـــــة المرجـــان بينما ظلت الجزائـــر صاحبة هذه الثروات بعيدة كل البعد عـــن حركـــة التصنيـــع .

قد لانجـانب الحقيقـــة اذا أرجعنـــا جذور التخلف في الجزائـــر الى أواخر القرن السادس عشـــر — أي بحلـــول شركات احتكاريـــة أجنبية خدمت مصالحهـــا ومصالح بلادها — وتدعم ذلك في القـــرن السابع عشر وما بعده .

رغـم تواضع النشاط الصناعـي الذي لم يتعد اطاره التقليدي ، فانـــه استطاع تغطية حاجات الاهالي المتواضعـــة أنذاك ، مما جعـــل حجم الواردات ضئيـــلا ومقصـــورا على بعض المواد الكماليـــــة ، وبعض المــــواد الضـــروريـــة كالقهـــوة والسكـــــــر .

الفصل الثاني : التجار

مخطط الفصل :

- التجار الجزائريون
- العراقيل
- العوائق
- التجار الفرنسيون
- العملة
- الخلاصة

يتناول هذا الفصل عنصرا أساسيا في العلاقات التجارية وهو التجار. انّ المنطلق الأساسي لدراستنا لهذا الفصل هو محاولة الاجابة عن أسئلة عديدة تطرح نفسها بالحاح على الباحث وهي من كان يضمن الحركة التجارية بين البلدين ؟ ما مدى مساهمة التجار الجزائريين في ذلك ، وهل يمكننا تقييم دورهم ؟

إنّ الاجابة عن هذه التساؤلات هي مضمون هذا الفصل .

1 ـ التجار الجزائريون :

لعل أهم ما يواجه الباحث بهذا الصدد قلة المصادر ان لم نقل إنعدامها . فالفرنسيون الذين أرخوا للعلاقات التجارية مع بلاد المغرب لم يكن يهمهم دور المغاربة في ذلك. حيث أنهم ركزوا على تقييم النشاط التجاري الأوروبي ، وخاصة الفرنسي منه كي يجعلوا من العملية الاستعمارية تتويجا لذلك النشاط . مما جعلهم يظهرون الحركة التجارية على أنها تتم من طرف واحد وهو الطرف الفرنسي ، مفسّرين ذلك بعدم اعتناء المغاربة على العموم والجزائريين على الخصوص بالشؤون الاقتصادية من زراعة وتجارة من ناحية ، وبفقرهم المقدع من ناحية أخرى . (1)

ان نظرية فاحصة للاحداث تجعلنا نقتنع بأن العلاقات التجارية استندت الى طرف واحد تقريبا ، وهو الفرنسي ، اذ لم يظهر في المجتمع الجزائري فئة متميزة من التجار . (2)

---

(1) من هؤلاء المؤرخين نذكر ماصون وبوتان وجوليان وهلم جرا .

(2) ان هذه الملاحظة تبقى محددة بالمادة المتوفرة حول الموضوع والتي تمكننا من الاطلاع عليها فلسنا ندري ماتخفيه لنا الأرسيفات غير الفرنسية وخاصة منها ارشيفات دويلات البحر الأبيض المتوسط عندئذ . وتجدر الملاحظة أن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان أكثر حظا اذ عرفا عددا معينا من التجار . كما انتشرت في مدينة الجزائر بعض البيوتات كانت تعنى بالتجارة .

باستثناء اليهود الذين كان لهم دور أساسي في تلك المبادلات كما سيأتي ذكره
ويمكننا تفسير هذا الوضع بتحكم عوامل عديدة في الحركة التجارية والتي يمكن تصنيفها
الى نوعين وهما المراقل والعوائق .

المراقل :

وضمن هذا الصنف يمكن الاشارة الى :

1 – دور الغرفة التجارية بمرسيليا (1)

رغم أن نصوص المعاهدات التجارية المبرمة بين الطرفين كانت تضمن نفس الامتيازات
والحقوق للفرنسيين والجزائريين معا، فإن الفرنسيين وبخاصة المرسليين لم يعيروا أدنى
احترام لها، بل على النقيض من ذلك سعت الغرفة التجارية سعيا حثيثا الى عرقلة
التجار المسلمين عموما بشتى السبل، هادفة من وراء تلك السياسة الا تظهر بحرية
تجارية مغربية تغد و منافسة لها . وفي هذا الصدد يسجل على المرسيليين محاولتهم
العديدة لغلق ميناء مرسيليا في وجه التجار الجزائريين وغيرهم من المغاربة . اذكر من
مرة ألح التجار المرسيليون على وزارة الحربية لغلق الميناء في وجه السفن المغربية
كي تظل مرسيليا حكرا عليهم" (2)

---

(1) أنشئت الغرفة التجارية قصد حماية تجارة فرنسا مع المشرق، ولم تكن في بداية عهدها سوى عبارة عن مجلس للمراقبة والذي يعود انشاؤه الى 5 أوت 1599 اذ تقرر في تلك السنة اختيار وانتخاب أربعة مراقبين للتجارة وتم اختيار جلهم من التجار البارزين، وأضيف اليهم مكلف بالشؤون المالية ومراقب آخر. ويتم تعيينهم لمدة سنة واحدة . ولم تظهر الغرفة التجارية كمؤسسة بارزة الا في 1652 ومنذ ذلك التاريخ أصبحت هي المسؤولة الوحيدة عن تجارة فرنسا مع المشرق وعن قضايا القنصليات. للمزيد من المعلومات

- *X, La Chambre de Commerce de Marseille, 1599 - 1949*, Marseille MCMXLIX

(2) *VALENSI (L), Le Maghreb avant la prise d'Alger*, Paris, Flammarion, 1969, pp 71 – 72

كما عمدت هي الأخرى الى أساليب ازعاج مختلفة كفرض الكرنتينة وهو مايعرف عند المسلمين بنظام الحجر الصحي ، على السفن ومن على متنها . ويتضح من العبارة الأولى أن عملية العزل أو الاحتجاز لاتتجاوز الأربعين يوما ، بل وفقا للنظام المتعارف عليه بأوروبا عندئذ لم تكن الكرنتينة تتجاوز الشهر الواحد . (1) بينما استغرقت العملية أحيانا ما ينيف عن أربعة أشهر بالنسبة للتجار الوافدين من بلاد المغرب. (2)

ويظهر جليا من هذا أنها عرقلة مقصودة حتى يتخلى التجار المغاربة عن مبادرتهم المقلقة .

2 ـ القرصنة الأوروبية :

ومن العوامل التى ساهمت في عرقلة التجار الجزائريين ، القرصنة ، ولم تكن القرصنة في الفترة المجددة لبحثنا من اختصاص شعب دون غيره من الشعوب. لقد كانت ممارسة من طرف الدول المتوسطية جمعا ، وغيرها أيضا . "أن الداء كان عاما" مما جعل السفر عن طريق البحر محفوفا بالأخطار ومغامرة ليس من اليسير على كل مرء خوضها .

غير أن السفن الجزائرية لم تكن دائما عرضة لهجومات السفن الأوروبية كلها ، فسفن الدول الصديقة التى تربطها بالجزائر معاهدات واتفاقيات لم يكن في وسعها/دائما التعرض لها .

---

(1) BIRABEN, *Les hommes et la peste ..., tome 1*, p.

(2) MATHIEX (J), " *Levant, Barbarie et Europe chrétienne. Remarques sur le commerce et la course en Méditerranée de la fin du XVIIè siècle et début du XIXè* " in B.S.H.M.C. , n°2, 1958, p. 4

غير أن بعض الدول التى ظلت في عداء مستمر مع الجزائر مثل اسبانيا وجمهورية نابولي ودوقية تسكيانا والبندقية قد جعلت من محاربة الاسلام في تلك الأثناء سر وجودها، فكانت ترى أنه من واجبها الابقاء على سفنها وبوارجها لمطاردة السفن المغربية وخاصة الجزائرية . فمن جملة التعليمات التى أعطيت لربان السفن "عدم التعرض الى السفن التجارية باستثناء السفن الحاملة للعلم التركي". (1)

كما عملت فرنسا هي الأخرى رغم ارتباطها بمعاهدات سلام وصداقة على عرقلة نشاط التجار الجزائريين مستعملة في ذلك فرسان مالطة الذين عرفوا بحقدهم على الاسلام ولعب هؤلاء دورا أساسيا في مطاردة السفن الجزائرية، وهو ما يتضح من قولهم حول الهدف المتوخى من مطاردة الجزائريين: " ... إن هدفنا الأساسي يتمثل في منع الأتراك من نقل بضائعهم على متن سفنهم وعلى ابقائهم في تبعيتنا ". (2)

ويبدو من المفيد أن نذكر بأن فرسان القديس يوحنا بمالطة وفرسان القديس ستيفان لم يتوقفوا عن تعدياتهم ومطاردتهم للسفن الاسلامية التجارية أو غيرها رغم الهدنة الموقعة بين السلطان العثماني واسبانيا . (3)

وتجدر الاشارة أيضا الى أن عدد فرسان مالطا في البحر الأبيض المتوسط كان يتزايد كلما لوحظ نشاط متزايد من طرف البحارة الجزائريين والمغاربة .

---

(1) MATHIEX, " Levant, Barbarie ... " p. 7

(2) MATHIEX, (J), " Sur la marine marchande barbaresque " in AFSC, 1958 pp 89 - 90

ويرى بعضهم أن ازدهار التجارة الفرنسية كان مرهونا بالقرصنة المالطية إذ أن ظهور فرسان مالطة بتلك الصورة جعل الجزائريين يضطرون الى استعمال سفن غيرهم، وخاصة السفن الفرنسية حرصا منهم على الأمن . (1) فكانت جل العمليات التجارية (chargements) من نصيب اصحاب السفن الفرنسيين وعلى وجه التحديد من طولون ومرسيليا وسيوتات وكاسيس. (2) وهو أمر اثبتته الوثائق المتعلقة بعقود الاستئجار ذاتها وكانت عملية استئجار السفن تدر عليهم أرباحا طائلة ، فكان ينظر لها حينئذ على أنها تجارة جد مربحة . (3)

ولم تكن تلك السياسة وليدة الصدفة اذ نقرأ في احدى الوثائق مانصه: "... إنه لفي صالح تجارتكم أن يظل هؤلاء الناس(الجزائريون) ، في تبعيتكم ..."(4)

فضلا عن ذلك ،عمد القراصنة الفرنسيون بأساليب شتى من التحايل ، كاستعمال سفن وجوازات سفر غيرهم لمطاردة السفن الجزائرية ، وهي مسألة كثيرا ما كانت مصدر خلاف بين الحكومتين ومثار احتجاجات الحكومة الجزائرية وهذا ما نقرأه في احدى الرسائل : " ...ونعلمكم أيضا أن رعاياكم يبحرون على متن سفن ليفورنية وجنوبية واسبانية وهولاندية ... وفي حالة عثورنا

---

(1) MATHIEX, " *Levant et Barbarie* ... " p. 6

(2) A.O.M., 45 MI

(3) COLOMER (L), *Le rôle de Marseille* ... p. 227

(4) A.C.C.M. G/34, *Rapatriement des turcs ... Lettre de Toulon, 1628.*

عليهم في سفن اعدائنا سنقبض عليهم لأنهم رعايانا ويتسببون في وفاتهم". (1)

ولعب القراصنة الخواص الذين يبحرون بدافع السلب والنهب دورا أساسيا في مطاردة السفن الجزائرية. فكلما لوحظ تزايد في حركة التجار المسلمين عموما يتكاثر عددهم بسرعة فائقة.

وعلى ضوء ما سبق ذكره يتضح أن سياسة فرنسا وأوروبا المسيحية معا كانت تستهدف ضرب الحصار على المسلمين والتي كانت احدى مقومات السياسية الأوروبية ازاء المسلمين.

علاوة على هذه العقبات المصطنعة والمقصودة التي استهدفت عرقلة التجار المسلمين عموما والمغاربة على الخصوص دون غيرهم اعترض سبيل التاجر الجزائري جملة من العوائق الموضوعية .

ب - العوائق :

1 - التأخر التقني :

عرفت التجارة على غرار مختلف المجالات الأخرى تطورا ملحوظا . تجسد في التقنيات الجديدة التي ادخلت على نظام التعامل التجاري وخاصة منها ما يتعلق بالقضايا المالية وقضايا التنظيم ، في حين ظلت دراية الجزائريين في هذا المجال جد محدودة. ومن جملة الأشكال المتطورة

---

(1) ARVIEUX, *Mémoires*, tome 5, pp 105 - 106

التى عرفها التعامل التجاري :

<u>تشكيل الشركات :</u>

أمام تعذر الامكانيات الضرورية لاقتحام ميدان التجارة ، لجأ التجار الى تأسيس الشركات حتى يضمنوا لأنفسهم الرأسمال الكافي للقيام بعمليات تجارية ناجحة ومربحة . اذ يمثل الرأسمال أساس التجارة . (1)

وإن لم ينعدم عندنا استعمال هذا الاسلوب، فانه لم يتصف بالدوام . إذ قد توجد شركة ما بغرض عملية تجارية واحدة وتنخصم مباشرة بعد ذلك بينما قدر للشركات الأوروبية وللشركات الفرنسية على وجه الخصوص أن تستمر عدة سنوات .

<u>الربا</u> : - عمد التجار ، والشركات التجارية أيضا الى الربا ، لكن عقلية المسلم حينئذ كانت تعارض معارضة شديدة اتخاذ هذا الأسلوب المنافي للشريعة .

ورفض التجار المسلمون عموما ، الجوء الى أساليب الحيل والخداع فبشهادة المؤرخين الفرنسيين أنفسهم أعتبر التجار المسلمون أنزه التجار في هذه الفترة . (3)

---

(1) SAVARY, *Le parfait négociant ... p. 750*

(2)

(3) نفسه .

- **العـــزلـــة :**

خلفت الحروب الصليبية البرية منها والبحرية نوعا من الحذر والارتياب في نفوس المسلمين . شكل ذلك عائقا كبيرا للاحتكاك والتعرف على الطرف الآخر ورغم أن أوروبا أو "دار الحرب" استطاعت أن تخرج من اطارها الضيق ، اذ ساعدتها النهضة الأوروبية ، وما ترتب عنها ، من تجاوز تلك القيود . الا أن "دار الجهاد" ظلت رافضة الاحتكاك والتعامل مع "دار الحرب" . فأصبحت المجتمعات العربية الاسلامية تتسم بالانطواء على ذاتها وبالتقوقع على نفسها .

فبحكم العقلية السائدة عندئذ ، انتاب الرجل الجزائري نوع من الحذر والارتياب من كل ما هو غير مسلم . ومما زاد في توطيد هذه العزلة ، انعدام وجود مراسلين رسميين دائمين بالبلاد المسيحية في حين لعب القناصل الأوروبيين دورا أساسيا في ذلك. (1) رغم أنه يبدو أن الجزائريين هم أيضا كان لهم من يخدمهم من الأوروبيين انفسهم من فرنسيين وغيرهم يزودونهم بالمعلومات العسكرية والاقتصادية على حساب الدول المسيحية وهم المعروفون "بالكرنداشي" أي الإخوة" . (2)

---

(1) MATHIEX, " Levant et Barbarie ... " p. 4

(2) TURBET DELOF, L'Afrique ... p. 188

ومما زاد في توطيد هذه العزلة العوائق الاجتماعية الناتجة عن اختلاف الحضارتين ولعل أكبرها عائق اللغة والدين .

فالتاجر الجزائري الذي يغامر بنفسه ويسافر ببضائعه، يواجهه مشكل كبير عند ما يصل الى ميناء مرسيليا وغيرها ، حينما يتعلق الأمر بالتفاهم ولم يكن في ميسورهم دوما اللجوء الى المترجمين .

ولم يكن المجتمع الفرنسي في مرسيليا مشجعا على أن يقيم التجار الجزائريون وأن يحيوا به حياة عادية . فلم تتوفر فيه أية ضمانات ولم تتوفر فيه أيضا أية مرافق خاصة بالمسلمين مثلما هو الحال بالنسبة للمسيحيين في الجزائر وباقي أرجاء الإمبراطورية العثمانية .

على أنه في مدينة مرسيليا وجدت مقبرة تعرف بمقبرة المسلمين وفيها اتخذ المسلمون موضعا لاداء شعائرهم كالصلاة مثلا .

غير أن الاشراف على هذه المقبرة لم يكن من طرف المسلمين ، مما نتج عنه مشاكل كثيرة ، ولم يعط مفتاح المقبرة للمسلمين . كما لم يسمح لهم في كثير من الأحيان الدخول اليها بحجة أو بأخرى مما كان يثير احتجاج الجزائريين . (1)

---

(1) A.C.C.M. G 48, Affaire du Cimetière Musulman à Marseille.

3 - **النظام الجمركي :**

* النظام الجمركي الفرنسي :

لكي تحمي مرسيليا تجارتها من أية منافسة أجنبية، ويظل الاحتكار الكلي للمرسيليين ، فرضت ضرائب باهضة على التجار الأجانب فكان على كل سفينة تدخل ميناء مرسيليا دفع عشرين بالمائة من قيمة حمولتها . والتزمت الغرفة التجارية بهذه الضريبة حتى أواخر القرن السابع عشر عندما استبدلتها بضريبة أخرى وهي : "le droit de tonnelage" (1) .

أما قيمة الضريبة المأخوذة على السفن الفرنسية المتعاملة مع المواني' المشرقية والمغربية لم تتعد ثلاثة بالمائة سواء كانت البضائع فرنسية أوغيرها. (2)

وبصفة عامة خضعت السفن الفرنسية لثلاثة أنواع من الضرائب .

- حق القنصلية
- الكوتيمو(2)
- [illegible]

(1) *BOUTIN [illegible], Anciennes relations diplomatiques et commerciales avec la Barbarie (1515 - 1830)*, Paris, 1902, pp 227 - 228

(2) A.N. AEB ^{III} $_{238}$: *Mémoire concernant les différents droits qui se perçoivent sur les vaisseaux et bâtiments faisant commerce dans les échelles du Levant et de Barbarie.*

(3) حق الكوتيمو، فرضت هذه الضريبة من طرف الغرفة التجارية بمرسيليا على مختلف البضائع التي تصل الى مينائها . ونظر للشكاوي العديدة التي تقدم بها التجار ألغاها الملك لويس الثالث عشر .

النظـام الجمركـي الجزائـري :

ضريبـتي الإستيـراد والتصديـر :

يؤخذ على مختلف السفن دون تمييـز 5، 12 بالمائة سواء كانت جزائريـة أو أوروبيـة أو يهودية. (1) أما ضريبـة التصدير فكانت 5، 2 بالمـائة. (2)

ولا يمكننا تفسيـر ارتفاع الضريبـة الأولى إلا بحمايـة السوق المحليـة من منافسـة البضائـع الأجنبيـة.

واستطاعت فرنسا، بعد أن تمكن الانكليز من تخفيض ضريبـة الاستيراد، أن تحقـق هي الأخرى نفس المكسب، اذ انخفضت الى 5 بالمائة ولم يطرأ أي تغيير على رسـم التصدير. واستثنـي اليهود من هذا التخفيـض، مما جعلهم يلجأون الى أساليب الحيل والخداع التى برعوا فيها. (3)

ومن جملة الضرائب التى فرضت على السفن ضريبة تعرف عند البعض برسم الارسـاء وعند البعض الآخر بتكلفـة الميناء. ويتضح من العبارة، أنها وجهت خصيصا للعنايـة بالميناء، ولم تكن قيمتها معتبرة. تختلف هذه الضريبـة عن سالفاتها في كون مبلغهـا قارا ولا يحدد وفقا للحمولـة أو لنوعيتها، بل تحدد جنسيـة السفينـة نفسها فلا تدفع السفن الجزائريـة سوى عشرين بياستر بينما يفرض على الدول المسيحيـة الصديقة ضعفه.

---

(1) نلاحظ هنا أن الضريبـة موحـدة كما نلاحظ أيضا أنها منخفضة بكثير عن الضريبة الفرنسيـة مثلما رأيناه أعـلاه.

(2) TASSY (LAUGIER DE), *Histoire du Royaume d'Alger*, Amsterdam, MDCCXXV, pp 293 - 294.

وانظر أيضا :

- MORGAN, *Histoire des Etats ... pp 48 - 49*

(3) PERRUT, *Alger, esquisse ..... p. 141*

وفرض على سفن الدول غير الصديقة ثمانين بايستر. ولا تدفع السفن التي لا تتمكن من القيام بعملياتها التجارية سوى نصفها . (1)

وما يمكن ملاحظته قبل أن ننهي الحديث عن النظام الجمركي، أنه لم يكن هو الآخر مشجعا للتجار الجزائري . اذ خضع الجزائريون لنفس النظام فيما يتعلق بضريبتي الاستيراد والتصدير، وان كان قد حظي ببعض الامتيازات فيما يتعلق بالضرائب الأخرى .

4 _ **الاحتكار : أو احتكار الدولة :**

على أن أكبر عائق اعترض سبيل التاجر الجزائري ، احتكار الدولة لمواد أساسية وأحيانا لمختلف المواد . اذ البائع الوحيد هو الباشا ولا غيره . وهو نظام أعتمده الحكام منذ القرن السادس عشر . اذ أورد هايدو أن الباشا "حسن فنزيانو" احتكر لنفسه مختلف السلع ، من قمح وزيت وعسل".. حتى أن الانكشارية أصبحت تقول له "إن كل مايباع في السوق هو ملكك" (2) .

وقد اعتمد معظم الحكام هذا الأسلوب ، لما يدره عليهم من أرباح . وكان هذا الاحتكار عائقا في وجه التجار. (3)

---

(1) PERROT, *Alger, esquisse ... p. 41*

(2) HAEDO, *Histoire des rois ... pp 170 - 171*

(3) سبنسر ، الجزائر في عهد رياس البحر ، ص122 .

5 - ضعف الامكانيات :

* - السفن : إن أولى متطلبات التجارة البحرية ، السفن . وغني عن الذكر أن صناعة السفن بالجزائر في هذه الحقبة، قد حظيت بعناية خاصة، منذ العهد الأول . إذ يعود تاريخ انشاء الترسانة أو دار الصناعة الى حوالي 1586 ويعزو بعضهم هذه المبادرة الى الباشا أعرب أحمد .(1) لكن الانتاج لم يكن مرتفعا، فلم يكن يصنع فيها أكثر من سفقتين في آن واحد .(2) وكان توفر السفن وصناعتها ، معضلة أساسية واجهها الحكام ، ورغم التقلبات السياسية والاقتصادية ، لم تنقطع الجزائر عن صناعة السفن وكانت ناحية شرشال لما توفره من خشب مصدرا أساسيا لها . حتى منتصف القرن السابع عشر وبعد نفاذ الخشب اتجه الحكم الى استغلال غابات بجاية . (3)

لهذه الاعتبارات خصصت مختلف السفن المصنوعة وغيرها الى البحرية العسكرية، ولم يعط للبحرية التجارية أي نصيب لما كانت تتطلبه ظروف الدفاع عن الشواطئ وحماية البلاد من الترحشات الأوروبية .

وأمام قلة السفن المخصصة للتبادل التجاري ، لجأ التجار الجزائريون الى استئجار السفن الأوروبية وخاصة منها الفرنسية . فكانت جل العمليات التجارية

---

(1) LESPES, *Alger* ... p. 112

(2) GAUKLER (Ph), *Le port d'Alger, 1530*, 1902, chaire, 1902, p. 36

(3) BELHAMISSI, *Histoire de la Marine* , pp 49 - 50

الجزائريـة من نصيـب المرسيليين، والبوتـيين والطولونيـن . ولـم تكن عمليـة استئجـار السفن في متناول كل التجار، لما تتطلبه من تكاليـف غاليـة .

وما تجدر ملاحظته هو أن تأخير السفـن الأوروبيـة من طرف المسلمين ليسـت ظاهـرة خاصة بالعصـور الحديثـة، فهي تعود الى ما قبل القرن الحادي عشر الميلادي، رغم تفوق المسلميـن البحري في هذه الحقبـة . كما أن استعمال الوساطة المسيحيـة واليهودية كانت هي الأخرى شائعة عندئذ . (1)

الرأسمـال :

ومن العقبات التى اعترضت سبيـل الجزائريين للخوض في ميدان التجارة، عدم توفر رؤوس الأمـوال .

أمام هذه الصعاب والعراقـل كادت المبادرة الجزائريـة أن تنعدم وفسح المجـال لليهـود الليفـورنييـن وغيرهم .

ولعل هذه الأسباب، هي أيضا تفسر لنا عدم تمكن الجزائريين من تكوين بحريـة تجارية في حين استطاعـوا تكوين أكبر قوة بحرية عسكريـة دوخت العالم .

وفيما يلي قائمة باسماء "التجار" الجزائريـين" وهي جزئية اذ لم تتوفر لدينا الوثائـق الكافيـة لاحصاء واعطاء قائمة شاملة، فهي تمتد من 1674 الى 1694 .

نرى من خلال هذه القائمـة أن اسما واحدا يوحي بأن أحد التجار، وهو الحاج علي بن يوسف/ جزائري وآخر من الاقليـة التركية وهو محمد أفندي وآخر وهو الحاج علي رايـس مـن طـائفـة الريـاس، أما البقيـة فهـم مـن اليـهـود الجزائريـيـن .

---

(1) *DUFOURCQ (Ch.E) " Commerce du Maghreb médiéval avec l'Europe chrétienne et marine musulmane, données connues et petitiques en suspens "* in actes du 1er Congrès d'Histoire et Civilisation du Maghreb, Tome 1, Série Histoire n°1, pp 161 - 187.

قائمة ببعض الأسماء التجار الجزائريين

خلال القرن السابع عشر

الاسم بالعربية	الاسم بالفرنسية	المصدر
- بن جامان ساكوطو	BENJAMIN SCUTTO	A.O.M. 45 MI
- موسى	MOISE	
- اسحاق كيان	ISAAC COUEN	
- صموئيل هنريكاز	SAMUEL HENRIQUEZ	
باروخ	BARUCH	
- سليمان كيان	SALOMON COEN	
- ابراهام (ابراهيم ؟)	ABRAHAM	
- جوزيف	JOSEPH	
- موسى كيان	MOISE COUEN	
- روبان ميانة	RUBEN MIANA	
- حمران عمر *	HAMRAN OMAR	
- موسى قابيصن	MOISE GABISON	
- صموئيل	SAMUEL VAYT	
- الوارنغي	ALUARENGUE	
لوساد	LOUSSADE	
- يعقوب ماخيور	JACOB MACHIORRE	
- هارون دي باز	AORON DEPAZ	
- الحاج علي بن يوسف		
- محمد أفندي		
- الحاج علي رايس		

ملاحظة : يرد بعضهم بصيغة تاجر جزائري ، وبعضهم بصيغة تاجر يهودي جزائري

2 ـ التجـار الفرنسيـــون :

تركزت العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا مع الساحل الجنوبي أما يعـــرف بالبروفانـــس. لعب فيها سكان مرسيليا ـ والتى أهلها موقعها مكانة نافذة على المشــرق دورا أساسيـا ، وشاركهـم فيها أيضا الكاولونيـون والسيوتيـون وغيرهم .

ويمكن تمييـز نوعين من التجار : التجار الخواص أو الأحرار الذين لا تربطهم اتفاقيات بالحكومة الجزائرية على عكس الشركـات التجارية التى تمثل النوع الثاني.(1)

تختلف علاقة التجار بالموانـي ء الجزائرية عن البعض الآخر. صنف لا تربطه بها ســوى بعض العمليـات التجارية من بيع وشراء كلما سنحت الظروف بذلك ، بينما فضل صنـف آخر تعاطي التجارة بالموانـي ء الجزائرية والاستقرار بها . وهم الذين يمكن أن نطلق عليهم تسميـة "التجار المقيمون"(les négociants résidents) .

يعود توافد الصنف الأول على مدينة الجزائر(2) الى القرن السادس عشـر. إذ ذكـر كريـون" GRILLON" أنه توافـد على مدينـة الجزائر أربعة وخمسون تاجرا ، جلهم من مدينـة مرسيليـا ، في الفتـرة الممتـدة مـن أفريـل 1578 الى 1582 وهــي الفترة التى أعقبـت بقليـل انشـاء القنصليـة الفرنسيـة بمدينـــة الجـــزائـــر. ويشيـد كريـون بأهميـة هـذه الفتـرة . "إنهـا العصـر الذهبـي للتجـار الفرنسيين رغـم أن المدينـة لم تكـن تعني كثيـرا بالتجارة . (3)

---

(1) نظرا لأهمية الشركات الفرنسية التى احتكرت التجارة الخارجية لبايلك الشـــرق أفـردت لها فصـلا خاصا بها .

(2) تعتبر مدينة الجزائر، المدينة التى توافد عليها التجار الخواص اذ كانت موانيء الشرق الجزائري من احتكار الشركات الفرنسية. أما ميناء وهران فكانت تحت الاحتـــلال الاسبانـي .

(3) *GRILLON (P), " En marge d'un manuscrit ... "*

وانظر أيضا :

- *" Origines et fondation ... pp 16 - 17*

وأكد " هايدو " الذي عاصر هذه الحقبة على أن جل النشاط التجاري الذي يتم بمدينة الجزائر انفرد به التجار الفرنسيون . (1)

أما التجار المقيمون بمدينة الجزائر ، فلم يكن عددهم معتبرا مثل الصنف الأول . أوعز مختلف المؤرخين ضآلة عدد هؤلاء التجار الى موقف الحكومة الجزائرية، وبالدرجة الأولى الى المعاملة التعسفية التى تعرضت لها الجالية الفرنسية عندئذ . الأأنه يتضح من النصوص التشريعية الخاصة بالجالية الفرنسية في مختلف أحاء الامبراطورية أن ذلك يعود الى موقف الحكومة الفرنسية نفسها ، إذ عملت بشتى السبل للحد من عدد تجارها خارج حدودها .

فمن شروط الإقامة في بلد ما أن يناهز الشخص سن الخامسة والعشرين، ولا يستطيع التجار الإلتحاق بالاسكالات (les échelles) ما لم تمنح لهم الغرفة التجارية بمرسيليا رخصة خاصة ، وهي بمثابة شهادة اقامة . (2)

ومن العوامل التى عملت على الحد من عدد التجار ، حرمانهم من الحياة العائلية نظرا لحياة العزوبية التى فرضت عليهم . (3)

وما تجب ملاحظته ونحن بصدد الحديث عن الموانع ، أن هذه الشروط لم تقم حائلا دون توافد الفرنسيين على مختلف اسكالات المشرق والمغرب، ليس هذا فحسب بل نجد هؤلاء التجار قد تجاوزوا مختلف العوائق الاجتماعية والثقافية والدينية .

---

(1) *HAEDO, Topographie* ...

(2) *FERAUD GIRAUD, De la juridiction française dans les échelles du Levant et de Barbarie*, Paris, Durand, pp 51 - 52

(3) *BLAVIN, La condition et la vie des français dans la régence d'Alger*, Alger, A.Jourdan, 1899, p. 54.

ولم تكن اللغة عائقا كبيرا في سبيل التجار الفرنسيين . فاستعمال اللهجة الفرنكية " la linqua france " وهي خليط من اللغات الاسبانية والايطالية كوسيلة للتخاطب والتفاهم (1) في المجتمع الجزائري سهل عليهم الاتصال بل أن بعض الأوروبيين من الذين ترددوا على الجزائر كانوا يحسنون اللغة العربية (2)

كما كان المجتمع الجزائري أيضا مساعدا على توافد الأوروبيين، اذ وفر لهم مختلف مرافق الحياة، ومختلف الحريات.

فبالنسبة للفرنسيين، ضمنت معاهدة 1666م حقوقا وامتيازات عديدة لمختلف عناصر الجالية الفرنسية بما فيها التجار اذ أقر البند السابع حرية ممارسة الديانة المسيحية للقنصل ومختلف رعاياه وأعطى البند الثاني عشر مكانة خاصة للتجار الفرنسيين " يحظى مختلف التجار الفرنسيون الذين يتاجرون بموانيء مملكة الجزائر بمعاملة خاصة فيما يتعلق بالرسوم الجمركية على غيرهم من الأمم الأخرى" .

وجعل البند الحادي عشر مسؤولية جرائمهم متوقفة عنهم وحدهم وحدد أيضا كيفية النظر في تلك القضايا : " اذا احدث وأساء أحد رعايا جلالة الملك الى أحد الاتراك، يمكن معاقبته اذا قبض عليه بعد اعلام القنصل ولا يمكن أن يحمل القنصل أوغيره نتائج هذا الفعل ".

---

(1) *DAN, Histoire de la Barbarie ... p. 47*

TURBET DELOF, L'Afrique ... p. 188

وكان البند الثاني والعشرين من معاهدة 25 أفريل 1684 أكثر وضوحا : "إذا اعتدى أي فرنسي على تركي أو عربي لا يمكن محاكمته الا بعد استدعاء القنصل ليدافع عنه. (1)

ولا يفصل القانون المحلي في الخلافات التي تنشب بين الرعايا أنفسهم بل يطبق في مثل هذه القضايا القوانين السارية في فرنسا وتفصل فيها المحاكم القنصلية. وهي تضم القنصل ويكون رئيسا ونائبان عن الأقلية " la nation " فضلا عن أربعة اشخاص بارزين. ولها مختلف الصلاحيات للنظر في حل الخلافات التي قد تنشب بين التجار والبحارة وغيرهم في المسائل التجارية والمدنية وغيرها.

أما من حيث المسكن، فتتجمع بيوتهم عادة حول بيت القنصل. ويقطن مختلف التجار نفس الحي. أما في بقية المدن حيث تواجد الفرنسيون كالقالة، وعنابة، وغيرها، تجمعت بيوتهم في عمارة واحدة تعرف بالفندق. (2)

3 ـ العملة :

قبل الانتهاء من الحديث عن التجار، يبدو من الضروري التطرق الى العملة باعتبارها وسيلة التجار الأساسية.

لم تكن العملة النقدية واسعة الانتشار وكثيرة التداول بين الناس بل ظلت الى القرن السابع عشر محدودة الاستعمال وحتى بعده. ويؤكد هذا "رينال" بقوله:

---

(1) X, Recueil de [illegible], traité de [illegible]

(2) [illegible], La condition ... p. 47

إن النقد قليل الاستعمال في الجزائر وأكثرية السكان تدفن نقودها تحت الأرض خوفا من تعسف النظام الحاكم" .(1)

ورغم هذا فإن ما اتصفت به العملة الأيالة الجزائرية خلال الفترة المحددة لبحثنا وحتى قبلها وبعدها هو تنوعها وتعددها فمنها المحلي وغير المحلي .يتم ضرب الصنف الأول بمدينة الجزائر بدار السكة ويذكر سالفاقو الذي زار مدينة الجزائر في النصف الأول من القرن السابع عشر، أنه يتم ضرب العملات الذهبية والفضية وهي تضرب باسم السلطان الحاكم انذاك(2)

وبالنسبة للعملات المحلية فهي على ثلاثة أنواع وهي : البوربة " BURBAS " تحمل على الوجهين أسلحة حاكم الجزائر، والأسبر" ASPRES " وهي من النوع الصغير، مربعة الشكل وعليها حروف عربية، وأخيرا الدوبلو ـ DOUBLE - DOUBLA أما العملة الذهبية المحلية فيتم ضربها بمدينة ا تلمسان وهي أيضا على ثلاثة أنواع : نوع يعرف ب RUBIE وتساوي 35 أسبر والنوع الثاني" MEDIANS وتساوي 50 أسبر ، أما النوع الثالث فهو المعروف بالزياني ويساوي 100 أسبر. (3)

وتمتاز العملات الذهبية بكونها كبيرة ودائرية الشكل .

---

(1) *RAYNAL, Histoire philosophique, Tome 2, p. 165*

(2) *GRANDCHAMP (P), " Une mission délicate en Barbarie. Jean Baptiste SALVAGO "* in R.T. 1937, p.

(3) *DELACROIX, Relation ... p. 67*

أما الصنف الثاني ، أي العملات الأجنبية فقد غزت الأسواق الجزائرية حتى أصبح لا يستعمل سواها كالسلطاني الذهبي و ،ور تيكال الفاسية " MORTICALS "،(1) والسلطاني المغربي ، والهولاندية والاسبانية و les sequins de Venise ولم تكن هذه النقود ذات قيمة ثابتة بل تختلف قيمتها حسب احتياجات الحكومة غير أن التغيرات التى تتعرض لها ليست جوهرية . (2)

ومصادر العملات الأجنبية عديدة فمنها ما يصل الى خزينة الدولة عن طريق الاتاوات والهدايا الدولية وهو ما يفسر بالدرجة الأولى تدفق عملة أوربا الشمالية وعن طريق فدي الأسرى والمؤسسات الفرنسية بالشرق الجزائري أيضا . (3)

ورغم تنوع العملات المحلية منها والأجنبية . فالعملة الأكثر رواجا والتي نالت ثقة الحكومة والأهالي معا، هي العملة الاسبانية التى غزت مختلف الأسواق العالمية عندئذ نتيجة الاكتشافات الجغرافية، أصبحت ظاهرة عالمية .

وكانت الهجرة الاندلسية نحو الجزائر عاملا أساسيا في تدفق العملة الاسبانية في الاسواق الجزائرية . (4) كما ساهم التجار المارسيليون بدورهم في تدفق العملة الاسبانية التى فرضت عليهم من طرف الأهالي المتعاملين منهم . ففي بايليك الشرق، حيث تواجدت الشركات الفرنسية لا تتم أية مبادلات بدون البايستر ورغم أن مدينة مرسيليا نافست اسبانيا في سك

---

(1) *DAPPER, Description ... p.*

(2) *MORGAN, Histoire des états ... pp 373 - 374*

(3) سعيد رني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر 1800 ـ 1830. ص194.

(4) نفسه ، ص 195.

عملة البايستر فانه لم يكن من اليسير على الشركات الفرنسية أن تتحصل على تلك العملة. فأصبحت معضلة أساسية كما يتضح من رسالة موجه من بيكي إلى حكام مدينة مارسيليا "...لا تيأسوا مادام القمح متوفر هنا بكثرة، الا أن المشكلة الأساسية تتمثل في الحصول على البياستر، خاصة بعد ارتفاع قيمة تلك العملة." ويستنتج من نفس الرسالة أن ازدهار للحركة التجارية يتوقف على توفرها .(1)

وإنه لأمر يستدعي التساؤل أن سكان بايليك الشرق فضلوا التعامل نقدا عن التعامل عيناء فالغالب عند المجتمعات عندئذ هو اعتماد أسلوب المقايضة.

جدول العملات المستعملة خلال القرن السابع عشر

	نوع العملة	قيمتها	المصدر
العملات الكبيرة	الريال الاسباني	خمسة وعشرين سنتيما	Blavin, p. 73
	البياستر (piastre)	ستة فرنكات وخمسون سنتيما	Blavin, p. 23
	الباتاك (pataque)	½ بياستر	Blavin, p. 23
	الدبلون الدولار الاسباني		
	الريحي RUBIF	35 أسبر	Delacroix, p. 67
	المديان MEDIANS	50 أسبر أو 15 deniers 15	" p. 67 Masson, HCL p.
	الزياني	100 أسبر	
العملات الصغيرة	الموزونة ( )		
	الثمينو	½ الباتاك شيك	Pananti, pp 364 -365
	الصايمة (saïma)	خمسة بياستر	

---

(1) A.C.M.

خلاصة الفصل :

يتضح من خلال ما مر بنا أن عدد التجار كان ضئيلا سواء على الجانب الفرنسي أو على الجانب الجزائري .

كانت الاتفاقيات التجارية لصالح الطرف الفرنسي فقط ، اذ / أن يحيوا مكنتهم حياة عادية ، فتوفرت لديهم مختلف الضمانات الاجتماعية ومرافق الحياة أيضا ، وهو الشيء الذي حرم منه الجزائريون .

وقف التاجر الجزائري مكتوف الأيدي أمام العقبات والعراقيل العديدة التي واجهها ، خاصة حينما لم يبد النظام الحاكم أي تشجيع لتلك المبادرات .

الفصل الثالث : الشركات التجارية

محفظة الفصل :

- أصل الاحتكار
- مضمون الاحتكار
- شركة لنش
- سانسون نابوليون والمؤسسات الفرنسية
- شركة كوليال وبيلي
- شركة أرنو
- شركة لافون
- شركة دوزو
- شركة هيلي
- الخلاصة

حتى تكتمل لدينا الصورة عن النشاط التجاري الذي كان يتم بين الايالة وفرنسا، رأيت من الضروري أن أخص بفصل الشركات الفرنسية التى توارثت حق الاحتكار المطلق للتجارة الخارجية عبر موانئ الشرق الجزائري . ومما لاشك فيه أن هذه الشركات لعبت دورا أساسيا في المبادلات التجارية .

أصل الاحتكار :

إن أول من حصل على احتكار صيد المرجان (1) هو توماس لنش (2) الذي عرفت الشركة المؤسسة لهذا الغرض باسمه . وهو أحد البحارة الذين تعرفوا على المياه الجزائرية ، وعلى ساحل المرجان، قبل 1547م بناء على المعلومات المتوفرة حول الموضوع (3) ، أي قبل أن تظهر شركته الى حيز الوجود . سرعان ما أدرك هذا البحار أهمية الثروات التى تزخر بها الشواطئ الجزائرية، فأصبح يخطط من أجل الانفراد باستغلالها .

---

(1) يعود صيد المرجان الى القرن الرابع الهجري واتسعت حركته على عهد أبي عمر عثمان وكان الصيد مارسا مثل العصور الحديثة اذ يذكر مؤرخو تلك الفترة أن لكل سفينة معلم ومرشد وخمسة صيادون . وعرف الساحل انذاك بساحل المرجان وقد كان منذ ذلك التاريخ محل اهتمام مختلف الشعوب الأوروبية .
وفي مطلع القرن السادس عشر أشار ليون الافريقي الى أهمية صيد المرجان وأكد على أنه كان مقصورا على الجنويين والذين لم يسمح لهم بانشاء المصارف مثلما يستنتج مما ذكره هذا الأخير .

(2) توماس لنش من أصل كورسيكي استوطن بمدينة مرسيليا . وبعد أن أحرز على موافقة الباب العالي والجزائر معا طلب من الحكومة الفرنسية حق المواطنة أو التجنس حتى يحظى بحمايتها ومساعدتها ولازال الى يومنا هذا في مدينة مرسيليا حي يعرف بحي لنش ولا يبعد كثيرا عن الميناء القديم .

(3) GIRAUD, *Les Lenche ...*, pp 23 - 24

وبعد مجهودات كبيرة بذلها هذا الشخص قصد الحصول على رخصة احتكار لصيد المرجان ، تمكن في الأخير من الحصول على موافقة الباب العالي التي تلتها موافقة حكومة الجزائر . ويعود الفضل في هذا المكسب كما يبدو الى تدخل علج علي (1) الذي كان على صلات طيبة بتوماس لنش (2) والى الشعبية التي امتع بها في اوساط مدينة الجزائر والى ثقة أشراف المدينة كما ذهب إليه ماصون (3)

وبعد أحرازه على حق ممارسة صيد المرجان وانشاء المصارف ، أسس بمدينة مرسيليا " شركة المرجان الكبرى لمياه عنابة .

(4)

ظل تاريخ الحصول على الامتياز ، والبدايات الأولى لهذه الشركة غامضا

---

(1) علج علي : هو الباشا التاسع عشر حسبما يذكره هايدو . أصله من كلابريا ينتمي الى عائلة فقيرة أسر من طرف أحد الرياس يدعى علي أحمد . بعد اعتناقه للاسلام ، ونظرا لما أبداه من شجاعة وحزم عين حاكما على الجزائر .

(2) *GIRAUD, " Les Lenche ... ", p. 24*

(3) *MASSON, H.E.C.F. ... , p. 10*

(4) *GIRAUD, " Les Lenche ... ", p. 26*

ومصدر تضارب بين المؤرخين (1) الى أن تم اكتشاف بعض الوثائق أنارت سبيل الباحثين في ذلك المجال (2) وهي عبارة عن مجموعة من الرسائل الملكية تتضمن الترخيص الذي أعطى للنش لتجهيز السفن، ولاستعمال الأدوات الضرورية لصيد المرجان خارج فرنسا . كما احتوت أيضا ، على وعد الملك بحمايتها مما قد تتعرض له .

واستنادا الى هذه الوثيقة حدد "ماصون" تاريخ الحصول على الامتيازالمتضمن الاحتكار بتاريخ 1553 (3)

---

(1) لم يكن من اليسير على المؤرخين تحديد تاريخ حصول المرسيليين على هذا الامتياز ، نظرا لقلة الوثائق الأصلية التي قد ترشد الباحث في هذا المجال . مما جعل المؤرخين يختلفون اختلافا واضحا حول الموضوع .
اذ يرى بعضهم أن الامتياز تضمنته معاهدة الامتيازات التي حصلت عليها فرنسا من الباب العالي سنة 1536 . ذهب الى هذا الرأي كل من مورواء ص 44 ، وبوتان ص 285 وفيرود تاريخ القالة، ص 93 . وهو امتياز جاء في نظرهم على شكل مادة اضافية .
وهناك من يرجع بدايات هذا الحصن الى القرن الرابع عشر الميلادي .
بينما يرى فريق ثالث أن تاريخه يعود الى عهد خير الدين، وبصورة أدق الى سنة 1520 . وهو رأي .
وفي الحقيقة انه لمن المستبعد أن يتم هذا التنازل في عهد خير الدين وفي تلك السنة على الخصوص للاعتبارات التالية: ان خير الدين الذي لم يكن قد استقر استقرارا نهائيا . كيف يتعارض مع المسيحيين ويمنحهم ذلك الامتياز . فخير الدين الذي كان في أعين الأهالي المحرر وحامي الاسلام من هجمات المسيحية لا يمكنه أن يسمح باستيطان مسيحي في تلك الظروف الحرجة .

(2) عثر على هذه الرسائل في أرشيف مصب الرون بمرسيليا استعملت من طرف ماصون جيرود GIRAUD وبيليود . BILLIOUD

(3) *MASSON, Les compagnies ..., p. 17*

واستنـــادا الى نفـــس الوثائق ذهب "جيـــرود " GIRAUD " الى أن تاريـــخ الحصـــول على امتيـــاز صيـــد المرجـــان سابق لعام 1553، الذي حصلت فيـــه الحكـــومة الفرنسيـــة على الترخيـــص كما سبقـــت الاشارة اليـــه أعـــلاه . أما تاريـــخ انشـــاء الشركـــة فيعـــود الى ما قبـــل نوفمبـــر 1552 . (1)

ويبدو أن الرأي الثاني ، هـــو الأرجح ، اذ لا يمكـــن أن يتـم في المدة ذاتها قبـــول حكـــومة الجزائر ، ومباشرة بعد ذلك ترخيـــص الملـــك، لما تتطلبـــه العمليـــة من اجراءات .

مضمـــــون الاحتكـــار :

اقتصر الاحتكار الـــذي حصلت عليه "شركـــة لنـــش" على صيد المرجان وتصديره وانشاء متاجر أو وكـــالات تجاريـــة على امتـــداد 200 كلم . (2) من الشاطئ الممتد من رأس وردیـــة شرقا الى نهر سيبـــوس غربا . (3) ويرى "فيرو" أن الاحتكـــار لم يقتصر على صيـــد المـــرجان فحســـب بل اشتمـــل مختلـــف المواد المتوفـــرة بالمنطقة مـــن قمح وشعير الخ ... (4) وكان هذا الامتياز مقابل تعهـد لنـــش بدفـــع ضريبـــة سنوية "اللـــزمة" تقدر بألـــف وخمسمائـــة " écus " الى الحكـــومـــة الجزائرية . (5)

---

(1) *GIRAUD, " Les Lenche ... ", p. 27*

(2) *BILLIOUD, Le commerce ..., p. 273*

- . " . *Les compagnies ..., p. 20*

(3) FERAUD (Ch), *Histoire des villes de la province de Constantine : La Calle*, Alger, Vailland et Cie, 1877, p. 93

(4) *Ibidem.*

(5) *GIRAUD, " Les Lenche ... ", p. 27*

ويلاحظ المتتبع لتاريخ الشركات الفرنسية التي توارثت الاحتكار أنه بمضي السنين اشتمل احتكارها تدريجيا مختلف البضائع والموارد التي يتوفر عليها اقليم قسنطينة، باستثناء القمح الذي بقي محظورا الى غاية 1714.

الشركات الاحتكارية :

1 ـ شركة لنش: " LENCHE "

كانت أول شركة تحصلت على الاحتكار كما سبقت إليه الاشارة هي شركة لنش، (1) فأين تمركزت؟ وماهو نشاطها ؟

فبخصوص السؤال الأول يجمع المؤرخون على أن أول موضع اتخذته الشركة كان على بعد بضعة أميال شرق عنابة. وعرفت البناية " بالمتجر". ونظرا لقرب مرسى الخراز من المتجر، اتخذته الشركة كملجئ لسفنها وأطلق عليه منذ ذلك التاريخ تسمية القالة. " LA CALLE " فهذه المنشآت وما حواليها عرفت بحصن فرنسا أو بالمؤسسات الفرنسية فيما بعد .

وحول مدلول الحصن تضاربت الآراء ، فمنهم من رأى في التسمية مجرد عبارة لاتعكس المعنى الحقيقي للحصن ، بينما أكد بعضهم على أن ذلك المبنى كان حصنا بكل ما تحمله الكلمة من معاني .

وفي الحقيقة ان أول تسمية عرفت بها تلك المنشآت وهي "لوبستدون "LOUBASTIDOUN" بمعنى الحصن الصغير ، توحي بوجود الحصن .

---

(1) سبق التعريف بلنش عند الحديث عن أصل الاحتكار، انظر هامش رقم 2 .

وكلمة "البستيون" أو الحصن ليست سوى تحريفا للكلمة الأولى .

ومهما تضاربت آراء المؤرخين، فإن اعتبارات كثيرة، تجعلنا نؤكد على أن الشركة لجأت منذ عهدها الأول الى استعمال التحصينات ، منها تخوفها من موقف القبائل المجاورة بسبب النشاط المكثف الذي باشرته الشركة، ومنافسة اعدائها الجنويز . فهذه الأسباب جعلت أعضاء الشركة يحتاطون لأي اعتداء عين عن طريق انشاء التحصينات .

ويؤكد "جيرو" على أنه بحلول سنة 1568 أصبح المتجر أي "متجر عنابة" حصنا منيعا مجهّزا بمدافع . (1) أما "ماصون" (2) فيرجع تاريخه الى حوالي 1583 مستدلا على ذلك باستيراد الشركة لكميات من البارود ولعدد من البنادق في السنة ذاتها. (3)

نشاطها :

انحصر مجال اهتمام الشركة في بادئ الأمر في صيد المرجان وتصديره الى أسواق الاسكندرية، وفي جلب المواد المصنعة لبيعها الى الأهالي ويظهر أن الشركة جنت أرباحا طائلة عن طريق تلك المبادلات. من ذلك بيعها للرطل الواحد من المرجان بخمسين قرشا، بينما لم يتجاوز سعره عند الشراء أربعة وثلاثين قرشا. (4) " sous "

---

(1) *GIRAUD, " Les Lenche ... ", p.*

(2) وقع ماصون في تناقض صريح ، ففي كتابه: تاريخ مؤسسات وتجارة فرنسا، ينفي وجود "الحصن" ص 11 . أما في كتابه شركات المرجان يؤكد على وجود الحصن .

(3) *MASSON, Les compagnies ..., p. 83*

(4) *GIRAUD, " Les Lenche ... ", p. 33*

ونظرا لهذه الأرباح كثفت الشركة نشاطها حتى غدت اليد العاملة المختصة لصيد المرجان التي اشتملت على مائتين وخمسين صيادا غير كافية لسد حاجاتها . فاستعانت بصيادي السمك . (1) وأقل ما يستنتج من اتساع حركة صيد المرجان أن حجم الصادرات كان ضخما .

ولم ينقض على تاريخ تأسيس هذا المتجر العقد الأول حتى غدا من أكبر الأسواق وملتقى للتجار من مختلف الجنسيات ومن كل فج . فقصده التجار من أمريكا اللاتينية نفسها ، فضلا عن الانكليز والهولانديين .

ولا تتم هذه المبادلات التاريخية كلها بواسطة النقد ، بل كثيرا ماكان التجار يلجأون الى المقايضة حينما لا تتوفر لديهم النقود الذهبية . فمقابل الأسلحة وغيرها من المواد المطلوبة لدى سكان الناحية يحصل التجار الأوروبيون على المرجان والصوف والجلود والشمع وغيرها . من المواد .

ورغم وفاة أحد أقطاب الشركة، وهو "توماس لنش" ، لم تطرأ على الشركة تغيرات جذرية، وتم تجديد الشركة سنة 1570 . وبعد مضي سنتين على ذلك توسطت الدولة العثمانية لدى حكومة الجزائر لقبول "انطوان لنش" وشركائه خلفا لتوماس لنش(2) ، وهذا ما نقرأه في رسالة موجهة من السلطان العثماني الى الباشا جعفر . (3)

وفي 1600، أرسل الباب العالي ثانية فرمانا يقضي بقبول انطوان لنشد ومواساك

---

(1) DERDOUR (M), " *Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes* " Alger, SNED, 1983, 2 vol. Tome 2, pp 46 - 47

(2) مما لاشك فيه أن تدخل البابا العالي هذا، ينم على أن حق الاحتكار أعطى لتوماس لنش مدى حياته . ولهذا لجأ حلفاؤه وشركاؤه لدى البابا العالي يطالبون منه التوسط عسى الاعتراف بهم من جديد .

(3) نص الرسالة وارد في كتاب ماصون، تاريخ تجارة فرنسا ... ص ص 30 — 31 .

ورغم المنافع الكثيرة التي عادت على شركة د ومواساك ، فانها لم تلتزم بما تعهدت به ازاء الحكومة الجزائرية ولا سيما دفع اللزمة في أوانها ، فالتأخر عن ذلك كان يدوم أحيانا عدة سنوات. ومع هذا لم تتورع في مواصلة استغلالها المفرط واللاشرعي كتصدير الحبوب وخاصة القمح في الفترات العصيبة .

ولم تتوقف عن إفتزازها للسلطات المحلية وسكان الناحية معا . فبعد ما سمح لها بشراء بعض الأراضي ، قامت بازاحة السكان وابعادهم من تلك المنطقة التي غدت حيوية لهذه المستعمرة . ونجم عن هذه السياسة المقصودة ، تخلي بعض القبائل من بينها "أولاد أورقين" "وأولاد دياب" و"أولاد نادي" عن أراضيها خاصة بعد أن حرمت من حق صيد المرجان .

واستطاع مواساك أن يحقق هدفه وهو الانفراد بالمنطقة ، وأصبحت منطقة الحصن ، تبدو وكأنها أقليم خاص به ، حتى أن السفن الفرنسية التي لاعلاقة لها بالتجارة ، أصبحت تحتمي بتلك الشواطئ ، ومن ذلك التجاء سفنا فرنسية بعد ما طاردتها سفن الرايس مراد . (1)

ولعل هذه التصرفات الصادرة عن الشركة الفرنسية كافية لتفسير رد فعل الحكومة الجزائرية الذي تمثل في تحطيم الحصن رأسا على عقب . (2)

---

(1) *DERDOUR, Annaba, Tome 2, p. 47*

(2) للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ، وعواقبه على العلاقات الجزائرية الفرنسية ، انظر الباب الأول ، الفصل الثاني "بين الحرب والسلم" .

وهكذا جاء رد فعل الحكومة الجزائرية عنيفا حتى تظهر لأصحاب الشركة وغيرهم أن الامتياز مقصور على الشركة المرسيلية وحدها وليس لبقية الفرنسيين أي إدعاء فيه، ولتظهر للشركة نفسها أيضا أن الامتياز لا يتعدى صيد المرجان وأنها لم تحترمه. (1)

ولا ريب أن هذا التصرف جعل الحكومة الجزائرية ترفض اعادة بناء الحصن طيلة 22 سنة، رغم المحاولات العديدة التي بذلت في ذلك المضمار.

ومما يجدر ذكره قبل أن ننهي الحديث عن هذه الشركة أن عدم إلتزامها لم يكن ازاء الحكومة الجزائرية فحسب بل كان ازاء الحكومة الفرنسية أيضا، اذ حرمت فرنسا من الانتفاع من تلك الموارد التي كانت تصدرها الى "جنوة" و"ليفورنة" عندما تكون السوق مربحة، مما جعل الملك هنري الرابع يصدر قرارا مؤرخا ب 8 فيفري سنة 1600، يرغم فيه الشركة بتوجيه مختلف السلع المستخرجة من الحصن نحو مرسيليا وليس نحو "جنوة" أو "ليفورنة". (2)

<u>نهاية الشركة</u> :

وبعد توتر العلاقات اثر حادث تحطيم الحصن أصدر الدوق دوكيز، قرارا يقضي بمنع التجارة مع بلاد المغرب في السابع من شهر ديسمبر 1607. (3)

ورغم القطيعة المعلن عليها رسميا، ظلت الحركة مستمرة بين البلدين وان لم تكن جد نشيطة.

---

(1) لقد سبقت الاشارة الى هذه الحادثة بشيء من التفصيل في قسم العلاقات السياسية، الفصل الأول.

(2) COLOMER, *Le rôle de Marseille* ... p. 234

(3) BERGASSE, *Histoire du Commerce*, Tome IV, p. 97

ومما جعلنا نؤكد على أن العلاقات التجارية لم تتعطل مباشرة بعد ذلك الحادث هو استمرار مسؤولي الشركة بمرسيليا في قبض ضريبة الدخول على السفن الآتية محملة من الحصن الى أن أمر هنري الرابع بالغائها . (1)

وفيما يلي جدول عن الحركة التجارية التي أعقبت حادثة تحطيم الحصن ببضع سنوات .

السنة	مجموع الرحلات	إيالة الجزائر	تونس	المغرب
1612	12	8	2	1
1613	13	8	1	5
1614	10	1	1	8 (؟)
1615	03	2	1	0

يستنتج من الاحصائيات التي يتضمنها هذا الجدول (2) أن ما يزيد عن نصف نشاط فرنسا التجاري مع بلاد المغرب كان يتم مع الجزائر .

---

(1) *MASSON, H.E.C.F. ... p. 21*

(2) أعد هذا الجدول بناء على الاحصائيات التي أوردها بركاص في كتابه تاريخ تجارة مرسيليا . ص 98 .

سعت فرنسا الى استرجاع هذه المؤسسات فكلفت سفيرها سفاري د وبريف مثلما سبقت إليه الاشارة أعلاه ، بالعمل على اعادة نشاط الحصن لكن مساعيه منيت بالفشل (1)

ويرى البعض أن خليفته سالنياك " SALIGNAC " كان أحسن حظا منه بحيث أحرز على موافقة الباب العالي بذلك الشأن . (2) وشكلت شركة جديدة من طرف أحد ورثاء لنش، وفي 29 اكتوبر 1609 عيّن رسميا واليا على تلك المؤسسات (3)

غير أنه يظهر أن الحكومة الجزائرية عارضت هذه الموافقة، مما جعل هنري الرابع يفكر في توجيه حملة عسكرية للضغط على حكومة الجزائر (4) وتوفي هنري الرابع دون أن يحقق شيئا .

وبعده أولى الدوق د وكيز، حاكم منطقة البروفنس، عناية خاصة بالمؤسسات الفرنسية فعمل بدوره على استرجاع امتياز الحصن ، لكنه وجد نفسه في صراع مع ورثاء توماس لنش(5) ، واستطاع انهاء هذا الخلاف باتفاقية مع وريث مؤسس الشركة فتنازل الثاني الى الأول مقابل أن يدفع له سنويا ولمدة عشرين سنة أربعة آلاف وثمانمائة " livres " واثر ذلك ، حصل د وكيز على رخصة من الملك لويس الثالث عشر لمباشرة المفاوضات مع الباب العالي . (6)

---

(1) انظر قسم العلاقات السياسية الفصل الأول .

(2) PINGAUD (L), " *Une ambassade en Turquie sous Henri IV* " in R.Q.H. 1890, p. 228

(3) PENHER (B.D), " *Discours ...* " in B.F. nov. 1931, p. 274

(4) PINGAUD, " *Une ambassade ...* ", p. 228

(5) CHARLES ROUX, *France et A.N...* p. 101

(6) $B7_{49}$, *Mémoire touchant le bastion de France ... p. 1652*, Fol. 403, Fol. 405

إغتنم الدوق دوكيز ، المفاوضات السياسية الأولى مع الجزائر سنة 1617،
فكلف في السنة التي تلتها ، دوكستيلان ((DE CASTELLANE ، باسترجاع
الحصن ، لكن تعثر المفاوضات جعل الحكومة الجزائرية، تأمر بايقاف العملية
وحجز العمال والذين بلغ عددهم حوالي مئة شخص (1)

وبعد سلم 1619 ، اطلق سراح أولائك الأسرى، واثره مباشرة، حاول البارون
دالماني " Le Barron" d'Allemagne " الاستلاء على الحصن عنوة، لكنه اضطر
الى التراجع مخلفا وراءه خسائر جسيمة ، خصيث أن هذه المحاولة كلفته
ثلاثمائة ألف livres . (2)

وبقيت الأمر مجمدة الى أن إعتلى ريشيليو الحكم، مكلف سانسون نابولون
باعادة مؤسسات الحصن . في 14 فيفري 1626 . وساهم الدوق دوكيز
باثنى عشر ألف écus لمصاريف التي تطلبتها هذه المفاوضات ، مقابل أن يتمتع
بثلث الفائدة . (3)

---

(1) CHARLES ROUX, *France et A.N. ... pp 102 - 103*

(2) B7$_{49}$, *Mémoires touchant le bastion ...*, Fol. 402, 403

(3) X, " *Un autographe inédit de Sanson NAPOLLON* " in B.F. Déc. 1936, pp 591 - 592

سانسون نابولون والمؤسسات الفرنسية : (1628 - 1633)

أحرز سانسون نابولون على نجاح باهر في مفاوضاته . فتوصل الى اعادة السلام والعلاقات التجارية معا ، بابرامه لأول اتفاقية بشأن نشاط المؤسسات بتاريخ 29 سبتمبر 1628 . (1) وتعتبر هذه المعاهدة فاتحة عهد جديد في تاريخ العلاقات التجارية، فهي أول نص واضح يقنن شؤون المؤسسات.

ومن أهم ما جاء فيها :

" نمنح المكان المسمى بالحصن وا سكالة عنابة، مثلما كان عليه الأمر سابقا ، للفرنسيين مقابل ستة وعشرين ألف (2) ستة عشر ألف لجرايات الميليشيا وعشرة آلاف الى خزينة القصبة حسبما تعهد به سانسون نابولون" . (3)

" جزاء للخدمات التي قدمها نابولون يعين قائدا على تلك المؤسسات، ولا يمكن تبديله، على أنه بعد وفاته يستطيع الملك تعيين آخرين" .

" يسمح لسفن القائد نابولون التنقل في الأماكن المذكورة لتبيع وتشتري الجلود والشمع والصوف وغيرها من المواد كما كان عليه الحال سابقا ".

---

(1) لم يرد هذا الاتفاق بصيغة المعاهدة، ويعتبر هذا الاتفاق أول اتفاق واضح يخص المؤسسات الفرنسية رغم أنه يبدو أن شركة لنش قد ابرمت اتفاقيات مع الحكومة الجزائرية . غير أننا لا نعرف عنها شيئا . وحتى لا يقع أي التباس اذكر الصيغة الفرنسية التي ورد بها هذا الاتفاق .

Teneur du contrat passé avec le Divan et le conseil d'Alger pour le rétablissement du bastion et ses dépendances du vingt-neuvième sept. 1628.

نشر نص هذه الاتفاقية في :

ROUARD, Traités de La France pp 20 - 22

(2) أو ما يعادل 16.000 ليفر livres

(3) يشير العربي الزبيري ، الى أن تلك اللزمة كان نصفها مخصص للميليشيا والنصف الآخر الى خزينة الدولة . التجارة الخارجية ، ص 194 .

بلغت قيمة اللزمة التي تعهد بدفعها نابولون " 135740 — —
خصص نصيب منها لبايليك قسنطينة باعتباره المسؤول المباشر عن تلك المؤسسات.
وهو حوالي 26300 livres . موزعة على النحو التالي :

13 ألف لخزناجي مدينة قسنطينة

7 آلاف لمدينة عنابة

4 آلاف للموظفين الجزائريين بمتجر عنابة.

ألف جنيه لحامية عنابة

500 جنيه الى "المركانتي" وهو المكلف بنشاطات الحصن .

علاوة على هذه اللزمة خضع متجر عنابة لضريبتين، ضريبة الاستيراد وتقدر بأربعة عشر ألف " livres " سنويا . أما ضريبة التصدير فكانت خمس قيمة كمية الصادرات. (1)

ورغم المصاعب التي واجدها . لإعادة النشاط والحياة لتلك المؤسسات فانه باشر عملية بناء وتجديد تلك المراكز بحماس منقطع النظير، فهو صاحب الفضل في تنظيمها تنظيما محكما ظل معمولا به فيما بعد .

فأصبح تنظيم المؤسسات الفرنسية على النحو التالي :

1 — الرأس الوردي أو رأس وردية، يديره كابورال ويضم ثمنية عمال ومترجما .

2 — القالة ، يديره قائد فضلا عن أربعة عشر عاملا وهو أكثر أهمية من رأس وردية.

3 — حصن فرنسا ، على رأسه قائد يعرف بقائد الجيش البري ويساعده ملازم ورقيبان . (2)

---

(1) DERDOUR, *Annaba ... tome 2, p. 82*

(2) PECHOT, *Histoire de l'Afrique,* p. 75

وفي مدينة الجزائر عين وكيلا يمثل المصالح التجارية الفرنسية منها تأدية اللزمة الى خزينة القصبة والى بيت المال واستئجار لمنشأة مقابل خمسمائة " livres " سنويا . ويعرف ذلك المقر ب " La Maison d'Alger " أو دار الجزائر .

وتعتبر فترة نابولون ، من أزهى الفترات في تاريخ العلاقات التجارية بين البلدين ، رغم قصرها . اذ وصل عدد الجالية المتواجدة بالحصن الى ثمانمائة شخص (1) وهو عدد لم يتحقق خلال كل فترة القرن السابع عشر ، فشركة "د وزو" والتي تعتبر من أهم الشركات لم يتجاوز عدد أعضائها الاجمالي 426 شخصا . (2)

غير أن طموح سانسون نابولون ورغبته الملحة في القضاء على خصومة الجنويز ، عجل بنهايته وبنهاية الفترة المزدهرة . (3) فكان اغتياله على يد أحد الجنويز في محاولة ثالثة له للاستلاء على طبرقة في الحادي عشر من شهر مايو ووضع رأسه فوق عمود على رأس البرج (4) حتى يكون عبرة لمن يعتبر .

ولقد أثرت وفاته تأثيرا سلبيا على مجرى العلاقات التجارية خاصة بعد تباطيء فرنسا في تعيين مدير خلفا له رغم الحاح التجار على التعجيل بذلك حرصا منهم على أن لا تفلت من أيديهم تلك المؤسسات . (5)

---

(1) MASSON, *H.E.C.F.* , p. 97 p. 97

(2) LAPRIMAUDAIE, *Le commerce et la navigation ...*, p. 41

(3) " *La mort de Sanson NAPOLLON à Tabarca* " in R.A. 1927, p.255

(4) *Marine* B7 $_{49}$, Fol. 125

(5) *Marine* B7 $_{49}$, Fol. 123

وفي مذكرة موجهة الى ريشيليو في يونيو 1633 ، يلح صاحبها على أهمية المؤسسات أو كما جاء : " L'Affaire de Barbarie " . خاصة بعدما حاول الجنويون الاستلاء على الحصن وحرقه لازاحة الفرنسيين منه . وفيها ينصحه أيضا بجعل تحت سلطة الدولة أو سلطاته مباشرة (1)

ورغم ما يكتنف الفترة من غموض بعد وفاة نابولون ، فانه يظهر أن المؤسسات الفرنسية واصلت نشاطها الى غاية 1637 حينما قامت الانكشارية بأمر من الباشا علي بتخريب الحصن وبحجز موظفيه . خلال هذه الحقبة أيضا حظي التجار الفرنسيون المتواجدون بالمؤسسات بمختلف أنواع المساعدات (2)

عقب حادث تحطيم المؤسسات عرف بايلك قسنطينة أحداثا خطيرة تمثلت في ثورة ابن الصخري وما تسبب فيه من اضطرابات . (3)

في عهد الباشا جمال يوسف (4) استؤنفت العلاقات التجارية وتشكلت شركة جديدة :

---

(1) نفس المرجع ، كما نشرت هذه المذكرة في :

- " *Mémoire adressé au Cardinal en juin 1633* ", R.F. juil.1934, pp 521 - 525

(2) GAID (M), *Chroniques des Beys de Constantine* .

(3) حول هذا الموضوع انظر :

- BERBRUGGER (A), " *Notes relatives à la révolte de Ben Sakheri* " in R.A, 1868, pp 337 - 352

(4)

<u>شركة كوكيال وبيكي</u> (1640 - 1658)

مكنت معاهدة السابع من شهر جويلية 1640(1) كوكيال من اعادة النشاط التجاري ويعتبر هذا الاتفاق حول المؤسسات أول اتفاق أخذ شكل معاهدة. ورغم أهميتها ، يبدو أنه لم يحظ باهتمام دارسي العلاقات التجارية وبقي اتفاق 1628 دليلهم الوحيد في ذلك.

جاءت هذه المعاهدة في 23 بندا بالصيغة التالية : " بنود المعاهدة بشأن حصن فرنسا ومرسى الخزار المسمي بالقالة واسكالتي عنابة والقل للمتاجرة في الصوف والجلود وبضائع أخرى ولصيد المرجان ، من القل الى رأس وردية .

إن أول ملاحظة يمكن تسجيلها في هذا المضمار هي أن الامتيازات والصلاحيات أصبحت محددة وواضحة . فجاء مركز الحصن بصيغة حصن فرنسا ، كما أعطى للشركة الجديدة حق المتاجرة في بضائع مختلفة في عنابة والقل وبهذا ارتفع عدد المتاجر من اثنين الى ثلاثة، وأصبح بمقتضى هذه المعاهدة مجال صيد المرجان واضحا وهو الشريط الساحلي الممتد من القل الى " رأس وردية .

ونظرا لأهمية الامتيازات المعطاة لهذه الشركة، والتى أصبح معترف بها رسميا من طرف الحكومة الجزائرية ، ارتفعت قيمة اللزمة من 24.000 دوبلو سنة 1628 الى 34.000 دوبلو " Doubles " ، البند الثالث والعشرون .

ومن البنود التى تضمنتها المعاهدة ما يلي :

---

(1) نشر النص الكامل لهذه المعاهدة في :

- *ROUARD DECARD, Traités*, pp 22 - 26

" تتاجر سفن الشركة في المصارف الفرنسية بكل حرية ، ولا تجبر منها التي تدخل ميناء الجزائر من طرف قائد الجلود على شراء جلود مخزنة . "

" يعامل الذين في خدمة التجار الفرنسيين ، معاملة الفرنسيين أنفسهم سواء كانوا من الأمة الجنوبية أو الكرسية أو الفلامينة ولا يمكن بأي حال من الاحوال استرقاقهم في حالة القبض عليهم .. "

" يحتمي وكلاء الشركة بمدينة الجزائر بحماية الديوان ولا يسمح لأي شخص بالتعرض لهم بأي أذى "

" يسمح للتجار باقامة حراسة في منائي الحصن والقالة ، للاحتماء من السفن الاسبانية ومن تعديات بعض الاعراب ، ولتحتمي السفن الجزائرية هي الأخرى ، في حالة اضطرارها " .

" لا يسمح لأي شخص من نوبة عنابة أو القل أو أي تاجر آخر بالقيام بأي نوع من التجارة .

وبعد سنتين من تاريخ تأسيس الشركة توفي مؤسسها كوكيال ، فخلا بذلك الجوليبكي وهو أحد شركائه . لكن هذا الأخير أخفق اخفاقا واضحا في ادارته للمؤسسات .

فلم تكن له الدراية والخبرة الكافية في ذلك المجال . فهو كما تشير إليه بعض المراجع لم يكن أهلا لتلك المسؤولية .

فجدد رأسمال الشركة كما ظاهر له واضطر بعد ذلك الى الاستتلاف من بعض التجار بمدينة الجزائر. (1) وأمام تراكم الديون عليه لم يجد بدّا من الفرار الى ليفورنة بعد حرقه للمؤسسات واستيلائه على حوالي ستين شخصا ممن كانوا في خدمته في 25 اكتوبر 1658. (1 bis) وكان مصير هؤلاء البيع في أسواق العبيد بليفورنة.

ويبقى فرار بيكي محل تساؤل ، فهل هو ناتج عن عجزه لتسديد ما عليه من ديون أم عن رفض مقصود منه؟ واثر هذا الحادث سارعت فرنسا الى استنكار فعل بيكي وعملت على استرجاع الأسرى الجزائريين حرصا منها على المؤسسات.(2) غير أن الحكومة الجزائرية قررت عندئذ بأنه لن تقوم قائمة لتلك المؤسسات. وبقيت الفترة الممتدة من 1658 الى 1666 عبارة عن انقطاع في تاريخ العلاقات التجارية رغم إلحاح فرنسا، اذ عينت مباشرة بعد ذلك الحادث واليا آخر للحصن، وهو ما نقرأه في احدى الرسائل الموجهة من لويس الرابع عشر الى الباشا ابراهيم مؤرخة بـ 14 جوان 1659: "نخبركم بتعييننا للويس كامبون واليا جديدا للحصن ونرجو أن يحظى بحمايتكم ..." (3) الا أنه يبدو من خلال ما توفر لدينا حول هذا الموضوع أن هذا الأخير لم يتمكن من/ الالتحاق بمنصبه.

---

(1) *LAPRIMAUDAIE, Le commerce ... p. 35*

1 bis*GAID, Chronique ... p. 21*

(2) *Ibid. , p. 36*

(3) *PLANTET, Correspondance I, p. 56*

وجددت محاولة ثانية والتي يبدو أنها كللت بتوفيق جزئي ، اذ عقد "رومنياك" معاهدة بتاريخ 1661(1) لاعادة نشاط المؤسسات الا أنها لم تدخل حيز التنفيذ ،(2)

شركة ارنو : (1666 — 1676) ARNAUD

بعد سلام 17 مارس 1666 ، أعيدت العلاقات التجارية بين البلدين وألغى لويس الرابع عشر من جانبه ، القرار القاضي بمنع التجارة مع بلاد المغرب(3) كما وافقت الحكومة الجزائرية على اعادة المؤسسات الفرنسية . وفي هذا الاثناء، وجد بمدينة الجزائر أحد التجار يدعى أرنود . ونظرا لما بذله من أجل تحقيق السلام، أعطى له امتياز استغلال المؤسسات في 21 جوان 1666.(4) لكن بالك أرنو رغم المساعي التي بذلك للحصول على حق المتاجرة ، لم يكن يملك الرأسمال الكافي فلجأ الى أحد الشركاء . (5)

وفي الثامن من شهر أوت عقد أرنو اتفاقا مع ورشاء دركيز لاستغلال المؤسسات خلال تسع وعشرين سنة مقابل ألفين وأربعمائة ليفر و... [illegible] .

وفي 22 مارس 1670 ، عقد أرنو معاهدة أخرى مع الحكومة الجزائرية أكدت فيها من جديد على التنازلات الممنوحة له (6)

---

(1) *MASSON, H.E.C.F., p.*

(2) 1658 ، الى 1666 — فترة غامضة ومضطربة في آن واحد أعطي هذا الامتياز من من طرف الحكومة الفرنسية لعدة شركات فرنسية ، مما تسبب في تنافس كبير بينهما . وما تجدر إليه الاشارة بهذا الصدد هو أن هذه الشركات لم يسمح لها من طرف الحكومة الجزائرية باستغلال المراكز .

(3) *TURBET DELOF, " L'affaire de Djidjelli ... " p. 15*

(4) *BOUTIN, Anciennes relations ... p. 336*

(5) *LAPRIMAUDAIE, Le commerce ..., p.*

(6) *BOUTIN, Anciennes relations .... p. 337*

وبوفاة أحد المسيريين للمؤسسات وهو حاكم القالة، أصبح الشركاء في خلافات حادة حول تعيين خليفته. واشتد الخلاف بينهم حتى تدخلت الحكومة الفرنسية في القضية، وأوفدت أرفيو لتسوية الخلاف.

وكادت الشركات الفرنسية أن تفقد هذه الامتيازات نظرا لهذه الخصومات فحاول الجنويز بهذه المناسبة استغلال الفرصة لازاحة منافسيهم الفرنسيين، واقترحوا على الديوان مبالغ باهضة كما تطوعوا بتسديد ما على الشركة الفرنسية من ديون، اذا ما أعطي لهم الامتياز. (1)

وقرركولبير خلع أرنو من ادارة المؤسسات بحجة أن يجدد رأسمال الشركة وحينما رفض التخلي عن مركزه، بفضل مساندة الحكومة الجزائرية له، قررت الحكومة الفرنسية منع السفن الفرنسية من التوجه الى المؤسسات وكرد فعل لهذا فتح آرنو المجال للجنويين والليفونيين (2) ولم يتم تسوية الخلاف الا بعد وفاة آرنو. (3)

شركة لافون _ (1676 _ 1678)

بعد وفاة أرنو، أنيطت ادارة المؤسسات الى لافون، وهو الممثل السابق لشركة أرنو بمرسيليا بعد مجهودات شاقة من طرف القنصل الفرنسي أرفيو

---

(1) *ARVIEUX, Mémoire, Tome 5, p.*

(2) *MASSON, H.E.C.F. p. 131*

(3) توفي آرنو كما يذكر بسبب سوء الأحوال الصحية بالمنطقة.

ولم يحظ هذا الأخير بموافقة حكومة الجزائر الا بعد تعهده باحترام عدة شروط منها عدم المساس بأبناء أرنوه (1) لكن [illegible] ما إن أصبح واليا على المؤسسات حتى جلب لنفسه عداوة الديوان والأهالي معا، نتيجة تصرفاته غير المرضية. وهو ما يتضح جليا من الرسالة الموجهة من الحاج محمد داي الى كولبير: "أخبركم أن المدعو يعقوب لافون الذي اوكلتم إليه ادارة شؤون الحصن، لم يمكث بها سوى شهرين، ورجع الى مدينة الجزائر وهو لا يشتغل الا بالدسائس. وعلاوة على التراخي في العمل لم يؤد ما عليه من ديون الى الباي، ولا الرسوم الى الحكام المحليين .." ، وينهي حكام الجزائر رسالتهم بالعبارة التالية: " ... اذا كنتم ترون في الحصن منفعة فعليكم باختيار انسان حكيم" . (2)

ويتضح جليا مما سبق ذكره أن لافون لم يلتزم بما تعهد به ازاء الحكومة الجزائرية، وهو السبب الرئيسي في غضب الداي، وفي سجنه بعد ذلك. (3) ونظرا للمخالفات التي ارتكبها لافون، وبعد أن بدا واضحا أن شركته أصبحت عاجزة عن مواصلة نشاطها أصدر الملك لويس الرابع عشر قرارا يقضي بالغائها. وكانت مطالبة الجزائر بتسديد ما على الشركة من ديون السبب المباشر الذي جعل كولبير يأمر بإلغائها، حتى لا تعلن الجزائر الحرب ضد فرنسا المنهمكة في حروبها ضد أوروبا ...

---

(1) *LAPRIMAUDAIE, Le commerce ..., p. 39*

(2) *A.N.P. AEB[1] 115, Interprétation d'une lettre en langue turquesque écrite par le Dey d'Alger à COLBERT, Année 1673.*

(3) *MASSON, H.E.C.F., p. 133*

أرغمت الشركة لافون على التنازل عن حقوقها الى دوزو في 4 1أوت 1676. بعد أن ألغى الملك مختلف الصلاحيات المعطاة لها آنفا . كما أنها هددت في حالة عدم امتثالها لهذه الآوامر بعقاب جسماني وبضريبة/قيمتها ثلاثون ألف (1). "livres"

غير أن لابرمودي فسر سبب زوال هذه الشركة بالدرجة الأولى الى حقد الداي على لافون لبتصرفاته مع أبناء أرنو(2)

__شركة دوزو _ (1678 _ 1683)__

جاء في رسالة موجهة من كولبير الى الأب لوفشر ما ترجمته: "...لقد أرغم الملك تلك الشركة (أي شركة لافون) على التخلي عن ممارسة التجارة وأعلن عن تشكيل شركة جديدة ستقوم بكل ما هو ضروري لصالح ونجاح التجارة". (3)

كانت الشركة المقصودة بهذا القرار هي شركة دوزو.

استطاع دوزو أن يعقد معاهدة مع الديوان بتاريخ 11 مارس 1679 جاءت في ثلاثة عشر بندا . وتكتسي هذه المعاهدة أهمية بالنسبة لكونها أول نص سمح لشركة فرنسية بتصدير سنويا مركبين من الحبوب الى فرنسا قصد تموين عائلاتهم المقيمة بمرسيليا .

ومما جاء فيها أيضا :

" يتعهد دوزو بارسال سفينتين سنويا للمتاجرة بمدينة الجزائر

---

(1) *A.CH.CM, LIII,1, Compagnie Royale d'Afrique, Documents antérieurs à sa constitution.*

(2) *LAPRIMAUDAIE, Le commerce ..., p. 39*

(3) *A.N. Marine B7$_{50}$, Lettre de COLBERT A LEVACHER datée du 28 mai 1678,* Fol. 145

وفي حالة امتناعه يدفع ستة ألاف دوبلو ذهبية " Doubles d'or " .

كما اشترطت الحكومة الجزائرية على دوزو ، عدم إدخال أي شريك دون موافقتها ومما لا شك فيه أن هذا القرار يعود الى المشاكل التى تسبب فيها الشركاء السابقين مثلما أكدته المعاهدة؟ ..بناء على معرفتنا للانشقاق والخلاف اللذان حدثا في صفوف أولائك الشركاء (الذين سبقوا " دوزو") ، فمنع على السيد دوزو ادخال أي شريك دون موافقتنا ." البند الثاني عشر . (1)

ومقابل هذا الاحتكار تعهد دوزو بدفع الديون السابقة ، وبدفع ضريبة تقدر بأربعة وثلاثين ألف دوبلو ذهبية سنويا يتم تسديدها كل شهرين .

ولقائد عنابة ثلاثة ألاف بتالك/سنويا . كما يدفع لقائد القل أيضا 10 ٪ من المال الموجه لشراء الشموع والجلود من هناك

حظيت هذه الشركة بعناية خاصة من طرف الحكومة الفرنسية اذ منحها الملك جل الصلاحيات لابرام المعاهدات التجارية على أن تقدم لها . ستة أفراس .

ومن بين التسهيلات التى حظيت بها أيضا ، تخفيض رسم الكوتيمو ، فلا تدفع السفن التابعة لها سوى نصفه. (2) كما سمح لها بتشغيل عدد معين من النوتية

---

(1) نشر النص الكامل لهذه المعاهدة في :

- *Recueil de traités*
- *ROUARD DECARD, Traités ... pp 37 - 40*

(2) *A.C.C.M. LIII 1*

وباستعمال أربع سفن تتراوح حمولة كل واحدة منها بين 80 و90 طونو ، وهي التي تضمن الحركة التجارية بين الحصن ومدينة مرسيليا . (1)

وعن نشاطها تفيدنا مذكرة حول الحصن تعود الى حوالي 1682 بما يلي :

" ... يستخرج من تلك الأماكن كميات هائلة من القمح والجلود والمرجان واعداد هائلة من الخيول ... " (2)

والشيء الملاحظ أن نشاطها اتسع ، اذ ارتفع عدد سفنها من أربع سفن كما حددته موافقة الملك الى ثمان سفن .

ومع هذه الشركة انتقل المركز الأساسي للمؤسسات من الحصن الى القالة بعد أن ظل حصن فرنسا أو البستيون المركز الأساسي الى غاية ذلك التاريخ . ويعود هذا التغيير الى سوء الأحوال الصحية بمنطقة الحصن . (3)

مارست " شركة دوزو " نشاطها قرابة خمس سنوات دون أن تتعرض لأية عقبات . لكن اشتداد حدة الخلافات بين الجزائر وفرنسا عقب قنبلة دوكسين لمدينة الجزائر ، جعل الشركة تتخلى عن المؤسسات مرغمة في 1683. (4) رغم الضمانات التي وعدبها ... وتسليمه لجوازات السفر

(1) MARINE $B7_{50}$, Fol. 145

(2) A.N.P. AEB^{III} 234

(3) LAPRIMAUDAIE, Le commerce ... p. 39

(4) Ibid. pp 40 - 41

للسفن التي تضمن الحركة التجارية بين البلدين وكان عددها ثمانية. (1)

وإنه لمن المفيد أن اذكر بأنه رغم توتر العلاقات السياسية بين البلدين فإن الحركة التجارية بقيت متواصلة وبصورة منتظمة الى غاية جويلية 1683 . اذ بلغ حجم ما دخل الى موانيء الشرق الجزائري حوالي 1778 طنا. (2)

غير أن انسحاب الشركة ، والذي تسبب فيه الأميرال الفرنسي (دوكين) كما يذكر كان خسارة كبيرة لها . فلو واصلت نشاطها لجنت أرباحا كثيرة للظروف المواتية انذاك. فأوروبا بأكملها كان يهدد شبح المجاعة بينما كان القمح متوفرا بكثرة بالمؤسسات. (3)

ويبدو أن دوزو شكل شركة جديدة بعد انتهاء الحرب وعقد معاهدة بشأن المؤسسات أيضا ، حصل بمقتضاها على مكاسب عديدة ، فأعفي من دفع الضرائب أو اللزمة لمدة سنتين ويظهر أنه استرجع المؤسسات. (4) لكن تدخله أثناء توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا جعله يتعرض لسخط حكومة الجزائر.

---

(1) AE $B1_{116}$

(2) A.C.C.M. I_1, *Statistiques des bâtiments partis de Marseille à destination du Levant et de la Barbarie, 1680 - 1683.*

(3) A.N. AE B^{III}_{303}

(4) يرى لابيرمودي أن دوزو لم يتمكن بعد 1684 من استرجاع المؤسسات . ومنذ ذلك التاريخ غادرها نهائيا . وبعده مباشرة حل محله الانكليز الذين تحصلوا على الامتياز الى غاية 1694 ، وهي سنة التي انقضى فيها التعاقد ، ورفضت الحكومة الجزائرية تجديد التعاقد رغم تشبث الانكليزيه .

وهذا عندما حاول دوزو تفادى الحرب فبعث بعدة رسائل الى داي الجزائر. يطالبه فيها بطلب السلام ، وبعدم إثارة غضب الملك. (1)

ويظهر من رد الداي على رسائل دوزوان تدخله لقي معارضة شديدة "منذ متى كان التجار يتدخلون في شؤون الدول ، عليكم باحترام صلاحياتكم المقصورة على التجارة ونرفض بأي حال من الأحوال تدخلكم في المفاوضات(2) . ولم يسمح دوزو بعد ذلك باسترجاع نشاط المؤسسات. وظلت شؤون الحصن غامضة حتى 1694م.

شركة هيلي :

بعد انقطاع دام عدة سنوات شكلت شركة فرنسية جديدة وهي شركة هيلي ، ضمت تسعة مساهمين ثلاثة من باريس،وثلاثة من مرسيليا وثلاثة من بايون " BAYONE " (3)

وفي 1 جانفي 1694، اتفق ممثلها " إتيين كيسل " :

والحاج أحمد شعبان داي الجزائر على شروط اعادة المؤسسات . احتوت هذه المعاهدة على خمسة عشر بندا . (4)

---

(1) BOUTIN, *Anciennes Relations ...* p. 352

(2) MASSON, H.E.C.F. p. 139 et s.q

(3) BOUTIN, *Anciennes relations ...* p. 353

(4) عرفت هذه المعاهدة بالعثماني (L'ottoman) . ويبدو من المفيد أن أذكر بهذا الصدد أن هناك من يرى أن بين محتوى النصين العثماني والفرنسي اختلافات كثيرة. وهي منشورة في عدة مؤلفات من بينها :

– ROUARD DECARD *Traités ...* pp 64 - 76

–

تعهدت الشركة بمقتضى هذه المعاهدة بدفع ثلاثة آلاف ريال ، تدفع خلال ستة مرات. كما التزمت بدفع خمسمائة ريال الى الآغا النوباجي ، فضلاعن الفوائد المتعارف عليها الى شيوخ المعزول؟ البند الخامس.

تعتبر هذه المعاهدة حجر الزاوية في تاريخ العلاقات التجارية بين الجزائر وفرنسا . فكانت دليلهم في المعاهدات التى أبرمت بشأن المؤسسات الفرنسية، فاكتفى الطرفان بعد ذلك بتجديدها حتى 1754 .

كما تكمن أهميتها في كونها جاءت لتضع حدا لطموح الانكليز وغيرهم ، فجعلت حق المتاجرة مقصورا على الفرنسيين وحدهم . البند السادس.

أولت هذه الشركة اهتماما خاصا بتصدير الحبوب الى منطقة البروفانس (Lanquedoc) خاصة في سنوات 1648 و 1699، وصدرت القمح حتى الى مدينة باريس. (1)

(1) *BOUTIN, Anciennes Relations ..., p. 362*

خلاصة الفصل :

من خلال عرضنا السابق لتاريخ الشركات الفرنسية ، يمكن استنتاج ما يلي :

- انفردت الشركات الفرنسية بتجارة بايليك الشرق الخارجية ورغم هذا الامتياز الممنوح لها فانها كثيرا ما أخلّت بنصوص المعاهدات والاتفاقيات المبرمة في ذلك الشأن ولم تحترم احتياجات البلاد خاصة فيما يتعلق بالتصدير اللاشرعي والمفرط للحبوب (القمح) .

- لم تكن هذه الشركات دوما في خدمة فرنسا لسد حاجاتها بل غالبا ماكانت تفتح باب التصدير نحو مناطق أخرى حيث فرص الربح وخاصة منها جنوة وليفورنة . ومن ثم هل تستحق تلك المؤسسات تسمية المؤسسات الفرنسية وأكثر من هذا حصن فرنسا ؟ وربما لو أتيحت لنا فرصة البحث في مراكز الارشيف بالموانىء المتوسطية كليفورنا وغيرها لعثرنا على ما كان يصدر من المؤسسات نحوها خلال القرن السابع عشر وغيره .

- ان تواجد المؤسسات الفرنسية بالشرق الجزائري لم يساهم بأي حال من الأحوال في تطوير وازدهار البلاد على العموم وشرقها على الخصوص، فكل ما جنته الحكومة الجزائرية هو ضمان مصدر دخل آخر لخزينة الدولة وهو اللزمة التى كانت سبب خلافات عديدة بين الطرفين .

- ان الامتياز المعطى لهذه الشركات لم يكن باسم الملك مثلما قد يبدو للبعض بل كان باسم الخواص وكثيرا ما يتوقف على علاقة هؤلاء بالحكام الجزائريين ولم يعط لفرنسا أي حق للتدخل في ذلك رغم اصرارها .

- تميز القرن السابع عشر عن غيره من الفترات بظهور عدة شركات توارثت الاحتكار المعطى لتوماس لنش، اذ بلغ عددها حوالي ست شركات . وقد فسر بعضهم هذا العدد باخفاق بعضها بعد بضع سنوات مما جعلها تتنازل عن حقها الى شركات أخرى .

ويتضح جليا من خلال ما مر بنا أن اخفاقها لا يعود/الى سياسة الحكومة الجزائرية المناوئة لها و ما كانت تتسبب فيه من مضايقات مثلما يزعم المؤرخيين الفرنسيين وانما يعود اخفاقها الى جملة من العوامل وهي :

- الخلافات الشخصية بين المساهميين .
- قلة رأس المال .
- نقص الرعاية والحماية من قبل الحكومة الفرنسية على عكس الشركات التي أنشئت خلال القرن الثامن عشر . ومما تجدر اليه الملاحظة أن هذه الشركات لم تتعرض كلها الى الافلاس، بل استطاعت بعض الشركات أن تجني أرباحا طائلة ودليلنا على ذلك الكميات الهائلة التي كانت تصدرها عن طريق تلك المؤسسات .



من خلال ما مرّ بنا يتضح أن العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال الفترة الممتدة من 1619 الى 1694 قد عرفت تطورات واضحة. فالمرحلة الأولى الممتدة من 1619 الى 1660، اتسمت بتناقضات كثيرة، فرغم اقتناع فرنسا بضرورة التفاوض رأسا مع الحكومة الجزائرية، دون اللجوء الى الباب العالي، فإنها لم توفق في اتخاذ سياسة واضحة تجاه حكومة الجزائر. فحكومة لويس الثالث عشر كانت متذبذبة ومتناقضة مما جعل العلاقات تتأرجح بين السلم والحرب. كما عجزت البحرية الفرنسية عن مواجهة البحرية الجزائرية، بل أن الحكومة الفرنسية كثيرا ما لجأت الى طلب مساعدة البحرية الجزائرية للتصدي للإسبان، والى تشجيعها ضد أعدائها. ففي غضون صراع فرنسا مع إسبانيا أضحى الجزائريون الحلفاء غير الرسميين غير أنه يسجل في المرحلة الأخيرة من حكم لويس الثالث عشر محاولات "جزئية" للضغط على حكومة الجزائر، كتوجيه مرتين متعاقبتين أسطولين حتى ترغم الحكومة الجزائرية على التعديل من موقفها. ولم تجن فرنسا من ذلك الأسلوب العسكري أي شيء يذكر.

واستمرت السياسة الفرنسية بعد 1643 تاريخ اعتلاء الملك لويس الرابع عشر غامضة وغير واضحة، فلم يكن الملك يتجاوز سن الخامسة مما جعله يترك المجال الى والدته، واستمر الوضع كذلك الى 1661. فبمجرد أن وطد سلطته ومركزه بفرنسا عرفت السياسة الفرنسية تجاه الجزائر تطورا حاسما اذ فتح الملك الشاب المتقد حماسا والشغوف بالانتصارات والألقاب صفحة جديدة

وقـرر تصفيـة الحسـاب مـع الجزائـر. تجسـد ذلك، في الحمـلات العسكريـة الأربـع الأولـى استهدفت مدينـة جيجل 1664 وكانـت الجـزائر تمر حينئـذ بمرحلـة خطيـرة، وهـي مرحلـة امتـازت بالاضطـراب السياسـي . وغني عـن الذكـر أن فرنسـا كـانت تتبـع عـن كثـب احداث الجـزائر عـن طريـق قناصلها الذيـن لعبـوا دورا أساسيـا في الجوسسـة . وكانـت هـذه الحملـة أول محاولـة استعماريـة منيـت بالفشـل الذريـع . ويظهر أن فرنسـا استفـادت من هـذه التجربـة، فلـم تفـكر منذئـذ في أيـة محاولـة بريـة، واكتفـت بالقصـف البحـري .

وبعـد معاهـدة 1666 ، حرص لويـس الرابـع عشر على توطيـد علاقاتـه مـع الجزائر وعلـى إقامـة صداقـة متينـة مـع الجزائر لضـرب الإنكليـز والهولانديـين . وسـاد العلاقـات منـذ ذلك التاريـخ جوا سليمـا ، وسجلـت فتـرة مـن التعاون كالتحـالف الـذي حـدث في 1678 ضـد إسبانيـا . غيـر أنـه ابتـداء من 1681 توتـرت العلاقـات وكانت القطيعـة ، وأعلنـت الحـرب رسميا وجـه لويـس الرابـع عشر على اثـرها ثـلاث حمـلات عسكريـة لينتقـم من الجزائر، بـاءت كلها بالفشـل ، اضطـر لويـس الرابـع الى ابرام معـاهدة 1689، وبهـا يسـدل الستار عـن صفحـة الحمـلات العسكريـة وتفتـح صفحـة جديـدة في تاريـخ العلاقـات الجزائريـة الفرنسيـة .

ومما يجـب إبـرازه هـو أن هـذه الحمـلات العسكريـة لـم تكن تهـدف الـى الحـد من نشـاط البحريـة الجزائريـة ، بل أن فرنسـا أعلـنت الحرب كلما رأت مصالحـها مهـددة مـن طـرف منافستـيها انكلتـرا وهولاندا عسى أن تحافظ

علـى مكانتهـا لـدى الحكومـة الجزائريـة وفي الحوض الغربـي المتوسـط. وهو الشـيء الـذي عجـزت تحقيقـه .

أما علـى صعيد العلاقـات التجاريـة مايمكـن تسجيلـه هو أن فرنسـا حظيت على نقيض غيرهـا من الـدول بامتيـازات خاصـة وهي التى عرفـت بالتنـازلات الفرنسيـة تجسـدت في المؤسسـات الفرنسيـة بالشرق الجزائري . وظلـت الشركات الفرنسيـة المحتكـرة لهـذه التجارة رغـم منافسـة الانكليـز والجونوييـن والهلاند يين ورغـم هذا فإن الشركـات الفرنسيـة لم تحترم في غالـب الأحيان نصـوص الاتفاقيات.

استفادت فرنسـا من هـذه المؤسسـات إفـادة كبيـرة فكانت احدى منقـذي منطقـة البروفـانس مـن المجـاعات المهلـكـة التى كانـت عرضـة لها . كمـا زودتهـا بمواد أساسيـة ساهمـت مساهمـة فعالـة في تصنيـع الجنوب الفرنسـي كصناعـة الدباغـة والصابـون والمرجان .

ولـم تكـن الحركـة التجاريـة نشيطـة مـع مختلـف موانيء الايالـة ، مما جعل أحـد قناصـل فرنسـا يـرى ، "إن الجزائـر لاتدر عليكم شيئـا لكنها تضمن لكـم أمـن الاساكـل [illegible] " وسفنكـم وتجارتكـم فـي البحـر الأبيض المتوسـط

وممـا لاشـك فيـه أن هـدف فرنسـا من اقـامـة عـلاقات طيبـة وحسنة مـع الجـزائر لـم يكـن فقـط للحفاظ علـى المؤسسـات التجاريـة بـل كـان أيضـا للحفاظ علـى مكانتهـا وامتيازاتهـا في البحـر الأبـيض المتوسـط خاصـة وأن العصـر ، عصـر تنافـس شـديـد بيـن الدول التجاريـة ، انكلتـرا ، وهولانـدا .

ومـا يمكـن تسجيلـه أيضـا هو أن العلاقات التجاريـة لـم تعـرف نفـس التقلبـات أو نفـس المسار الـذي عرفتـه العلاقـات السياسيـة . فرغـم تصدع هـذه الأخيـرة فـإن التجارة فـي كثيـر مـن الأحيـان ظلـت متواصلـة .

وكادت أن تكون ذات اتجاه واحد وهو الاتجاه الفرنسي ، لعدم وجود فئة من التجار الجزائريين ، ولعدم وجود بحرية تجارية ، اذ حالت السياسة الأوروبية والفرنسية معا ، دون ذلك كما ساهمت الذهنية الداخلية وعدم تشجيع الحكام في كل ذلك أيضا .

ومما يؤسف له حقا ، أن هذه المبادلات التجارية لم تساهم بأي حال من الأحوال بشيء ايجابي يذكر في تطوير البلاد ، خاصة وأن أوروبا في هذه الاثناء كانت تعرف نهضة عارمة في مختلف المجالات . فكل ماجنته الحكومة الجزائرية المصدر المالي الذي كان يعود الى خزينة الدولة .

الملاحـــق

- جداول - وثائق - خـــرائط -

- 1 - قائمة المعاهدات المبرمة (1619 - 1694)

2 - قائمـة بأسماء المبعوثين الجزائريين الى البلاط الفرنسي .

- الوثائق : وتتضمن :

1 - تعهد الحكومة الجزائرية باحترام رعايا فرنسا سنة 1619 (ترجمة) .
2 - وثيقة حول ما كلفه سلام 1628 لفرنسا .
3 - معاهدة 19 سبتمبر 1628.
4 - رسالة من حكام مدينة مرسيليا الى حكام الجزائر 10 نوفمبر 1628.
5 - رسالة من كولبير الى روي حول ضرورة الافراج عن السفينة الجزائرية المحتجزة بكوليور. 1674 .
6 - رسائل من دوزوالى حكام مدينة مرسيليا حول قطيعة 1681.
7 - معاهدة 24 سبتمبر 1689 .

- الخرائط :

- مدينة جيجل خلال القرن السابع عشر
- خريطة للمؤسسات الفرنسية خلال النصف الأول من القرن السابع عشر .
- الموانيء الجزائرية خلال النصف الأول من القرن السادس عشر.

قائمة المعاهدات المبرمة

من 1619 الى 1694

تاريخ المعاهدة	عدد بنودها	نوعيتها	ملاحظات
21 مارس 1619		سياسية	المحور الرئيسي لهذه المعاهدة هو: ضمان السلم التخلي عن القرصنة. تلقت هذه المعاهدة حاكم الجزائر بنائب الملك أي نائب السلطان
19 سبتمبر 1628	12	سياسية وتجارية	جاءت تسوية العلاقات بين البلدين بعد قطيعة دامت قرن . ثارت فرنسا ضدها . وظلت مصدرا خلاف ونزاعات جادة حتى سنة 1666 .
29 سبتمبر 1628		تجارية	تخص المؤسسات الفرنسية وهي أول معاهدة قننت بصورة واضحة شؤون تلك المؤسسات. منحت المؤسسات مقابل 26000 دينار
7 جويلية 1640م	23	تجارية	جاءت لاعادة العلاقات التجارية بعد تحطيم الحصن سنة 1637 من طرف علي بتشين . من أهم ما جاء فيها : البند الثاني : 34000 مقابل استغلال الحصن . والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والحادي والعشرين والثاني والعشرين والثالث والعشرين ينص هذا الأخير علي احترام المؤسسات في حالة نشوب خلافات بين البلدين . رفض الملك الفرنسي المصادقة على هذه المعاهدة واعتبرها اهانة لشرف فرنسا . ورغم هذا دخلت المعاهدة حيز التنفيذ .

تاريخ المعاهدة	عدد بنودها	نوعيتها	ملاحظات
2 فيفري 1661	26	تجارية	إعادة العلاقات التجارية "الحصن" من أهم بنود هاء البند التاسع عشر والخامس والعشرين . ظلت اللزمة نفسها 34.000 يذكر "ماصون" بأن الملك رفض المصادقة على هذه المعاهدة لانه كانت له نوايا أخرى ازاء الجزائر. ص 117.
17 ماي 1666	12	سياسة وتجارية	عقدت بعد الحملة الفرنسية على مدينة جيجل والتى تلاها قصف مدينة شرشال . أهم بنودها البند السابع . حرية ممارسة الديانة المسيحية كما أقرت تفوق القنصل الفرنسي على بقية القناصل . البند الثامن : ضمان حقوق القنصل . البند الثاني عشر : يخص التجارة والتجار . أولمعاهدة قننت شؤون الجالية الفرنسية بالجزائر.
فيفري 1670	؟	؟	لم تُمكن من الاطلاع عليها .
11 مارس 1679	13	تجارية	تخص المؤسسات. من أهم بنود المعاهدة . البند الرابع يسمح بارسال سفينتين محملتين بالقمح الى فرنسا . تحتوي هذه المعاهدة على تفاصيل دقيقة حول شروط ممارسة التجارة.
28 أفريل 1684 (1)	14		معاهدة تجارية بين حكومة الجزائر والسيد دوزو. معظم بنود هذه المعاهدة تكرار لمعاهدة 11 مارس 1679 الاحتكار المطلق للتجارة من طرف دوزو.

(1) في القائمة التى أعدها "   " والتي نشرها في كتابه : مراسلات دايات الجزائر بالبلاط الفرنسي ، وقناصلة فرنسا بالجزائر ، لا يشير سوى الى معاهدة واحدة مؤرخة بـ 28 أفريل 1684 .

تاريخ المعاهدة	عدد بنودها	نوعيتها	ملاحظات
25 أفريل 1684	29	سياسية	معاهدة السلم المؤبدة . جاءت هذه المعاهدة بعد قنبلة دوكين لمدينة الجزائر تحتوي على نسخة لجواز السفر الذي يجب أن يحمله الفرنسيون .
13 مارس 1689		تجارية	تخص المؤسسات الفرنسية لم تدخل حيز التنفيذ على ما يبدو ولم أتمكن من الاطلاع عليها .
24 سبتمبر 1689	31	سياسية	معاهدة السلم المؤبدة بعد قنبلة دستري وتعتبر المعاهدة الوحيدة التي حظيت باحترام الطرفين حتى 1830.
5 ماي 1690	13	تجارية	تخص المؤسسات الفرنسية . يتضح من البند الرابع أن اللزمة قد انخفضت الى 24000
1 جانفي 1684م 3 جمادي الأول 1105	15	تجارية	بفضلها تمكن الفرنسيون من استرجاع المؤسسات ، ومواصلة التجارة عن طريق موانيء الشرق الجزائري . تعتبر من أهم المعاهدات التجارية ، اذ جعلت حق التجارة مقصورا على الفرنسيين وحدهم . مقابل 34.000

ملاحظة : إن عدد المعاهدات التى ابرمت بين الجزائر وفرنسا خلال القرن السابع عشر بلغ سبعة عشر . ست معاهدات تتعلق بالشؤون السياسية والتجارية العامة واحدى عشر معاهدة تخص المؤسسات الفرنسية بالشرق الجزائري .

قائمة بأسماء المبعوثين الجزائريين

إلى

البلاط الفرنسي .

اسم المبعوث	المهمة
* كينان آغا روزان باي .	كلفهما الديوان بالتفاوض بعد قطيعة 1608 . تمكنا من ابرام معاهدة 1619 . تم اغتيا لهما بمرسيليا بعد ما انتهيا من المفاوضات في 14 مارس 1620 . وبقيت معاهدة 1619 بذلك حبرا على ورق .
* الحاج جعفر (سفير)	جاءت هذه السفارة بعد معاهدة 1684 . تشكلت أساسا من الحاج جعفر آغا وشاطر باشا . كان وصولها الى مدينة باريس في 29 جوان 1684 . وتحادثت بقصر فرساي مع الملك لويس الرابع عشر . يسجل على المبعوث الجزائري اللهجة الصارمة التي خاطب بها ملك فرنسا . أتاحت هذه الزيارة لافراد البعثة التعرف على أشهر الأماكن بباريس. كما التقى الحاج جعفر بالأميرة كونتي. دامت اقامة هذه السفارة عدة أشهر من نهاية يونيو الى نهاية سبتمبر .
* الحاج محمد (سفير)	ـ كلف من طرف الداي الحاج حسين لاسترجاع الأسرى الجزائريين الذين تأخرت فرنسا عن اطلاق سراحهم . ـ رافقه ابنه محمد شلبي .
* محمد الأمين (مفاوض)	عهد اليه بعد قنبلة دستري لمينة الجزائر 1688 ، بالتفاوض حول شروط السلم . وهو الذي وضع شروط المعاهدة انظر نص المعاهدة .

par le diuan de la millice dalgier envoyee a
Messieurs les Consuls de ceste ville contenant
ainsy q senfuit

La cause de ceste escriture & declaration
q presentement feson assauoire a ceux de la
Loy du messias peuple crestien et aux
esleus parmi les plus grands de la
creance de Jesus gouuerneurs de
marseille q leurs fins soit heureuze Ce
vous sera pour aduis alarriuee de
ceste letre de compliment et amitie come
parcy deuant auec le gentilhomme qui
nous vous aurions enuoye dicy le
sr baron dalamaigne vn de nos gen
a auquel aurions faict plus que de
toutes sortes de caresses & cortoisie
luy ayant mis en mains tand de
esclaues come autand de ceulx quils
sont estes prins enguerre come daultres
quils ne sont pas estes prins enguerre
les ayants tres tous mis en liberte
et remis en mains dudict vostre
capitaine et faict rendre le premier
vez nous quartiers ensemble auec
... enuoyes de letre

et promesse consernant la foy de paix
mais ayant coulle desja trois mois san
q ayons sceu aulcune nouvelle ni moingn
resceu aulcune letre, parquoy presentement
avons escrit ceste letre damitye et
envoyes ou vous estant arrivee ce
vous estes avec verite conforme en amitye
du tres puissant et tres iuste empereur
universel, que nous ayes a envoyer
la responce de la promesse et foy parci
devant envoyee en deligence avec ung
de nous soumes, nostre promesse et foy
cest la foy en dieu et au propsete q
vous marchands negossians aillent
et vienent en toute asseurete car desor
en la releur sera faict en fason
quelconque tant en leurs personnes
que facultes, ni moingn a leurs servit
ni jeunes garssons ne leur sera
donne aulcun trouble ni permetrons
leurs estre faict que sesie suivant
la foy et promesse que nous avons
envoye parcydevant et que nous.

par le divan de La milice dalgier envoyee a
Messieurs les Consuls de ceste ville contenant
ainsy q. s'ensuit

La cause de ceste escriture declaration
q presentement faisons a vous aceux de la
Loy du messias peuple crestien et aux
esleus parmi les plus grands de la
creance de Jesus gouverneurs de
marseille q leur fin soit heureuse. le
vous sera pour advis a la venue de
ceste lettre de compliment et amitie come
par cy devant avec le gentilhomme qui
nous vous aurions envoye dicy le
sr baron dalamaigne un de nos gens
a auquel aurions faict plus que de
toutes sortes de caresses et cortoisie
luy ayant mis en mains tand de
esclaves come autand de ceulx quils
sont estes prins en guerre come dautres
quils ne sont pas estes prins en guerre
les ayants tres tous mis en liberte
et remis en mains du sus dict vostre
capitaine et faict rendre le bemin
ensemble avec
vers nous quartiers
... envoyes de lettres

ayez a envoyer avec deligence, afin
que nous sachions que vous estes avec
verite amis de nostre empereur car
nous vous croyons pour nous vieux
amis nous fit pour advis, escrite
au comencement de la lune de mar
mille cicenq difnuf et plus bas
est escrit de l'humble ahmed.
coronel des gemissere dalgier

traduict a marseille ce second avril
mille cicenq difnuf par moy
Interprete du Roy Hussin
La letre du baicha est copie
de celecy le nom du dict baicha
est Hossein

12 Septembre 1628

fo 790

Lan Mil six cens vingt huict
le Jour douziesme du mois
de Septembre apres midy, fust
presant En sa personne Pardevant
moy Nottaire Royal De La ville
de Marseille soubz.es et tesmointz
a La fin nommez hault Et
Puissant prince Messire Charles
De Lorraine Duc de guyse prince
de Jouuille pair de france gouverneur
Et Lieutenant general pour Le
Roy En provence admiral des mers
de Levant, Lequel De son
gré et franche vollonté A
Confesse avoir heu et Receu En

Denierre Comptance auparauant
les presantes De Noble & honorables
personnes Jean davene Sr Dela
montaliane, Pierre Eguirer Sr
des torres Escuyerre Et Louir de
St Jacquer Bourgeoir, Consulz
gouuerneurre Et proteteurre des
franchizes & libertes de laditte
ville presance stipulance pour
laditte ville & Communaulte auec
moy dit nottaire La somme de
Trante mil liures tournoice a
locaon des Turcz quy Estoient
dance La gallere de son Exselance
Et Deux gros Canona de fontte
verte quil a faict Consigner &
delliurer au pouuoir desdits

Sieurs Consulz Suyvant Et
Conformemant a la vollonte Du
Roy & arrest sur ce donne affin
destre conduitz & delluires au Bassa
Et divan de la ville dargers pour
facilliter le traitte de paix fait
Entre, les Subjetz de sa mageste
& laditte ville dargerie negotie
par le seigneur Sansson Napollon
Et pour l'Execution d'Jcelluy a Rettire
lesditz turcz & canons conduitz &
menees sur ledit lieu avec son
navire party despuis trois Jours
de ces Jlles dont Et de laquelle
somme de trante mil livres
s'en tenant mondit seigneur bien
content paye & satisfait en
a quitte laditte communaulte
srs consulz & tous aultres quil

appartiendra, En sorte que
Jammais demande ne leur en
sera faite / Declarant lesdits
Srs consuls que ladite somme
de trante mil livres par eux
payees a Son Excellance procedent
savoir douze mil livres dellivrées
par le Sr Jean de Rua, quatre
mil livres du Sr Jean Burgues,
Trois mil sixcens livres par les
dames de Ste Marie de cette ville
desquels les ont empruntées pour
ny avoir deniers a la bource
commune, Et dix mil quatre
cens livres des deniers receus
du Sr Jean Mazerat Exacteur du
droit du cottime impose sur les
vaisseaux polacres et barques entrans

dans Le port & haure de Cette
Ville pour Subuenir aux fraiz
faitz & affaire dudit traite dargens
Et autres despances quil Conuient
faire Journellement pour Le Commerce
auquel mazerat sont Este faitz
plusieurs Billetz par Lesditz sieurs
Consulz quy demeurent de nulle
Valleur par Vertu des presantes
quy Luy seruiront pour la
descharge Entiere de Ladite somme
de dix mil quatre cens Liures
Et Pour Lobseruaon de Cette quittance
Mondit Seigneur a foy & parolle
de prince oblige ses Biens a toutes
Cours & La Jure fait & Passe
audit marseille dans Le Logis
de Mondit Seigneur Ez presances

de Mr pierre dugas secretaire ordre
de la chambre du Roy et noble
Lazarus de servian escuyer originaire
& habitans respectivemans de lance
lad ville tesmoins appelles & signes
avec les parties suivant lordonnance
deguise Barone consul Esguisier consul
Sainct Jacque consul mazeras dugas
Lazarus de servian et moy noere
Royal soubz. Baldouyn noere ainsin
signes a loriginal

[illegible] du fu Mr francois baldouyn [illegible] No^re
Collacionne par Moy aussy notere Royal [illegible]
[illegible] soubz comme [illegible]

وثيقة رقم 3

معاهدة ١٩ سبتمبر 1628

Traité de paix entre ceux d'Alger et les sujets du Roi pour le commerce, fait le 19 septembre 1628

Au nom de Dieu soit-il : L'an mil six cent vingt-huit, le dix-neuvième jour du mois de septembre et suivant le compte des Musulmans, mil trente huit, et le vingtième jour de la lune de maran, en l'invincible ville d'Alger.

Le très puissant et très glorieux Empereur des Musulmans, etc., qui est l'ombre de Dieu sur la face de la terre, nous avoit envoyé ses sublimes Commandements à la considération de son très cher et parfait ami l'Empereur de France, que Dieu augmente sa gloire et vertu! lequel avoit envoyé en notre invincible ville d'Alger, par le capitaine Sanson Napollon[1] son aimé, les deux canons que Simon Danser[2] nous avoit enlevés ; ensemble nos frères Musulmans qui estoient esclaves dans ses galères. Lesquels Commandements, canons et Musulmans, ayant conduit dans le port d'Alger, les avoit rendus en la puissance du très illustre Seigneur Assan-Bacha, que Dieu augmente ses jours! et estant aussi assemblés l'Aga, chef de la Milice; le Moffy, le Cady et les défenseurs de la Loy, et tous ceux de la Milice du Grand Divan et Conseil; où publiquement avons fait lecture du Commandement du très hault Empereur des Musulmans, la substance desquels estoit ainsi :

« Vous aussi, mes esclaves de la Milice d'Alger, anciennement avez vécu avec les François comme frères, mais à » cause de quelques méchants hommes parmi vous qui ont » commis des actes contre le debvoir et la justice, avez » réputé les dits François comme ennemis ; maintenant que » tout le passé soit passé et sans que vous vous ressouveniez plus des injures, viviez comme frères et bons amis. »

Tous, généralement, grands et petits, nous avons répondu : Sommes contents et voulons obéir aux Commandements de notre Empereur, estant ses esclaves.

De même avons fait lecture d'un traité d'amitié de l'Empereur de France, la substance duquel dit ainsi :

« Tout ainsi que l'Empereur des Musulmans, mon très
» cher et parfait ami, les jours duquel soient pleins ! m'avoit
» écrit qu'il désire que l'on vescut de part et d'autre en l'ad-
» venir en bonne paix et amitié, ce que j'ai eu à plaisir. »

Tout le Divan et Conseil, grands et petits, ont solennelle-
ment juré et promis de conserver une bonne paix et amitié, et
pour cet effet, ils ont déclaré ici après ce qui se doit observer.

Premièrement : que tous les esclaves mousulmans, réfu-
giés des pays de leurs ennemis, abordant dans le pays de
France, leur sera donné libre passage pour revenir à Alger,
et défenses seront faites à ceux qui habitent les villes des
confins du Royaume de France et à toutes autres personnes
de ne vendre, ne rendre les dits Mousulmans à ses ennemis.

Lorsque les navires d'Alger avec les François se rencon-
treront, s'estant reconnus, se donneront des nouvelles réci-
proques comme vrais et bons amis, sans que ceux d'Alger
puissent aller dans les navires ou barques françoises pour y
prendre aucune chose que ce soit, ni changer voiles, câbles,
canons, ni aucune munition de guerre, ni autre chose, ni
moins pouvoient-ils menascer ni battre les patrons, escrivains,
garçons, ni autres du navire et barque, pour leur faire dire
chose contraire à la vérité.

Si les navires ou barques françoises seront chargés de
marchandises du compte des ennemis du Grand Seigneur,
après qu'ils seront bien éclaircis, soit par manifeste rapport
des dits patrons ou écrivains ou mariniers, les dits vaisseaux
ou barques seront conduits en Alger, où leur sera payé le
nolis et après s'en retourneront où bon leur semblera ; aux-
quels sera enjoint de ne plus toller marchandises des dits
ennemis, de crainte de ne perdre le crédit de son nolis.

Tous les François qui se trouveront dans les navires de
guerre des ennemis d'Alger, et qui seront mariés et habitants
aux pays des dits ennemis, estant pris dans tels navires, ils
seront esclaves comme ennemis.

Ayant les navires françois, reconnu et parlementé avec les
navires d'Alger, après en estre éclairci, tels navires françois
voulant combattre et commençant les premiers, estant pris
seront esclaves ainsi qu'il est porté par les Commandements
du Grand Seigneur.

[illegible], ni en facon aucune molestés en façon quelconque; que si quelqu'un François se voulait renier volontairement, il sera conduit devant le [illegible]

[illegible] volonté.

[illegible] qu'il y ait quelqu'uns des navires [illegible] d'Alger qui rencontrent quelques navires ou barques françoises, ne voulant croire la parole et le tesmoignage du capitaine et escrivain françois, que les facultés de tels navires ou barques appartiennent aux François, et qu'on voulut les conduire en Alger; à peine arrivés, seront lesdits capitaines et escrivains interrogés dans le Divan, avec paroles d'amitié et de douceur, sans leur faire aucune violence, et s'ils persistent que les facultés appartiennent aux François, incontinent seront relaxés et les [illegible] chastiés arbitrairement.

Tous ceux qui seront natifs des pays ennemis d'Alger, mais qui seront mariés et habitués en France, ne pourront être faits esclaves, comme aussi se rencontrant quelque François passager sur les navires des dits ennemis, ne pourront estre esclaves pour ce qu'ils soient sujets dudit Empereur de France.

Et d'autant que ceux de la milice d'Alger qui seraient raïs et capitaines de galères et navires de guerre, ne contreviendront jamais à ce traité de paix, aussi bien pourroit estre que quelqu'un de mauvaise vie, comme Mores [illegible] voulant armer pourroient rencontrer quelques navires ou barques françoises et les conduire à Salé, ou aucuns lieux des ennemis des François, ce qui seroit au grand préjudice de l'intégrité de cette paix et donneroit des blâmes à ceux d'Alger, et par conséquent à ceste fin de prévoir de tels inconvenients, il sera establi un très bon ordre à ceste fin que tous ceux qui partiront d'Alger seront asseurés qu'ils y retourneront, deffendant aussy que aucun estranger ne soit fait raïs de galères et navires.

Et semblablement, tant d'une part que d'autre, promettons que nous nous obligeons, par ce présent traité, d'observer et maintenir de point en point tous et chacun des articles des Capitulations d'entre nos deux Monarques, que Dieu maintienne

leur gloire et vertu! suivant lesquelles personne ne pourra entrer en la maison du Consul des François, ni officier du Divan, ni aucun de la Milice, pour quelque occasion, ni sujet que ce soit. Que si quelqu'un prétend quelque demande dudit Conseil, il sera appelé en tout honneur avec un des Chaoux du Divan par devant l'Aga, chef du dit Divan, où sera observé la justice ; à ceste fin que ledit Consul François vive en paix et tranquillité, et toute sorte d'honneur et respect.

En cas qu'il y eust quelque mauvaise personne, tant de la part d'Alger que de la France, qui commist quelque action capable de contrevenir aux articles du présent traité aux préjudices des Commandements et Capitulations impériales, et qu'il cherchast quelque occasion pour pouvoir rompre cette paix, n'y a point de sujet capable de ce faire ; mais tels personnages seront punis de mort cruelle, et à tous ceux qui contreviendront en aucun de ces présents articles, il sera tranché la teste.

Et pour l'observation de tout ce qui est contenu aux présents articles, en la présence de très illustre Ossan Bacha, de Massa Aga, chef de la Milice, des Seigneurs Mufty et Cady, défenseurs de la loi, de tous les sages et anciens, et de ceux qui continuellement prient le Très hault Dieu, et tous ceux du Divan et Conseil de l'invincible Milice d'Alger, grands et petits d'un commun accord et consentement, à la gloire et honneur des Empereurs, et suivant ces Commandements et Capitulations impériales, avons fait et promis cette paix, et donné parole avec serment et promesse de la maintenir et garder de point en point. Ayant fait du présent acte plusieurs copies semblables scellées et signées de tous les susdits et nommés, l'une des copies, sera gardée dans la caisse du sacré trésor du Divan, une autre à l'Empereur de France et aux lieux où besoing sera de les faire observer.

Fait l'an et jour ci-dessus[1].

Tres Illustres & Magnifiques Seigneurs

Nous avons esté tresaises davoir aprins par les lres de Monsieur sanson le bon traitement que vous luy avez fait, Et comme par la grace de Dieu la Paix a esté glorieusement acheuée & publyée vous asseurons que de nre part Nous y aporterons tout nre soing pour la conserver, Et croyons que de vre costé Il nyaura Jamais rien d'alteré, aquoy nous vous pryons de tenir la main, afin que la foy donnee de part & dautre demeure a Jamais Inviolable, Nous avons receu avec faveur le personnage que vous nous avez envoyé duquel en aurons un soin particulier, Et vous asseurons quil sera aussy asseuré dans nre ville que sil estoit dans Algers, Nous avons avis que vos Vaisseaux ont prins deux des nres lun desquelz chargé de sel a esté conduit a thunis & lautre en Tripoly de Barbarie, Nous vous pryons demployer vos forces afin que nous puissions recouvrer & les hommes & les Marchandises Estimant que vous mettrez vn tel hordre aladvenir que ces desordres narriveront plus. Nous vous volons faire part des glorieuses Victoires de nre Roy lequel par la grace de Dieu & par la valeur de ses Armes est venu a bout de la Rochelle & y a fait son entree despuis huit Jours en ça ayant suivant sa naturelle clemence donné la vie a tous ces Rebelles subgetz nous pryons Dieu quil face prosperer ses Armes & nous donne les moyens de vous servir selon noz Intentions estant

Tres Illustres & Magnifiques Seigneurs

Vres tres humbles Serviteurs
Les consulz gouverneurs de marseille
[signature illegible]

A Versailles le 10: Auril 1674:

Monsieur

Ne Scachant pas Si Vous pourres vous en aller auec dilligence a Mar[le]s.
Jénuoye ordre au Sieur Arnoul qui est à Tollon de Sy en aller,
promptement pour obliger les escheuins de Marseille dénuoyer
en dilligence a Collioure pour y prendre des turcs d'alger qui ont
eschoué au port de Vendres pres ladite Ville de Collioure Il y a desia
quelque temps, pour les renuoyer a Alger en leur rendant toutte
qu'il peuuent auoir perdu, Afin de conuier par ce bon traittement
le gouuernement de cette Ville la, à entretenir les traitez qui ont faits
auec luy., Et comme cette affaire est de grande consequence pour le
commerce de Marseille Si Vous pouuies y aller pour y donner
promptement les ordres, Je crois qu'il Seroit bien apropos et
aduantageux pour cette Ville, En ce cas Jescris aud. S. Arnoult
de Vous remettre tous les ordres que Je luy enuoye pour cella
Mais Si Vous n'y pouues pas aller, Il est necessaire que Vous
escriuies aux escheuins et au commerce de la Ville de Marseille
pour les porter à faciliter cette resolution, et à l'executer
promptement / Je Suis Monsieur, Vostre tres humble
et tres affectionné Seruiteur Signé Colbert

Jay l'original

Rouillé

Monsieur Rouillé

Messieurs   Jay rendu compte

au Roy de l'exactitude que vous avez apportée a l'execution des ordres que sa ma.té vous a donnez sur le sujet des Turcs qui estoient a Colioure, Elle m'a paru fort satisfaite de la conduite que vous avez tenu en cette occasion, et vous ne debuez pas douter qu'elle ne vous tesmoigne le gré qu'elle vous en scait dans celles qui pourront se presenter dans la suite Je suis.

Messieurs

a Arc sur tille le 19e
Juin 1674.

Vostre tres affné Seruiteur

[signature]

Mrs les Escheuins de Marseille.

Messieurs,

Monsieur Gleise qui Part de Cette place avec La poste pour Beaucaire [illegible] Une despeche que Monsieur Levachier Consul pour Le Roy a envoyé Dans Laq.[lles] il y en a une Du Divan pour Le Roy, et Demandent Tousjours Lexecution de Ce qu'on Leur a promis Concernant Les Turcqs des Ordinaires algeriens qui sont sur Les Galeres, J'en escris a Monseigneur Colbert et a Monsieur Le Marquis De Seignelay, Leur faisant Connoistre Limportance qu'il y a de leur Donner Satisfaction dans Leur Demandes, puis que Le Commerce en Depend et Le moins en par[ti]e [illegible] en pourroit Souffrir, Ajo[utez] La Bonne Secondée vos Instances aux ministres Affin que Nous ayons toute Satisfaction, J'ai envoyé Vostre Lettre a Monsieur Levachier, et Luy ay asseuré par avance, que la Cour estoit Dans des Dispositions de leur Donner Satisfaction, La santé est tres Bonne Icy Graces a Dieu, et moy je me feray Un plaisir de rencontrer Les occasions de vous Marquer La passion Avec laq.[lle] je suis,

Messieurs

Vostre tres humble et tres obeissant Serviteur, Arnoul

Messieurs Les Eschevins, et Deputés Du Commerce a M.[arseill]e

20 novembre 1681

Au Bastion de France Le 20. 9bre 1681.

Messieurs

Je me suis donné l'honneur de vous escrire Le 13. du mois passé, par Notre barque Sainte Marie sur laquelle Mons.r Glize a passé, Lequel vous aura mis entre les mains, Vostre paquet que Mons.r Le Vacher Missionnaire Recommandé De Vous fere tenir, Dans lequel il y avoit une Depesche Du Divan pour La Cour Touchant Le change de ces malheureux esclaves, En voicy une seconde q.le Ma envoyé par Terre par un Courrier exprès par laquelle, Ce qu'il peu avoir avancé Vous aurez appris. Comme Alger Nous a Declaré la guerre, sur le pretexte que Manquement aud.t eschange qu'on leur fait esperer depuis sy long temps J'escris a ce sujet a Monseigneur Colbert, Monsieur Le Marquis De Seignelay et a Monsieur De Bezons, Leur faisant Cognoistre par toutes les raisons Dont je suis Capable que Cette guerre sera La desolation Du Commerce et nous n'apportera aucune alteration au leur, parcequ'il n'en font pas et vous estes plains les vostres, pour empecher Un sy grand Mal, Pesant a nos Bourse en Corsaires, Ce qui fait que Cest raisonne pour paroistre Nostre, Je suis

Messieurs

Vostre tres humble et tres obeissant Serviteur

Dusault

a Lambese le 4me de Nov 1682

Messieurs
quoyque Je sois bien fasché de la rupture de la paix d'Alger Je ne laisse pas de vous sçavoir tres bon gré de l'avis, que vous m'en avez donné, Je m'en serviray pour en escrire incessamment a la Cour et Je feray ce que Je pourray affin que ce soit utilement pour le Commerce de vostre ville. Je suis

Messieurs

Vostre affectionné serviteur
Louis de Vendosme

Mrs les Eschevins de Marseille

Traitté de paix

avec le gouvernement de la Ville et Royaume d'alger

L'an mil six cens quatre Vingts neuf et le dix neuf.me Jour du mois de Sep.bre du Regne de tres chrestien, tres puissant, tres Invincible, prince, Louis quator.me du nom par la grace de Dieu, Empereur de france et Roy de nauarre; le s.r guillaume marcel commissaire des armees naualles enuoyé ~~par monseig.r~~ le marquis de Seignelay secretaire d'estat et des commandem.s de sa may.té Imperiale en consequence de la lettre Escritte par les tres Illustres et tres magnifiq. seig.rs hussein Pacha Dey Douan & milice de la Ville et Royaume d'alger à m.r [illegible] de [illegible] con.er du Roy En ses con.ls Intend.t gen.l [illegible] de Leuant par laquelle ils auroient tesmoigné [illegible]

Desquelles

[illegible]

faisoit plaisir de sentremettre pour le restablissement de lancienne amitié et bonne correspondance qui Estoit autrefois Entre les Suiets de Sa ma[té] Imperiale et le gouuernem[t] de la Ville et Royaume dalger se seroit presenté dans la d[te] Ville ou apres auoir rendu sa lettre de creance et auoir confere plusieurs fois auec le Sus[d] Pacha Dey, Il auroit esté resolu de part et dautre de restablir et mesme de conseruer et maintenir a lauenir Une bonne paix et amitié et pour cet Effet Ils seroient conuenus des articles qui suiuent.

Nous Mehemmed et Emin quant Este enuoyé vers le tres puissant et grand Empereur de france par lillustre et Magnifique Seig[r] [illegible] Chaban Dey Pacha dalger par tous les officiers du diuan et par toute la milice auec Une procuration et plein pouuoir de Ratiffier et Affermir le traitte cy dessus entre le puissant empereur de france et le magnifique Seig[r] Dey Pacha dalger en datte du commencem[t] du mois de may 1689 en [illegible]

pouvoir de l'ordre de l'empereur

de France nous avons ratiffie ce

present traitte pour estre exécuté

de part et d'autre dans toute son

estendue et teneur En foy de quoy

Nous l'avons signé et scellé de

nostre sceau au commancem.t du

mois de may 1604 signé Mehem

med et émin fils de moustafa.

Premierement

Les capitulations faites

Et accordées entre l'empereur de

france et le grand seigneur ou

leurs predecesseurs ou celles qui

seront accordées de nouveau par

l'ambassad.r de france envoyé

exprés a la porte pour la paix et

repos de leurs estats seront exactem.t

Et sincerem.t gardées et observées

sans que de part et d'autre il y soit

contrevenu directement ou

indirectement

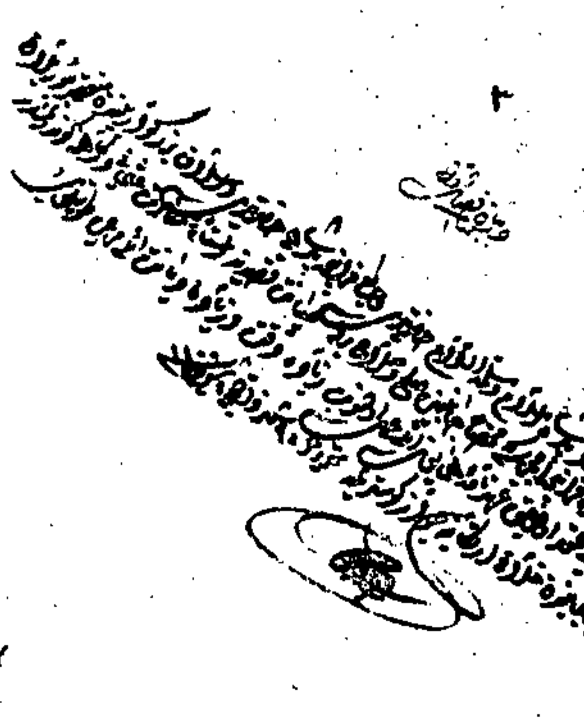
2

Toutes courses et actes d'hostilité

tant par mer que par terre cesseront

a l'avenir entre les vaisseaux et

les sujets de l'empereur de france



Et les armateurs particuliers de la Ville
et Royaume d'Alger.

3.

A sçavoir. Il y aura paix entre
l'Empereur de France et lesdits Illustres
Pacha Dey, Divan et milice de la Ville et
Royaume d'Alger et leurs sujets et Ils
reciproquement faire le comerce dans
les deux Royaumes et naviguer en toute
seureté sans en pouvoir estre empeschés
pour quelque cause et soubs quelque
pretexte que ce soit.

4.

Et pour parvenir a la d. paix Il a
esté convenu d'un libre rachapt de
part et d'autre pour les esclaves sans
distinction au prix qui sera reglé par
le Pacha et le consul de l'Empereur
de France exceptant neantmoins le dit
Pacha les deux [illegible] de [illegible]
[illegible] dont il pourra retirer
la moitié [illegible] cent [illegible]
Escus pour chascun et les maures
cent [illegible] promis le d. Pacha de
donner de pareil nombre [illegible]
françois au mesme prix.

Le Dit pacha dey, Divan et milice d'alger feront crier publiquem^t trois jours apres la publication du present traitté que tous les patrons qui auront des esclaves françois dans la Ville ou a la camp^e les fassent venir incontinent en toute diligence en la maison du consul pour prendre leurs noms, seulement.

6.

Les Bastim^s françois arrestes dans le port d'alger contre la ... seront rendus avec tous leurs agreements, armes, munitions ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... [illegible] ... part et d'autre ainsi qu'il est mentionné dans l'article [illegible]

[illegible]

Louis alexandre de Bourbon comte de toulouze ad.al de france a tous ceux qui ces p.ntes verront salut scavoir faisons que nous avons doñé congé et passeport a .... M.e de .... nommé .... du port de .... de .... allera .... chargé de .... et armé de .... apres que visitation de .... aura été bien et deuement faite en tesmoins de quoy nous avons fait mettre nostre Seing et le Seel de nos armes a ces p.ntes et icelles fait contresigner par le Sec.re gnal de la marine a Paris le .... 16 .... signé L. al. de Bourbon comte de toulouze ad.al de france et plus bas par monseigneur de Valincour et scellé

Certifficat du Consul de la Nation françoise a Alger

Nous .... consul de la nation françoise a alger certiffions a tous qu'il appar.dra que le navire nommé .... comandé par .... du port de .... estant a pnt au port et havre de .... est armé de .... appartenant aux Sujets du royaume

d'Alger en foy de quoy nous avons signé
le present certifficat et apposé le seel
de nos armes, fait a alger le .....
jour de ... x ... 11 ... signé ......
consul

8.

Les Vaiss.x de guerre et marchans tant
de France que d'alger seront receus
reciproquem.t dans les ports et rades des
deux Royaumes et Il leur sera donné
toutte sorte de secours pour les navires
et les Esquipages en cas de besoing
comme aussy il leur sera fourny des
Vivres et agrez, et generalem.t toutes
autres choses necessaires en les pay.t aux
prix ordinaires et accoustumes dans
le lieu qu'ils auront relaché.

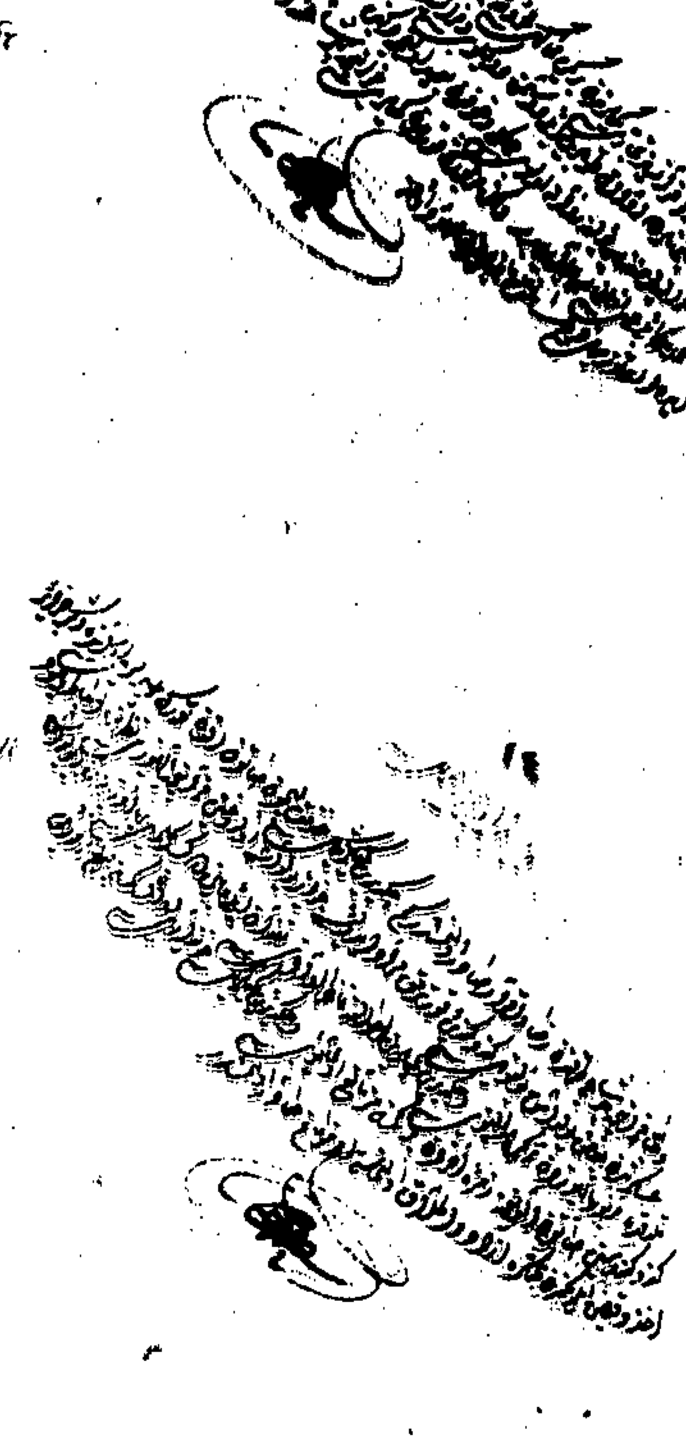
9.

Sil arrivoit que quelque Vaiss.au
Marchan françois estant a la rade d'alger
ou a quelqu'un des autres ports dud. Royaume
fust attaqué par des Vaiss.x de guerre
ennemis sous le canon des forteresses
Il sera deffendu et protegé par lesd. ...
chasteaux et le com̃and.t obligera ledit
Vas

[illegible] ennemy de donner l'h temps
[illegible] pour sortir et s'esloigner
dud. port et rade pendant lequel seront
retenus les d. Vais. ennemis sans qu'il
leur soit permis de les poursuivre
et la mesme chose s'executtera de la
part de l'emp. de france a condition
toutes fois que les Vais. armes en guerre
a alger et dans les autres ports du
Royaume ne pourront faire des
prises dans l'estendue de dix lieues
des costes de france.

10:

Il a esté convenu de la part de
l'empereur de france que au cas que
dans le [illegible] des turcqs qui seront
[illegible] dans la suitte par venir
[illegible] quelque
[illegible] d'alger
[illegible]
[illegible] le consul de france
[illegible]
[illegible] prix [illegible]
[illegible]
[illegible]
seront donnes aussi tost [illegible]
en aura esté faict entre [illegible]
[illegible]
galeres



11.

Tous les françois pris par les ennemis de l'empereur de france qui seront conduits a alger et autres ports du d. Royaume seront mis aussytost en liberté sans pouvoir estre retenus esclaves meme en cas que les vaiss.ᵉᵃᵘˣ de tripoly tunis et autres qui pourront estre en guerre avec l'empereur de france missent a terre des esclaves françois le d. Pacha Dey diuan et milice de la d. Ville et roy.ᵐᵉ d'alger donneront des apresent ordre a tous leurs gouu.ʳˢ de retenir les d. esclaves et de trauailler a les faire racheter par le consul des françois au meilleur prix quil se pourra et pareille chose se pratiquera en france á l'esgard des habitans du d. Royaume d'alger.

[illegible]

12.

Et a l'esgard des françois [illegible] [illegible] depuis [illegible] de 1681 jusques a la rupture a été [illegible] [illegible] seront tous rachetés [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

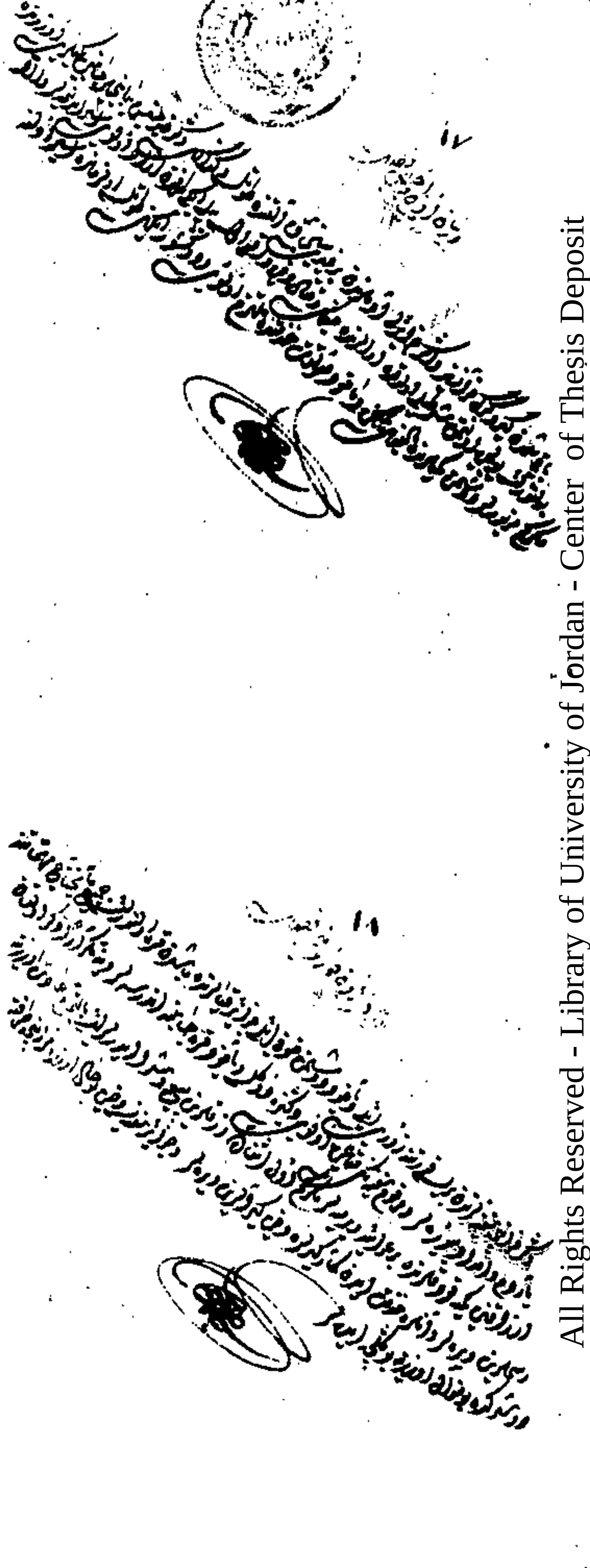
13.

Les Estrangers passagers [illegible] [illegible]

...ées, amenés pris sur des Vaiss.x Estran-
gers ne pourront Estre faits Esclaves
ny retenus sous quelque pretexte que
ce puisse Estre quand même les Vaiss.x
sur lesquels ils auroient Esté pris
se seroient deffendus a moins qu'ils
ne se trouvent actuellem.t Engagés
en qualité de matelots ou de Soldats
sur des Vaiss.x Ennemis et qu'ils soient
pris les armes a la main.

14.

Si quelque Bastim.nt françois se
perdoit sur les coste de la dependence
du Royaume d'Alger soit qu'ils soient
poursuivis par les ennemis ou forcés
par le mauvais temps il sera secouru
de tout ce dont il aura besoin pour
Estre remis en mer et pour recouvrer
les marchand.es ... [illegible]
[illegible] ceux qui auront Esté
[illegible] sans qu'on puisse exiger
aucun droit ny tribut pour les
march.es qui seront mises a terre a
moins qu'elles ne soient [illegible] dans
les ports dud. Royaume [illegible]
[illegible]
sera reciproquement executté
de part et d'autre.



Tous les marchands françois qui aborderont aux ports ou costes du Royaume d'alger pourront mettre a terre leurs marchses vendre et achepter librement sans payer autre chose que ce qu'ont accoustumé de payer les habitans dudit Royaume et il en sera usé de la même maniere dans les ports de la domination de france et en cas que les d. marchands ne missent leurs marchses a terre que par entrepost ils pourront les rembarquer sans payer aucuns droits.

١٩

16.

Les Pacha Dey, Divan, et milice d'alger ne permetteront sous quelque pretexte que ce soit a aucuns corsaires de barbarie avec lesquels l'empereur de france pourra estre en guerre d'armer dans les ports de la domination d'alger ny d'y emmener ny vendre les prises qu'ils auront faites sur les d. françois comme ils feront deffences a tous leurs sujets d'armer sous comission d'aucun prince ennemy de la couronne de france.

٢٠

17.

Les françois ne pourront au contraire pour quelque pretexte que ce puisse estre

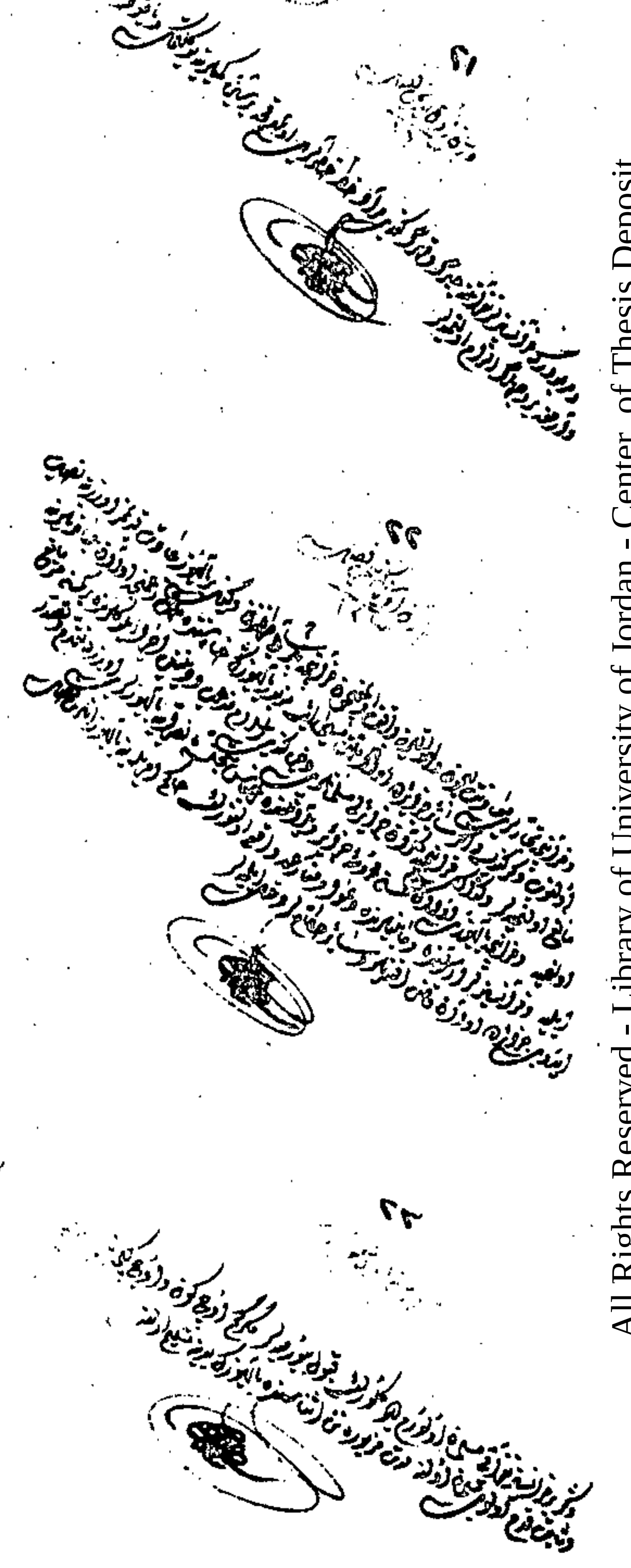
a charger sur leurs Vais.^x aucune chose contre leur Volonté ny faire aucun Voiage ou ils nauront pas dessein daller.

18.

Pourra le d.^t Empereur de france continuer lestablissement d'vn consul a alger pour assister les marchands françois dans tous leurs besoins et pourra le d.^t consul exercer en liberté dans sa maison la Religion chrestiêne tant pour luy que pour tous les chrestiens qui y Viendront assister, comme aussy pourront les turcqs de la d.^e Ville et Royaume dalger qui Viendront en france, faire dans leurs maisons lexercice de leur religion et aura le d.^t consul la preeminence sur les aûs consuls et tout pouvoir et Jurisdiction dans les differens qui pourront naistre entre les fran.^s sans que les Juges de la d.^e Ville dalger en puissent prendre aucune connoissance.

19.

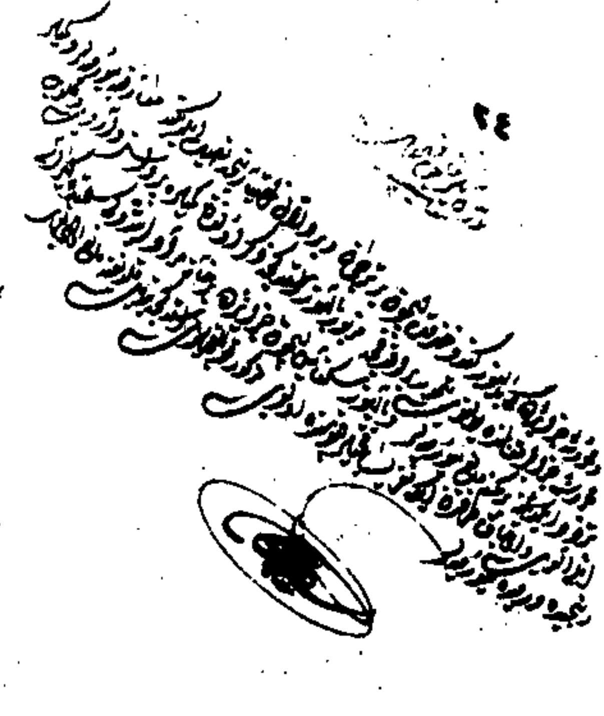
Sy Vn françois Voulant se faire turcq il ny pourra estre receu qu'au prealable



[illegible] dans sa resolution pendant lequel temps Il [illegible] en depost entre les mains du consul.

20.

Il sera permis au d. Consul de choisir son drogman et son courtier et d'aller librem.t a bord des Vaiss.x qui se trouueront en rade toutesfois et quantes qu'il luy plaira et aussy de choisir une maison ou il Jugera apropos en payant, et d'auoir deux Jani.res a sa porte qu'il pourra changer quand il voudra.



21.

S'il arriue quelque different entre les François et vn turc ou maure [illegible] estre Jugés ordinairement mais bien par le conseil dud. Bacha Dey [illegible] par [illegible] commandant [illegible] les differents [illegible].

22.

Ne sera led. consul tenu de payer aucune dette pour les marchands [illegible]

... obligé par escrit et seront les effets des françois qui mourront au d. pays remis es mains dud. consul pour en disposer au proffit des françois ou autres auxquels ils appartiendront et la mesme chose sera observée a legard des turcs dud. Royaume d'alger qui viendront sestablir en france.

23.

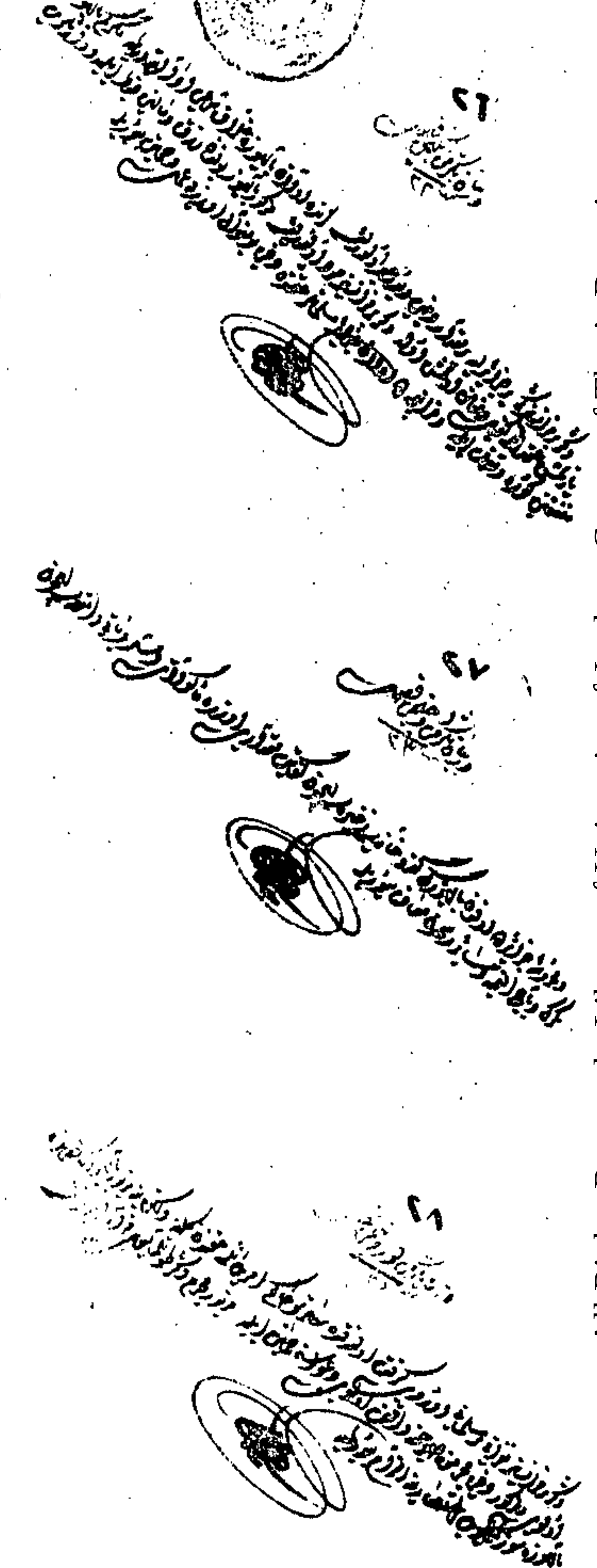
Jouira led. consul de lexemption de tous droits pour les provisions, livres et marchand.es necessaires pour sa maison.

24.

Tout françois qui aura frappé un turcq ou maure ne pourra estre puni qu'apres avoir fait appeller led. consul pour deffendre la cause dud. françois et en cas que led. franc. se sauve ne pourra led. consul en estre responsable.

25.

Le pere de la mission qui fait la fonction de vicaire apostolique a

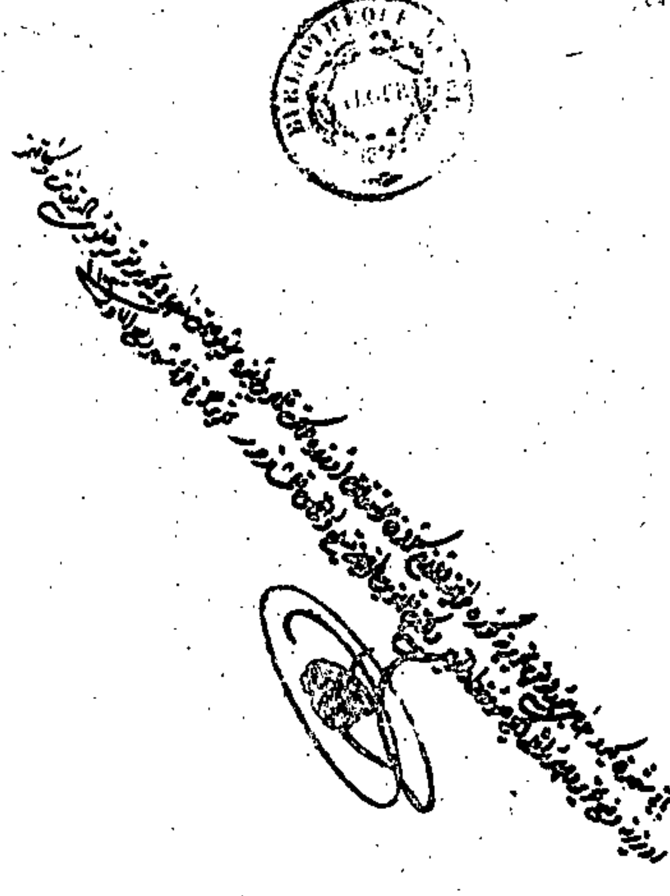


Jour de decembre mil six cens quatre vingts dix Signé Louis Et plus bas phelippeaux



Observé de part et d'autre pend. cent ans a conter du Jour de ma ratiffication dans toute sa force et teneur et dans toutte son estendue et de plus Jay declaré et declare que telle est l'intention de l'Illustre Et magnifique Dey et Divan et de toutes les puissances du Royaume d'Alger. Je prie Dieu qu'il face tomber ses maledictions sur ceux qui seront premiers a faire Infraction au present traitté et ceux mesme qui auront dessein de le troubler par leurs Inspirations diaboliques et pour foy de ma presente ratiffication Jay signé et apposé mon cachet le 15 d. x.bre 1690.

Dusault



La presente ratiffication [suite] par mons.r
L'envoyé du Divan d'alger, a esté
traduitte de l'ordre de m.r Robert
par nous Interpretre du Roy
pour les affaires de la marine a
toulon signé delamagdelaine.

Le Roy ayant agréé le traitté cy dessus
convenu Entre le S.r Marcel commissaire
ordinaire de la marine et les Illustres
et magnifiques seigneurs les dey, divan,
et milice d'alger pour l'establissement
d'une paix solide entre ses suiets et ceux
du Royaume d'alger, sa Maj.te a trouvé
le dit traitté conforme a ses intentions
en tous les points qu'il contient [illegible]
[illegible] et confirme [illegible]
[illegible] parolle de Roy [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] en quelque sorte et maniere que ce
soit, donné a Versailles le [illegible]

Signé [illegible] publiciday
[illegible] cau en [illegible].

Fait et arresté entre led. Sieur
Marcel pour led. Empereur de France
d'une part, et led. Pacha dey divan
et milice de lad. Ville et Royaume
d'Alger de l'autre le 24 Septembre 1689.

Au nom de Dieu
misericordieux, louange au Dieu le
Roy Eternel et grace soit rendue a
ce Roy des Roys qui est tout puissant
et createur du monde.

Le tres honnoré tres puissant
Seigneur Hadgy Chaban Dey Pacha
d'Alger voulant de consentement [illegible]
[illegible] de tous les [illegible] dat
de toute la milice, et de tous les habi
tans du paye maintenir [illegible]
[illegible] de paix dans toutte [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] et tres puissant [illegible]
de France [illegible]



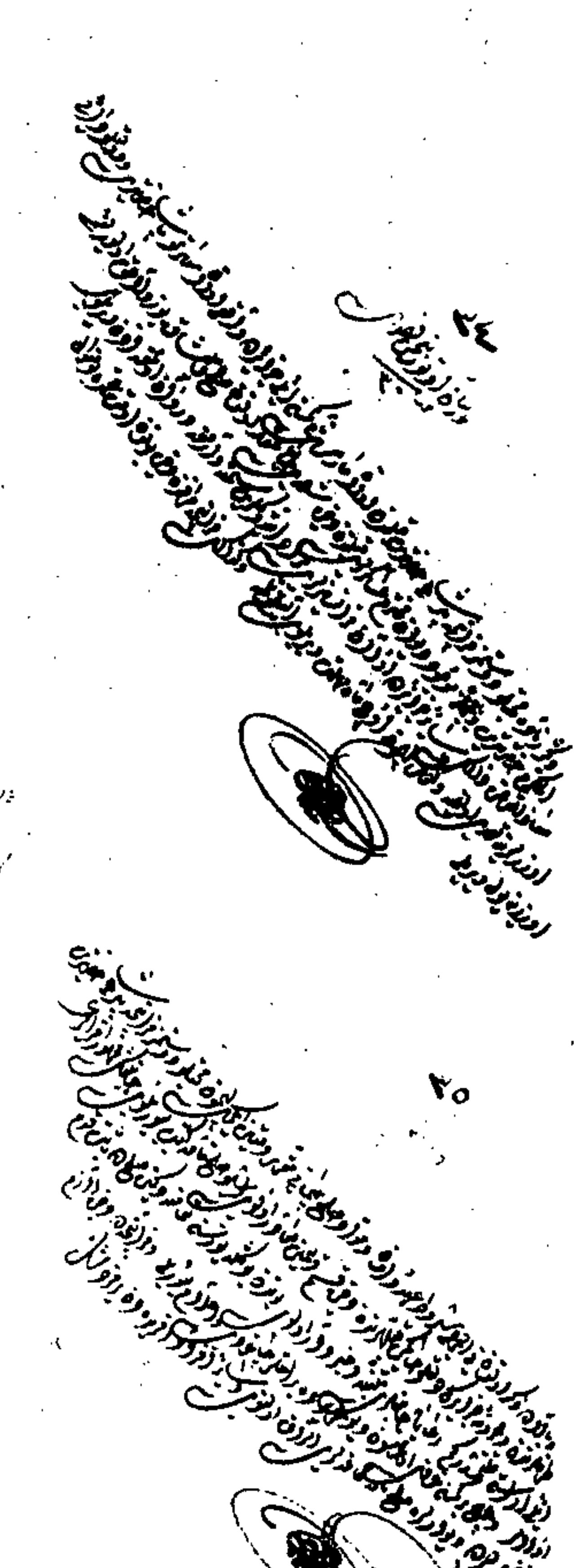
[illegible] Elle et d'un plus grand nombre de coups de canon que ceux de toutes les autres Nations qu'il rendra coup pour coup bien entendu que pareille chose se pratiquera dans la rencontre des d.ts Vais.x de guerre en mer.

30.

Si le present traitté de paix conclu entre le S.r Marcel pour l'Empereur de France [illegible] le Bacha Dey Divan et milice [illegible] Royaume [illegible] a estre rompu [illegible] pour [illegible] [illegible] dans l'estendue dud. Royaume [illegible] avec tous leurs effets [illegible]

31.

Les articles cy dessus seront ratiffiez et confirmez par l'Empereur de france et les Pacha Bey Divan et milice de la ville et Royaume d'alger pour estre observez par Leurs sujets pend.t le temps de cent années Et affin que [illegible]



... d'alger, ...

... ou a des corsaires de lad. ville

quil trouuera en mer il en sera puny

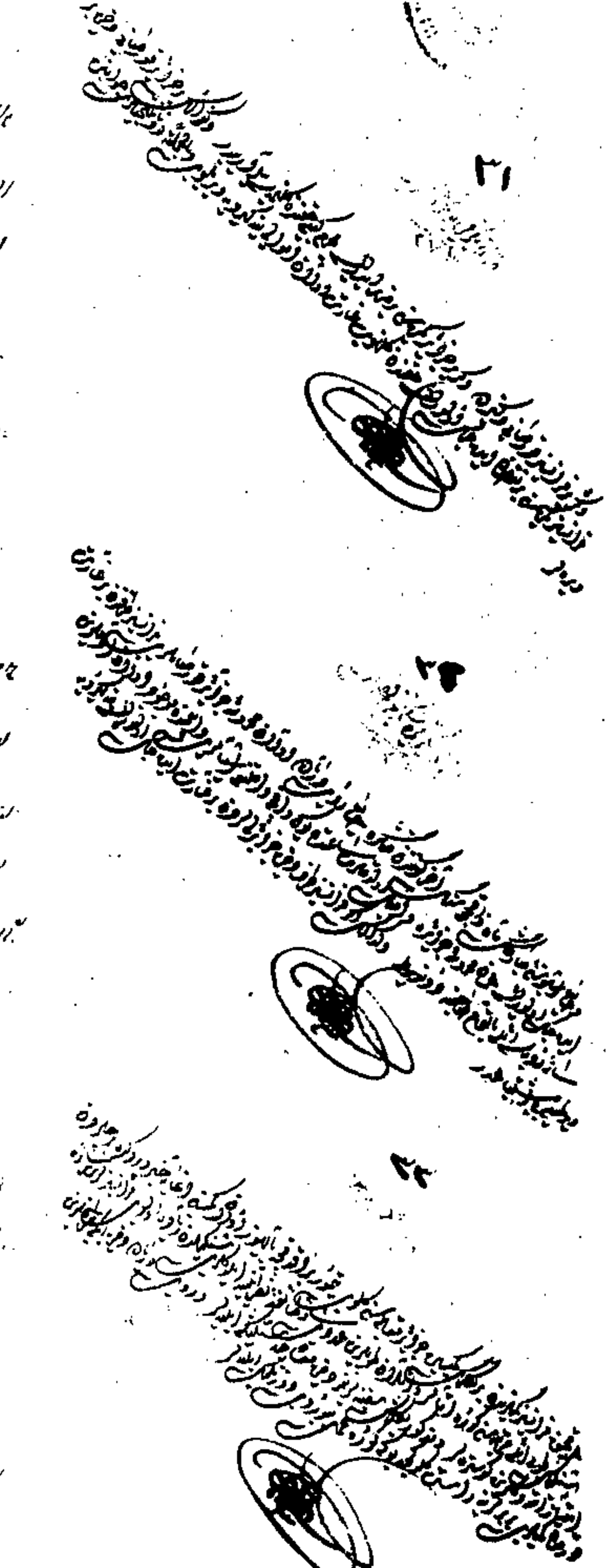
et tous les armateurs responsables

28.

Si les Vaiss.x dalger qui sont presentement en mer auoient pris quelque Batim.t Fran.s passé le 14.me Jour du Mois doctobre prochain ils seront rendus aussytost quils seront arriuez en la d.e Ville auec toutes les march.es Effets argent comptant, robe des Equipages et il en sera de même si les batim.s Franc.s auoient pris quelques bastim.s de la d.e Ville dalger.

29.

Toutes les fois que ... de l'empereur ... [illegible] ... ponton de la marque et commandant qui portera par les chateaux et ...



[illegible] pourra avec son confrere visiter les esclaves qui sont dans led. Royaume même dans les bagnes du Pacha et Dey et seront les missionnaires de quelque nation qu'ils puissent estre regardez come sujects de l'empereur de france qui les prend en sa protection et en cette qualitté ne pourront en aucune maniere estre inquietez, mais maintenus et secourus par le consul comme françois.

26:

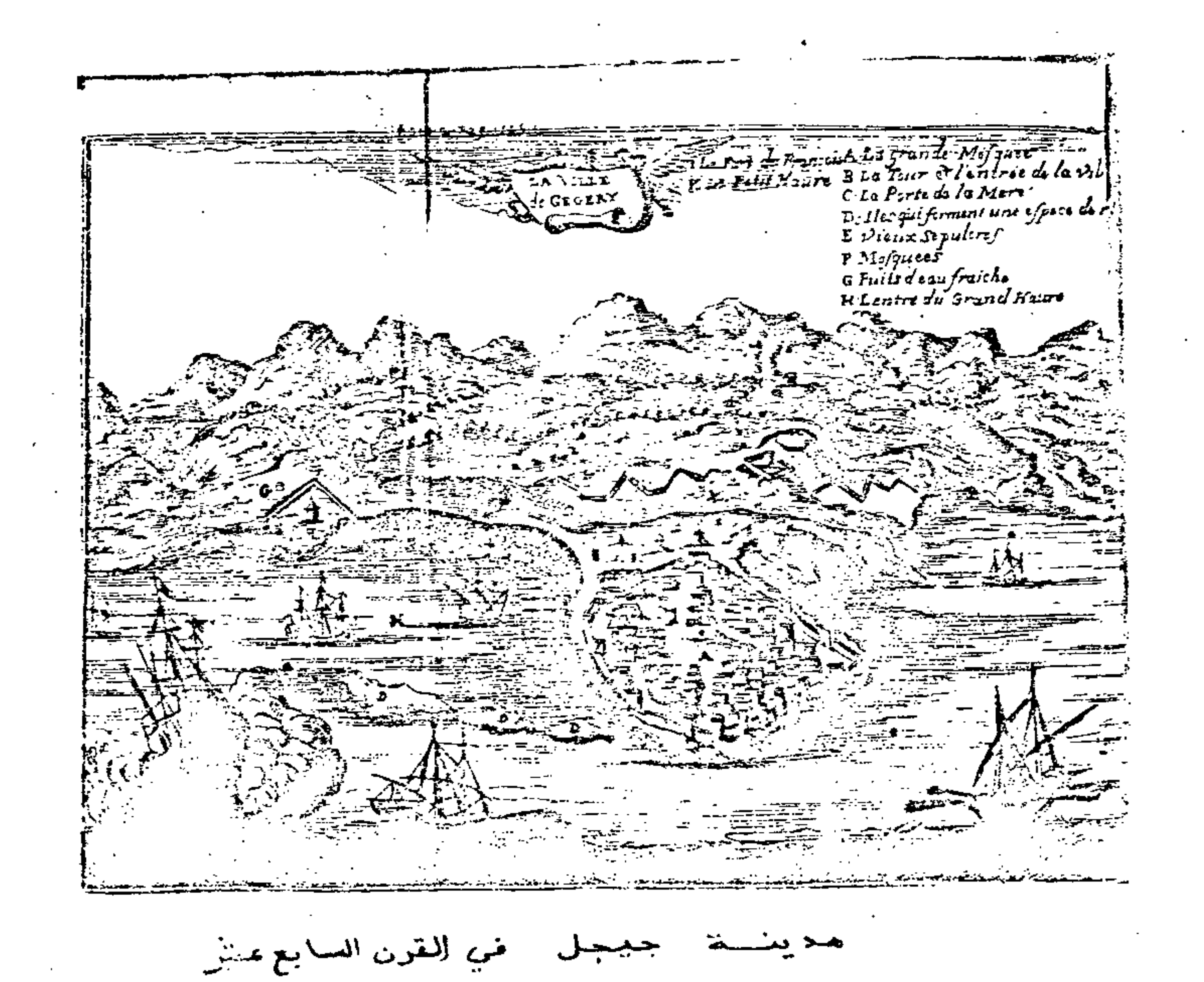
Si l'arriue quelque contrauention au present traitté, Il ne sera fait aucun acte d'hostilitté qu'apres un deny formel de justice et pour faciliter l'establissement du comerce et le rendre ferme et estable les tres illustres Pacha Dey Divan et milice [illegible] quand ils l'estimeront a propos [illegible] de qualité [illegible] pour entretenir [illegible] pourront [illegible] au present traitté [illegible]

٢٩ [illegible]

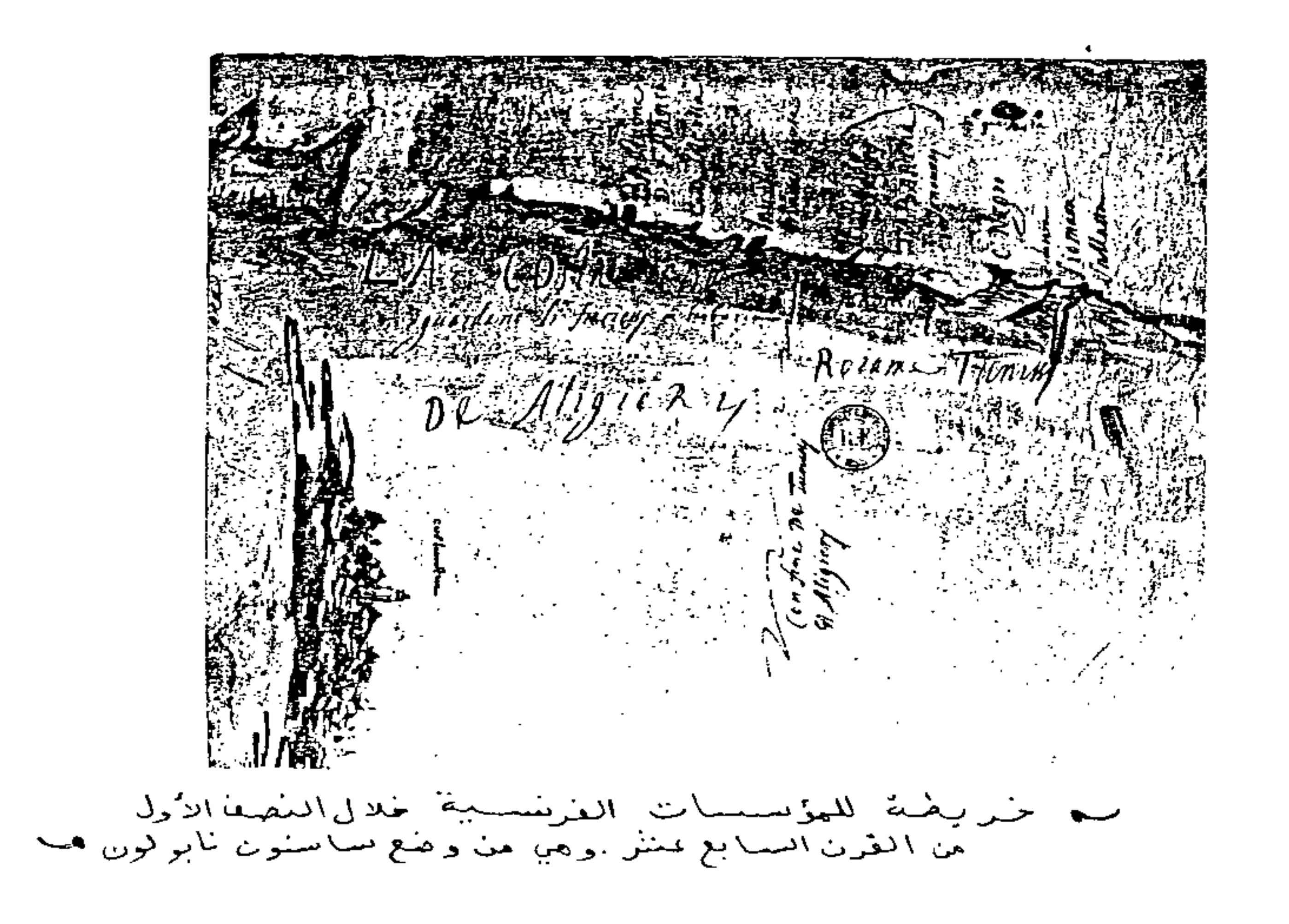
٣٠ [illegible]

27.

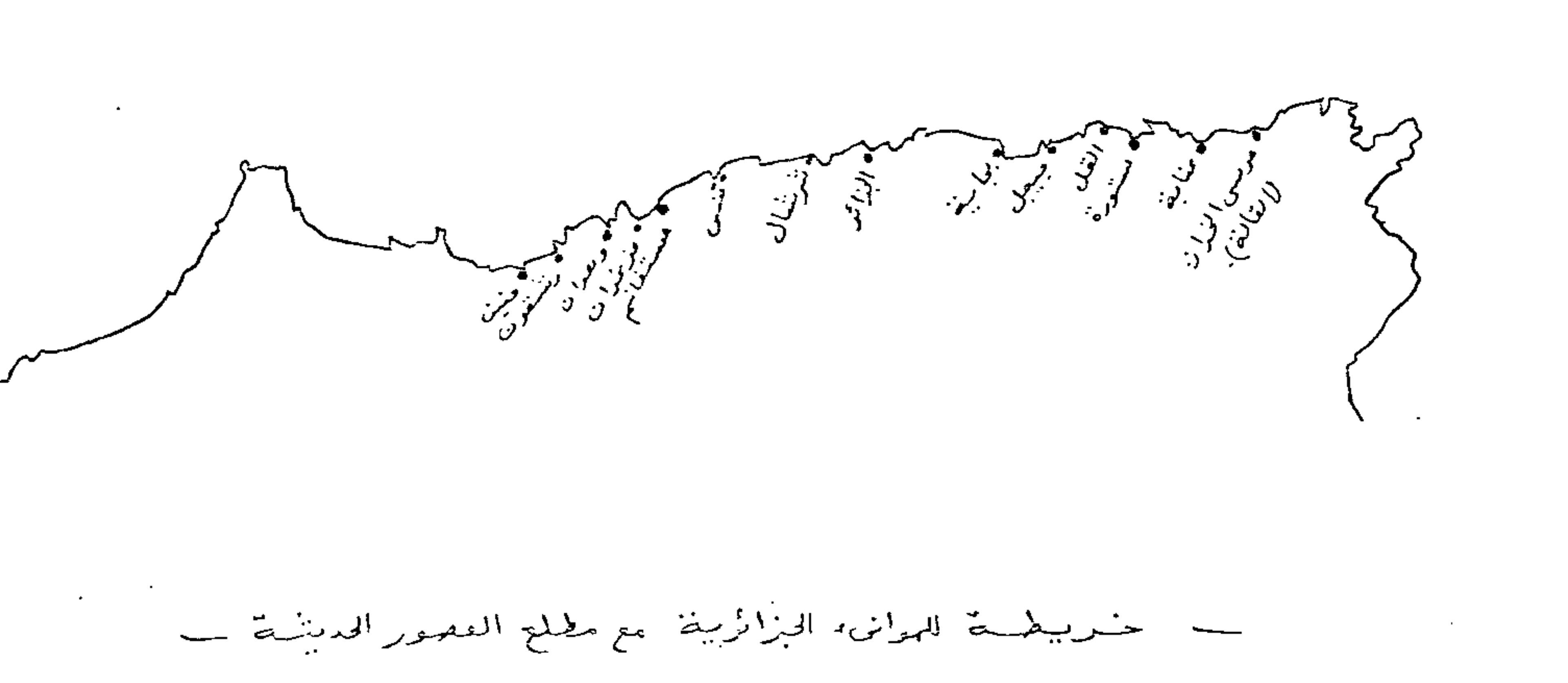
Si quelque corsaire de france [illegible]



مدينة جيجل في القرن السابع عشر



خريطة للمؤسسات الفرنسية خلال النصف الأول من القرن السابع عشر. وهي من وضع سانسون نابولون



— خريطة الموانئ الجزائرية مع مطلع العصور الحديثة —

البيبليوغرافيا

نبـــذة عن المصـــــادر:

كان اعتمادي أثناء انجازي لهذا البحث على أصناف عديدة من المراجع ، فمنها الأرشيف ، أي الوثائق التي لازالت مخطوطة ومنها الوثائق المنشورة . كما رجعت الى بعض المخطوطات وهي قليلة . واستفدت أيضا من مذكرات الرحالين والأسرى ولم أستغن عن الدراسات الحديثة المتوفرة حول الموضوع من كتب ومقالات بالفرنسة وبالعربية .

وتجدر الإشارة إلى أنني اقتصرت في هذه البيبليوغرافيا - وهي تضم مختلف المراجع التي عدت إليها - على التعريف بالأصول وأعني بها الأرشيف ، وبالمصادر الأجنبية لابراز موقف الأوربيين من الجزائر في هذه الحقبة .

- نظمت البيبليوغرافيا على النحو التالي :

1 - الأرشيف

2 - الوثائق المنشورة .

3 - المخطوطات :

4 - رحلات ومذكرات .

5 - الدراسات الحديثة

أ - بالفرنسية

ب - بالعربية

6 - مقالات المجالات المتخصصة .

أ - بالفرنسية

ب - بالعربية

: الأرشيـــف :

ان مضان مجمـوعات الأرشيـف التى عدت إليها ما يلـي :

أ وّلا : باريـس: مركـز الأرشيـف الوطنـي :

رجعت الـى سلسلتيـن أساسيتيـن :

أ ـ أرشيـف وزارة الخارجيـة : وكانت استفادتـي بصورة خاصـة من مجموعتين وهما :

1 _ AE B^1 COORESPONDANCE CONSULAIRE, CONSULATS MEMOIRES ET DOCUMENTS.

استفدت من هذه المجموعـة من سجليـن :

- B^1_{115} CORRESPONDANCE CONSULAIRE 1642 à 1686.

سجل ضخم غير أن استغلاله الجيد ليس بالأمر الهين فالخط غير واضح بالنسبـة لبعض الوثائق والعائـق الأكبر هو التشطيـب الذي تعرضت لـه بعض الوثائق . وهو في مجمله عبارة عن مراسلات في قضايا مختلفـة حول فدي الأسرى ....

- B^1_{116} CORRESPONDANCE CONSULAIRE 1687 à 1692.

وهـو أيضـا سجل ضخم يتعرض لنفس القضايـا .

2 _ AE B^3 LEVANT ET BARBARIE.

تتعلـق وثائـق هذه المجموعـة بشؤون القنصليـات وقضايـا التجارة الفرنسيـــة مع المشـرق والمغرب . وهي تمتـد من القرن السابع عشر الى التاسـع عشـر .
وكانت العـلب التي استفدت منها :

— 234, MEMOIRES ET LETTRES SUR LE COMMERCE : 1620 - 1684

تحتوي هذه العلبـة على تقارير ومذكرات حول تجارة الأوروبيين وبخاصة الفرنسيين في المشرق وفي ثنايا هذه الوثائق نعثـر على بعض المعلومات تخص تجارة الفرنسييـن ببلاد المغرب. ويجب أن أذكر أن هذه العلبـة جد مفيدة لدراسة العلاقات التجارية بين فرنسـا والمشرق ، الساحل السوري واللبناني حلب ، صيدا .

— 235, MEMOIRES ET LETTRES SUR LE COMMERCE.

مفيدة جدا فيما يخص منافسة الانكليز والهولانديين بالمشـرق .

— 283, COMMERCE DE DRAPS EN LEVANT ET BARBARIE, MEMOIRES ET ETATS, 1693 - 1791.

عنوان هذه العلبة مغري جدا ، فلا يعثر الباحث في ثناياها سوى على معلومات قليلة وهي في معظمها تخص القرن الثامن عشر وفائدتها ضئيلة بالنسبة لبلاد المغرب في حين هي جد مفيدة بالنسبة للمشرق .

— 303, COMPAGNIES DU BASTION DE FRANCE ET DU CAP NEGRE, COMPAGNIE D'AFRIQUE, (1719 - 1743).

— 314 et 315, BILANS ANNUELS DE LA COMPAGNIE D'AFRIQUE.

يعتبر هذان الملفان من أهم الملفات المحفوظة بالأرشيف الوطني بباريس حول موضوع المؤسسات الفرنسية ببلاد المغرب لما تتضمنه من احصائيات تمكننا من تقييم نشاط الشركات الفرنسية من منتصف القرن الثامن عشر الى نهايته .

ب - أرشيف البحرية

كانت استفادتي بصورة خاصة من المجموعة التي تحمل رقم ب 7 ، ومن السجلات التالية :

— 49, EXPEDITIONS CONCERNANT LES CONSULATS ET LE COMMERCE DE LEVANT ET BARBARIE (1564 - 1731).

سجل ضخم يحتوي على وثائق تخدم بصفة خاصة موضوع العلاقات السياسية والتجارية بين الجزائر وفرنسا خلال القرن السابع عشر .

سجل ضخم هو الآخر ، يتناول قضايا التجارة مع المشرق والمغرب كما يتعرض الى شؤون القنصليات الفرنسية في مختلف الولايات العثمانية .

— 205, COMMERCE DE 1539 à 1660.

فضلا عن التجارة يتناول قضايا الأسرى الحجز ــ النفدي . كما يضم وثائق تخص العلاقات الفرنسية ــ العثمانية في الفترة الممتدة من (1650 ــ 1680)

ثانيا : مرسيليا :

أ ــ أرشيف الغرفة التجارة :

ومن السلسلات التي عدت اليها :

— AFFAIRES MILITAIRES, MARINE DE GUERRE, MARINE DE COMMERCE, NAVIGATION.

واستفدت من العلب التالية :

— ARMEMENTS, ESCORTES ET CONVOIS EN VUE DE LA PROTECTION DU COMMERCE 1621 - 1782.

— 49, CORSAIRES BARBARESQUES, ARMEMENTS, AFFAIRES DIVERSES, (1566 à 1679).

— 52, MASSACRE DES 40 TURCS A MARSEILLE, 1620 - 1624.

تتضمن هذه العلبة liasse ، المراسلات التي تمت من حكومة الجزائر وفرنسا حول مذبحة 1620 ووضع العلاقات بعد تلك الحادثة كما تحتوي أيضا على ملف صغير يخص مهمة سليمان شاوش المبعوث العثماني الى الجزائر.

— 53 à 56, PIRATES BARBARESQUES, 1673 - 1792. ALGER.

— G AFFAIRES RELIGIEUSES. INSTRUCTION PUBLIQUE, SANTE, ASSISTANCE, ESCLAVES EN LEVANT ET BARBARIE.

— 6 - AFFAIRES RELIGIEUSES : PROTESTANTS ET MUSULMANS. CIMETIERE MUSULMAN A MARSEILLE.

— 34 - ASSISTANCE, PASSAGE, RAPATRIEMENT DES TURCS ET BARBARESQUES, SECOURS ET AVANCES A DES SUJETS DE LA REGENCE D'ALGER;

— I_1 - STATISTIQUES, ETATS DES BATIMENTS PARTIS DE MARSEILLE A DESTINATION DU LEVANT ET DE LA BARBARIE (1680 - 1683).

مفيـد ة جدا التعرف على الحركـة التجارية في فترة تأزمت فيها العلاقات مع الجزائر.

— 1338 à 1356, CORRESPONDANCE CONSULAIRE, CONSULAT D'ALGER de 1602 à 1794.

رغـم أنها تعكس وجهة نظر القناصل فانها تكشف عن جانب من جوانب العلاقـات الجزائريـة الفرنسية وغيرهـا . (انكليزيـة ، هولانديـة) .

— 1875, NEGOCIATIONS, TRAITES ET CAPITULATIONS AVEC LE DEY D'ALGER 1662 - 1790.

في هذه المجمـوعة نعثر على المعاهدات المبرمـة بين الجزائر وفرنسا وهي لا تشتمل عليها كلها . فضلا عن بعض المراسلات تتعلـق بقضايـا النشاط البحري وقضايا الأسرى .

— 1877, CORRESPONDANCE DES CONSULS DE MARSEILLE AVEC LES PUISSANCES DE LA REGENCE D'ALGER.

يتضمن هذا الملف مراسلات مفيدة جدا [illegible]

آرشيــف البلد يـــــة :

— FF 32, LE MASSACRE DES 40 TURCS.

تتضمــن مراسلات حول قضيـة الجزر ة الجزائريــة كما تحتوي على المحاكمة التى صدرت ضد مرتكبي هذه الجريمــة .

— APPROVISIONNEMENT EN BLE 1709 - 1714.

نكتشف من خلال هذه الطلبــة الأهميــة البالغــة التى أعطتها فرنسا لقضية استراد الحبــوب .

— APPROVISIONNEMENT EN BLE 1709 - 1714.

نفـس المـوضـوع .

— CONSULAT DES ECHELLES DU LEVANT. CONSULAT D'ALGER.

— CONSULAT D'ALGER 1601 - 1681.

لا نعثـر فيها على عدد كبيـر من الوثائــق باستثناء بعض المراسلات .

مـلاحظــة : ما يمكن ملاحظتــه بالنسبة لأرشيف بلدية مرسيليا أن ملفـات عديدة قد للحريــق .

ثـالثـا آكـس آن بـروفـانس :

اعتمدت بصورة خاصة على الميكـروفيلـم الذي يحمل رقم : 45 MI_1

— SERIE A_1 CONSULAT GENERAL DE FRANCE A ALGER 1685 - 1832.

2 ـ الـوثـائق المنشـورة :

CASTELLAN - *Relation contenant diverses particularités de l'expédition de GIGERY et entre autres la retraite des troupes françaises* in Archives Curieuses de l'Histoire de France, Tome X, 2ème série, pp 99 - 121.

CHARRIERE (F) - *Les négociations de la France dans le Levant* ou *Correspondances, mémoires et actes diplomatiques*, New York, Burt FRANKLIN, S.D. Tome 1, Tome 2.

DEVOULX (A) - *Les archives du Consulat Général de France à Alger*, Alger, Bastide, 1865.

DUPARC (P) - *Recueil des instructions données aux ambassadeurs et ministres de France depuis les traités de Westphalie jusqu'à la révolution française*, Tome XXIX Turquie, Paris, 1969.

GRAMMONT (H de) - *Correspondance des consuls d'Alger, 1690 - 1742*, Alger, Jourdan, 1890.

PLANTET (E) - *Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France*, Tunis, éd. Boudama, 1981, Tome 1er (1579 - 1700).

ROUARD (DECARD) - *Traités de la France avec les pays de l'Afrique du Nord*, Paris, Pedone, 1906.

SAINT PRIEST (Comte de) - *Mémoires sur l'Ambassade de France en Turquie et sur le commerce des Français dans le Levant*, Paris, E. Leroux, 1877.

XIVREY (B. de) - *Recueil des lettres missives de Henri IV*, Paris, Imp. Royale, MDCCCLIII, 6 Tomes, 1843 - 1876.

3 ـ مخطوطات :

ـ بالفرنسية :

Mss. Fr, *Lettres écrites à Charles de LORAINE, Duc de GUISE*, Bibliothèque Nationale de Paris, nº

ـ بالعربية :

ـ مجهول : قانون الجزائر ، مخطوط رقم 1378 . المكتبة الوطنية ـ الجزائر

4 : رحلات ـ مذكرات .

ARVIEUX (Ch.de) - *Mémoire du Chevalier d'ARVIEUX, mis en ordre par le P. Labat*, Paris, Delespine, 1735, 6 volumes.

أرسل في مهمة من طرف الملك لويس الرابع عشر لتسوية الخلاف الناشب بين والي الحصن ومدير الشركة . ضمن رحلته الى الجزائر في المجلد الخامس، وفيه وصف لمدينة الجزائر وحول عاداتها وحكومتها ووضعية الأسرى . وفي هذا المجلد أيضا نصح بحكومته بوجوب عقاب الجزائر عن طريق احتلال مدينة بجاية كما تعرض إلى تحصينات مدينة الجزائر ونقاط الضعف فيها لنفس الغاية .

BREVES (le Sieur de) - *Relation des voyages de M. de BREVES tant en Grèce, Terre Sainte et Egypte qu'aux royaumes de Tunis et d'Alger*, Paris, Gasse, 1628.

سفير فرنسا لدى الباب العالي كلفه الملك هنري الرابع بالتفاوض مع حكومة الجزائر بشأن مسألة الحصن واطلاق سراح الأسرى، باءت مهمته بالفشل وتمتد رحلته الى الجزائر من ص 358 الى 376 ، فيها وصف دقيق لمدينة الجزائر قواتها وعاداتها . كما يتضمن النص الكامل لمعاهدة الامتياز التي حصلت عليها فرنسا من الباب العالي سنة 1604 . وهذه الرحلة تلقي بعض الأضواء على أوضاع الجزائر في مطلع القرن السابع عشر .

DAN (le Père), *Histoire de la Barbarie et de ses corsaires*, Paris, Pierre Rocolet, MDCXLIX

زار الجزائر في 1634 ، بهدف فدي الأسرى رفقة المبعوث الفرنسي سانسون لوباج . يعتبر الراهب دان من الأوائل الذين شوهوا تاريخ الجزائر فقد أعماه التعصب الديني على رؤية الحقيقة أن هذا التحامل والتشويه له ما يبرره فالهدف الأساسي من تأليفه لهذا الكتاب هو اثارة الحماس الديني .وكسب عطف أوربا . وبغض النظر عن وجهة نظره

يمكن الإستفادة منه للتعرف على أوضاع الجزائر خلال النصف الأول من القرن السابع عشر.

DAPPER (O) - *Description de l'Afrique contenant les noms et la situation Avec des cartes des états des provinces et des villes*, traduite de flamand, Amsterdam, Wolfgang, 1686

من الكتب الهامة في وصف أقطار عديدة من افريقيا ، ويتضمن هذا الوصف مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والإقتصادية. وهو مفيد جدا.

DESFONTAINES - *Voyages dans les régences de Tunis et d'Alger* publiés par Dureau Delamalle, Paris, Gide, 1838.

عالم نباتي ، زار الجزائر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ترك لنا وصفا جغرافيا وطبيعيا للبلاد كما احتوى على بعض الأخبار عن الايالة الجزائرية (الناحية الشرقية على الخصوص)

HAEDO (F.D) - *Histoire des rois d'Alger*, Epitone de los Reys de Argel, Valladolid, 1612, traduite et annotée par H. de Grammont, Alger Adolphe Jourdan, 1881.

الكتاب كما يدل عنوانه مخصص لحكام الجزائر ابتداء بعروج الى مصطفى باشا . فهو يعطي ترجمة تسعة وثلاثين حاكما . كما يلقي بعض الأضواء على تاريخ الجزائر السياسي خلال القرن السابع عشر ، تمرد الانكشارية ، الثورات الداخلية ، علاقات الجزائر الخارجية .

LACROIX (Le Sieur de) - *Relation universelle de l'Afrique ancienne et moderne où l'on voit ce qu'il y a de remarquable tant dans la mer, tant dans la terre ferme que dans les îles avec ce que le Roi a fait de mémorable contre les corsaires de la Barbarie,*

4 volumes, Lyon, Thomas Amaulry, 1688 (volume 2).

الجزآن : الأول والثاني يخصان تاريخ المغرب . وفي الجزء الثاني يتناول صاحبه تاريخ الجزائر من ص 1 الى ص 284 . وهو من المصادر الهامة بالنسبة لتاريخ الجزائر خلال القرن السابع عشر . (تنظيم اداري ـ الجهاد البحري ـ علاقاتها بالدول الخارجية) .

LAUGIER DE TASSY - *Histoire du Royaume d'Alger avec l'état présent de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer et de ses revenus, police, justice, politique et commerce,* Amsterdam, 1725

اشتغل لوجي دوتاسي ، بالقنصلية الفرنسية في الجزائر خلال القرن الثامن عشر . لم يمكث طويلا بالجزائر ومع هذا فإن كتابه يعتبر من الكتب القليلة عن تاريخ الجزائر خلال القرن الثامن عشر وما قبله . وأهم ما امتاز به لوجي دوتاسي النظرة الموضوعية فهو يرفض الاحكام المسبقة ضد العثمانيين والبربريسك مثلما يسميهم .

LEON (Jean dit l'Africain) - *Description de l'Afrique*, nouvelle édition traduite de l'italien par A. Epaulard, Paris, Adrien, 2 tomes (tome second)

اسمه الأصلي الحسن بن محمد الوزان ـ ولد بغرناطة حوالي 1495 أي بعد سقوط الاندلس. نشأ وترعرع بمدينة فاس حيث التجأت أسرته . زار أماكن مختلفة القي عليه القبض من طرف قراصنة صقليين ، أرغم على التخلي عن دينه واعتناق المسيحية وحوالي 1525 انتهى من كتابة هذا الكتاب والذي صدر بالايطالية . كانت وفاته قبل 1550 . وظل هذا الكتاب مصدرا أساسيا بالنسبة لمؤرخي وجغرافي بلاد المغرب ولكل من اعتنى بتاريخ

LEROY - *Etat général et particulier du royaume et de la ville d'Alger, de son gouvernement, de ses forces de terre et de mer, des revenus, justice, police.* La Haye, Vandole, 1700.

من الكتب الهامة حول تاريخ الجزائر خلال القرن السابع عشر . ومن أهم ما يلفت
من الكتب الهامة ...
النظر فيه ، فصل تحت عنوان :

De l'intérêt particulier de la France avec la République d'Alger.

وفيه يوضح لفرنسا مدى أهمية نهج سياسة سليمة ازاء الحكومة الجزائرية .

MORGAN (J) - *Histoire des Etats barbaresques qui exercent la piraterie contenant l'origine des révolutions et l'état présent des royaumes d'Alger, de Tunis, de Tripoli et de Maroc.* Traduit de l'anglais, Tome 2, Paris, MDCCLVII.

PANANTI (F) - *Relation d'un séjour à Alger*, Paris, Lenormant, 1820.

كاتب ايطالي أسر من طرف الرايس الشهير حميدو . من المتحاملين على الجزائر بل من الذين نادون باستئصالها واحتلالها ، لكونها حسب نظره عقبة في وجه ازدهار التجارة الأوروبية _ ومع هذا يمكن الاستفادة منه فيما يتعلق ببعض الأخبار عن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للجزائر خلال هذه الحقبة .

PERROT (A.M) - *Alger, esquisse topographique et historique du Royaume et de la ville*, Paris, Ladvocat, 1830.

من المكتب التى ألفت اثناء الحملة الفرنسية للتعريف بالجزائر .

POIRRET (A) - *Lettres de Barbarie, 1785 - 1786*, Paris, Le Sycomore, 1980.

زار الجزائر حوالي 1785 ، قصد مواصلة بحوثه في التاريخ الطبيعي لبلاد المغرب . نوميديا _ وهو على النقيض من لوجي د . وتاسي باعتباره معاصرا له . يرى بأن الحكم العثماني هو المسؤول عن الحالة البائسة (في نظره) التى وصلت إليها بلاد المغرب وخاصة الجزائر . ولا شيء عنده يستدعي الاهتمام والاشادة سوى العهد الروماني وهو مفيد للتعرف على نشاط صيد المرجان بالناحية الشرقية .

RAYNAL (G.T) - *Histoire philosophique et politique des Etablissements et du commerce des européens dans l'Afrique Septetrionnale*, Paris, Maurus et Cie, 1826, 2 tomes.

يعود تأليف الكتاب الى حوالي 1785، وهو يتناول تجارة الأوروبيين .

RELATION *de ce qui s'est passé dans les négociations de la paix conclue au nom du Roy par le Chevalier de TOURVILLE avec le Bacha le Dey, le Divan et la milice d'Alger*, Toulouse, Jean Bouda SD.

سجل صاحبها المفاوضات التي اعقبت قصف دوكين تسجيلا دقيقا ، منذ بدايتها الى نهايتها .

ROCQUEVILLE (le Sieur de) - *Relation des moeurs et du Gouvernement des turcs d'Alger*, Paris, Olivier, 1675.

أحد الأسرى ، دامت اقامته بمدينة الجزائر نحو تسعة أشهر . اشتغل اثناءها بالسقاية فدون ماشاهده في مدينة الجزائر من عادات وتقاليد كما يحتوي على بعض الأخبار...

ROUSSEAU (A) - *Chroniques de la Régence*, traduites d'un manuscrit arabe intitulé El Zohrat, El Nayerat, Alger, Imp. du Gouvernement, 1841.

هو ترجمة للزهرة النيرة .

SAVARY (J) - *Le parfait négociant ou instructions générales pour ce qui regarde le commerce des marchandises de France et des pays étrangers, 7ème édition augmentée par SAVARY DES BRULONS*, Paris, , 1712, 2 tomes.

من أهم المصادر حول التجارة أسسها وقوانينها . وتكمن أهميته أيضا في أنه المصدر الوحيد (المجلد الثاني) الذي تناول تجارة الفرنسيين بالمؤسسات الفرنسية بالشرق الجزائري — وهو من بين الأشخاص الذين اعتنوا بتلك التجارة وخاصة الجلود لمدة خمسة عشر سنة . ويبدو أن صاحبه انتهى من تأليفه بسنة واحدة بعد تأسيس شركة دوزو. 1679. وأهداه الى كولبير لما عرف به من حماس لتطوير التجارة .

5 ـ الدراسات الحديثة :

أ ـ بالفرنسية :

ABFLOUS (F) - *L'évolution de la Turquie dans ses rapports avec les étrangers* , Thèse, Toulouse, 1928.

BELHAMISSI (M) - *Histoire de la marine algérienne 1516 - 1830* Alger, F.N.A.L. 1983

BELOT (DE R.) - *La Méditerranée et le destin de l'Europe* Paris, Payot 1961.

BERGASSE (L) - *Histoire du commerce de Marseille de 1599 - 1789* T.IV Paris, Plon.

BILLIOUD (J) - *Le commerce de Marseille de 1515 à 1599* in Histoire du Commerce de Marseille, tome III, 2è partie, 1480 à 1599 par Raymond COLLIER et J. BILLIOUD, Paris, Plon, 1951.

BIRABEN (J.N) - *Les hommes et la peste en France et dans les pays méditerranéens* Paris, Mouton, 1975, 2 tomes.

BLAVIN (M) - *La condition et la vie des français dans la Régence d'Alger* , Alger, Adolphe JOURDAN, 1899.

BOULENGER (J) - *Le grand siècle* , Paris, Hachette, 1911.

BOUTIN (A) - *Anciennes relations commerciales et diplomatiques de la France avec la Barbarie* , Paris, Pedone, 1902.

BRAHIMI (D) - *Opinions et regards des européens sur le Maghreb aux XVIIè et XVIIIè siècles* , Alger, SNED, 1978.

BRAUDEL (F) - *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II* 3ème éd Paris, A. Colin, 1972, 2 volumes.

BRUNEAU (A) - *Traditions et politiques de la France au Levant* Paris, Félix Alcan, 1932.

CAILLE (J) - *La représentation diplomatique de la France au Maroc* Paris, Pédone, 1951.

CAPOT - REY ( ) - *La politique française et le Maghreb méditerranéen 1643 - 1689*, Alger, Société Historique Algérienne, SD

CHARLES - ROUX (F) - *France et Afrique du Nord avant 1830 - Les précurseurs de la conquête* , Paris, Félix Alcan, 1932.

COLOMER (L) - *Le rôle de Marseille dans les relations politiques et économiques de la France avec les pays d'orient* , Thèse, Toulouse, J. Fournier, 1929.

DECLERCQ (A) et DEVALLAT (M.C) - *Guide pratique des consulats* Paris, Pédone Launel, 1850, 4ème éd. Tome 1.

DERDOUR (M) - *Annaba, 25 siècles de vie quotidienne et de luttes* Menus appendices sur l'histoire générale du Grand Maghreb, Alger, SNED, 1983, 2 volumes.

DURAND (L) - *Pirates et barbaresques en Méditerranée* Histoire du Sud, Avignon, Aubanel, 1975.

FERAUD (Ch) - *La Calle et documents pouvant servir à l'histoire des anciennes concessions françaises d'Afrique* Alger, Imp. Aillaud, 1877.

———————— - *Histoire des villes de la province de Constantine Gigelli* Constantine, Arnolet, 1870.

FERAUD - GIRAUD - *De la juridiction française dans les échelles du Levant et de la Barbarie* , 2ème éd. revue et considérablement augmentée, 2 tomes, Paris, Durand, 1866.

GAID (M) - *Chronique des Beys de Constantine* , Alger, OPU, S.D

GAXOTTE (P) - *Histoire des Français* , tome II, Collection de l'Histoire, Flammarion, 1951.

GLEIZES (R) - *Jean LE VACHER, Vicaire Apostolique et Consul de France à Tunis et à Alger (1619 - 1683)* , Paris, 1914.

GRAMMONT (H. de) - *Histoire d'Alger sous la domination turque 1515 - 1830* Paris, Leroux, 1887.

—————— - *Histoire du massacre des turcs à Marseille en 1620* Paris, 1879.

HANTSH (M.H) - *Charles Quint et son temps* , Paris, C.N.R.S.1958.

HEINRICH (H) - *L'alliance franco-algérienne au XVIè siècle* , Lyon, Imp. Mougin - Rusand, 1898.

HUSSON (L) - *La régence d'Alger et la course*, Polycopié.

JAL (A) - *Abraham DUQUESNE et la marine de son temps* , Paris, Plon 1873, Tome 1.

JURIEN (De La Gravière) - *Les corsaires barbaresques et la marine de Soliman Le Grand* , Paris, Plon, 1887

LAPRIMAUDAIE (Elie de) - *Le commerce et la navigation de l'Algérie avant la conquête française*, Paris, Lahure, 1861,

LARONCIERE (Ch.de) - *Histoire de la marine française* , Tome VI, Le crépuscule du grand règne, l'apogée de la guerre de la course

LAVISSE (E) - *Histoire de France* " Tome VII, *Louis XIV - La religion, les lettres, les arts, la guerre - 1643 - 1685* ", Paris, Hachette, 1911.

———— - *Histoire de France* Tome VI, " *Henri IV et Louis XIII* " Hachette, 1911.

LEBRUN (F) - *Le XVIIè siècle* , Armand Colin, Collection U. 1967

LESPES (R) - *Alger, étude de géographic et d'histoire urbaines* Paris, Alcan, 1930.

MARIEJOL (J.H) - *La réforme et la ligue - L'Edit de Nantes - 1559 - 1598* Paris, Hachette, 1904.

MARTIN (M) - *La vie et la condition des esclaves chrétiens dans la Régence d'Alger* , Paris, 1900.

MASSON (P) - *Les galères de France, Marseille port de guerre (1481 - 1781)* Paris, Hachette, 1938.

———— - *Histoire des établissements et du commerce français dans l'Afrique barbaresque* , Paris, Hachette, 1909.

———— - *Histoire du commerce français dans le Levant au XVIIè siècle* , Paris, Hachette, 1908.

———— - *Les compagnies du Corail - Etude historique sur le commerce de Marseille au XVIè siècle et les origines de la colonisation française en Algérie - Tunisie* , M.C.M.VIII

MEMAIN (R) - *Le matériel de la marine de guerre sous Louis XIV - Rochefort, arsenal modèle de COLBERT (1666 - 1690)* Paris, Hachette, 1936.

METHIVIER (H) - *Le siècle de Louis XIV* P.U.F. Que Sais-Je ?, 1975.

NICOLAS (L) - *La puissance navale dans l'histoire* Tome I, Du Moyen-Age à 1815, Paris, Ed. maritimes et coloniales, 1958.

PECHOT (L) - *Histoire de l'Afrique du Nord avant 1830* précédée de La géographie physique et politique de la Tunisie, de l'Algérie et du Maroc, Alger, Gojosso, 1919, 3 volumes.

PICCARET (G.G) - *La diplomatie française au temps de Louis XIV, 1661 - 1715* Institutions, moeurs et coutumes, Paris, Alcan, 1930.

PLANTET (E) - *Les consuls de France à Alger avant la conquête (1579 - 1830)* , Paris, Hachette, 1930

PRECLIN (Ed.), TAPLE (L.V) - *Le XVIIè siècle* P.U.F. Collection Clio le XVII, Les monarchies centralisées (1610 - 1715) 1943.

RAIN (P) - *La diplomatie française d'Henri IV à VERGENNES* , Paris, Plon, 1945.

REY (F) - *De la protection diplomatique et consulaire dans les échelles du Levant et de la Barbarie* , Paris, 1898 - 1899

ROMANO - *Le commerce du blé à Marseille au XVIIIè siècle* Paris, Armand Colin, 1956.

ROTALLIER (Ch. DE) - *Histoire d'Alger et de la piraterie des turcs dans la Méditerranée* Paris, Paulin, 1841, 2 tomes.

THAU (E) - *Raison d'Etat et pensée politique à l'époque de RICHELIEU* Athènes, 1966.

TURBET DELOF (G) - *La bibliographie critique du Maghreb dans la littérature française (1532 - 1715)*, Alger, SNED, 1976.

—————— - *L'Afrique barbaresque dans la littérature française au XVIè et XVIIè siècles*, Genève, Droz, 1973.

—————— - *La presse périodique française et l'Afrique barbaresque au XVIIè siècle - 1611 - 1715* Genève, Droz, 1973.

TONGAS (G) - *Les relations de la France avec l'Empire Ottoman durant la première moitié du XVIIè siècle (1619 - 1640)*, Toulouse, Imp. F. Boisseau, 1942.

VALENSI (L) - *Le Maghreb avant la prise d'Alger*, Paris, Flammarion 1969.

VANDAL - *L'odyssée d'un ambassadeur - Les voyages du Marquis de NOINTEL 1670 - 1680*, Paris, Plon, 1900, 2è éd.

ب _ بالعربيـــة :

_ الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري : تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شـــرح وتعليــق ممدوح حقي، بيروت، دار اليقظــة العربيـــة،

_ البطريــق عبد الحميد : التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضــة الى مؤتمر فينا، بيـروت، دار النهضــة العربيــة، 1974.

_ سبنســر، و، الجـزائر في عهــد رياس البحــر، ترجمة عبد القادر زباديــة الجزائر، ش.و.ن.ت.؟

_ سعد الله أبو القاسم، ابحاث وآراء في تاريــخ الجزائر، الجزائر ش.و.ن.ت. 1978،

_ سعيدوني ناصر الدّين، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانيــة، 1800 _ 1830. الجزائر، ش.و.ن.ت. 1979.

_ الزبيــري العربي، التجارة الخارجيــة للشرق الجزائري، الجزائــر، ش.و.ن.ت ؟

_ نايت بلقاسم، مولود قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830. قسنطينــة، دار البعث. 1985.

_ ولــف جون، الجزائر وأ وربــا 1516 _ 1830، ترجمــة وتعليــق، الدكتــور ابو القاسم سعد الله، (تحت الطبع)

6 _ مقالات المجلات المتخصصة :

أ _ بالفرنسية :

ARNAUD D'AGNEL - " *Rôle de soixante-quatorze esclaves provençaux échangés ou rachetés à Alger par le Sieur de TRUBERT* " in B.H.P. 1905 pp 215 - 224.

BARDOUX (J) - " *La vie d'un consul auprès de la Régence d'Alger* " in R.A. 1924, pp 261 - 286.

BERBRUGGER (A) - " *Les Algériens demandent un roi Français en 1572* " in R.A. 1861, pp 1 - 13.

———— - " *Notes relatives à la révolte de Ben SAKHERI* " in R.A. 1868, pp 337 - 352.

BILLIOUD (J) - " *Les troubles d'Alger et la rédemption des esclaves en 1645* " in M.I.H.P. Tome 10, 1933, pp 87 - 107.

BOYER (P) - " *Alger en 1645 d'après les notes du R.P.HERAULT* " in R. .M.M n°17, 1974, pp 19 - 41.

———— - " *Des Pachas triennaux à la révolution d'Ali Khodja Dey* " in R. H. , 1970., pp 99 - 124

———— - " *Introduction à une histoire de la Régence d'Alger* " in R.H. 1966, pp 297 - 316.

———— - " *La chiourme turque des galères de France à Alger de 1865 à 1867* " in R.O.M.M. n°6, 1969, pp 53 - 74.

———— - " *la révolution dite des Aghas 1659 - 1671* " in R.O.M.M. 1973, n° 13 et 14, pp. 159 - 171.

BRAUDEL (F) - " *L'économie de la Méditerranée au XVIIè siècle* " in C.T. 1956, pp 175 - 197.

COQUELLE (P) - " *La mission de J.B. DECOQUIEL à Alger et Tunis 1640* " d'après des documents inédits, extrait du B. H. P. , 1905, pp 245 - 269.

DELPHIN - " *Histoire des Pachas d'Alger* " in J.A. 1922, pp 161 - 233.

DESCAMPS (L) - " *Un colonisateur du temps de RICHELIEU, Isaac de RAZILLY* " in R.G. 1886, Tome 19, pp 273 - 284.

DEVOULX (A) - " *Un incident diplomatique à Alger en 1750* " R.A. 1872, pp 81 - 88.

——————— - " *Les principaux français qui ont résidé en Algérie jusqu'en 1830* " R.A. 1872.

DUFOURCQ (Ch.E) - " *Commerce du Maghreb médiéval avec l'Europe chrétienne et Marine musulmane, données connues et pétitiques en suspens.* Actes du 1er Congrès d'Histoire de la civilisation du Maghreb Tome 1er, Série Histoire n°1, pp 161 - 187.

EMERIT (M) - " *Au temps de Saint Vincent de Paul : la mission de SAVARY de BRENES en Afrique du Nord* " in R.F.H.O.M. 1965 - 1966, pp 297 - 314.

——————— - " *Un document inédit sur Alger au XVIIè siècle, Année 1666* " in A.I.E.O. 1959, pp 233 - 242

——————— - " *Un mémoire sur Alger par Petis de la CROIX* " A.I.E.O. 1953, pp

FILIPPI (L) - " *L'oeuvre de la société " Le Bastion de France "* " in R.A. 1935, pp 271 - 273

GIRAUD (P) - " *Les Lenche à Marseille et en Barbarie* " in M.I.H.P. T. 13

GRAMMONT (H. de) - " *Les consuls et les envoyés de la Cour de France à Alger* " in R.H.D. 1888, pp 100 - 108.

———————— - " *Lettre d'Ismaël PACHA à Louis XIV, 1688* " in R.A. 1884, Tome 28, pp 68 - 73.

———————— - " *Un épisode diplomatique à Alger au XVIIè siècle* " in R.A. 1882, pp 130 - 138.

———————— - " *Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVIIè siècle* " - 1ère partie : " *Les deux canons de Simon DA SA* " - 2è partie : " *La mission de Sanson LEPAGE* " - 4è partie : " *Les consuls Lazaristes et le Chevalier d'ARVIEUX* R.A. 1879 - 1885.

GRANDCHAMP (P) - " *Le Maréchal d'ESTREES devant Alger* " Documents inédits de 1687 et 1688, in R.T. 1918, pp 287 - 299

———————— - " *Une mission délicate en Barbarie, Jean Baptiste SALVAGO* " in R.T. 1937, 2è partie, pp 471 - 501.

GRILLON (P) - " *En marge d'un manuscrit du XVIè siècle* " in R.H.C.M. n°1, 1966, pp 52 - 74

———————— - " *Origines et fondation du Consulat de France à Alger 1564 - 1582* " R.H.D. n°2, 1964.

HAMMER - " *Mémoire sur les premières relations diplomatiques entre la France et la porte* " in J.A. tome 10, 1827, pp 19 - 245

JACQUETON (G) - " *La France et la Régence d'Alger* " R.Q.H. Année 1890, pp 217 - 225.

LARONCIERE - " *Le bombardement d'Alger en 1683* " in B ; s; g; [illegible]

LEON (P) - " *La crise de l'économie française à la fin du règne de Louis XIV* " in I.H. 1956, pp 127 - 137

MANTRAN (R) - " *La description des côtes de l'Algérie dans le KITABI BAHRIYE DE PERI REIS* " in R. .M.M. n° 15 - 16, 2è série, 1973, pp 159 - 168.

MATHIEX (J) - " *Levant, Barbarie et Europe chrétienne* " B.S.H.M. n°2, 1958, pp 4 - 9.

MISERMONT (L) - " *Le double bombardement d'Alger par DUQUESNE et la mort du Consul LEVACHER* " in R.F.H. 1905.

MISERMONT (L) - " *Les Français mis à la bouche du canon à Alger en 1683 avec le Consul Jean LEVACHER* " - Extrait de la R.F.H. oct. - déc. 1917, pp 475 - 497

MONCHICOURT - " *L'expédition de Djidjelli* " in R.M.

PIESSE (L) - " *L'odyssée ou diversité d'aventures, rencontres et voyages en Europe, Asie et Afrique* " divisée en quatre parties par le sieur du CHASTELET DES BOYS in R.A. 1866, pp 94 - 101 et pp 257 - 268.

PILLORGET (R) - " *Un incident diplomatique franco-turc sous Louis XIII* " in R.H.D. janv. 1974, pp 44 - 58.

PINGAUD (L) - " *Une ambassade en Turquie sous Henri IV* " in R.Q.H. Année 1890, pp 226 - 231.

PLAYFAIR (R.L) - " *Episode de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les états barbaresques avant la conquête française* " R.A. 1876, pp 305 - 320 et 401 - 405.

POINSSOT (L) - " *La mort de Sanson NAPOLLON à Tabarca* " in R.A. 1927 pp 254 - 257

PRUVOST (R) - " *Une expédition anglaise contre les pirates* " in Cinquantenaire de la Faculté des Lettres d'Alger (1881 - 1931), R.A. H.S. 1932, pp 413 - 435

SAUVAGET - "*Une description des côtes barbaresques au XVIIè siècle* " in R.A. année 1949, pp 233 - 248.

STEIN (H) - " *Un dessin sur Alger sous Louis XIII* " in R.G. 1883, tome 12, pp 23 - 29.

TURBET DELOF (G) - " *L'affaire de Djidjelli dans la presse française du temps* " in B.S.G.G. n° 88, 2è sem. 1968, pp 150 - 165.

——————— - " *L'avanie subie en 1658 par le Lazariste Jean BARREAU Consul de France à Alger* " in R.O.M.M. n° 3, 1967, pp 153 - 167

——————— - " *BOSSUET et la question d'Alger au XVIIè siècle* " in XVIIè Siècle n° 100, 1973, pp 63 - 67

——————— - " *Saint Vincent de Paul et la Barbarie en 1657 - 1658* " n° 3, 1967, pp 153 - 165.

WATBLED (F) - " *Aperçu sur les premiers consulats français dans le Levant et les états barbaresques* " in R.A. 1872, Tome 17, pp 215 - 231

——————— - " *Expédition du Duc de Beaufort contre Djidjelli en 1664* " in R.A. 1873, pp 430 - 443.

WATBLED (F) - " *Pachas et Pachas - Deys* " in R.A. 1873, pp 438 - 443

X - " *Les dirigeants de l'Algérie pendant la période turque (1515 - 1830)* " extrait de l'Encyclopédie turque in R.H.C.M. n° 6 - 7 1969, pp 38 - 41.

ZELLER (G) - " *Une légende qui a la vie dure, les capitulations de 1535* " in R.H.M.C. avril - juin 1955, pp 127 - 132.

ب - بـــــالعربيـــة

- آبـــار ميشيـــل ، "الجزائر في القـــرن السابـــع عشر لرحالـــة اسكتلانـــدي" ترجمـــة د .حنفـــي بن عيسى ، مجلـــة الثقافـــة - السنة الأولى العدد 3 ، يونيـــو 1971 - ص ص 41 - 54 .

- بالحميســي مـــولاي ، " المؤرخـــون الفرنسيـــون والجزائر في العصر العثماني ، "مجلـــة الأصالـــة عـــدد خاص. 14 - 15 . ماي ، جـــوان 1973 . ص ص 71 - 79 .

- سعد اللـــه أبو القاسم ، "من أخبار شعبان باشا داي الجزائر " مجلة التاريـــخ عـــدد 18 - 1985 ص ص 103 .

- سعيـــدون ناصر الدّين ، " الحياة الاقتصادية بعنابـــة أثناء العهـــد العثمـــاني" دراســـات وابحـــاث في تاريخ الجزائر العهـــد العثماني . المؤسســـة الوطنيـــة للكتـــاب. 1985 . ص ص 199 - 222 .

- قنـــان جمال ، " عنصر في الازمـــة الجزائريـــة - الفرنسيـــة 1827 . وحـــدة التراب الوطنـــي " مجلـــة التاريـــخ ، عدد خاص 1984 . ص ص 9 - 40 .

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

فهرس الأماكن والبلدان

فهـــرس الموضـوعـات

تصويبات

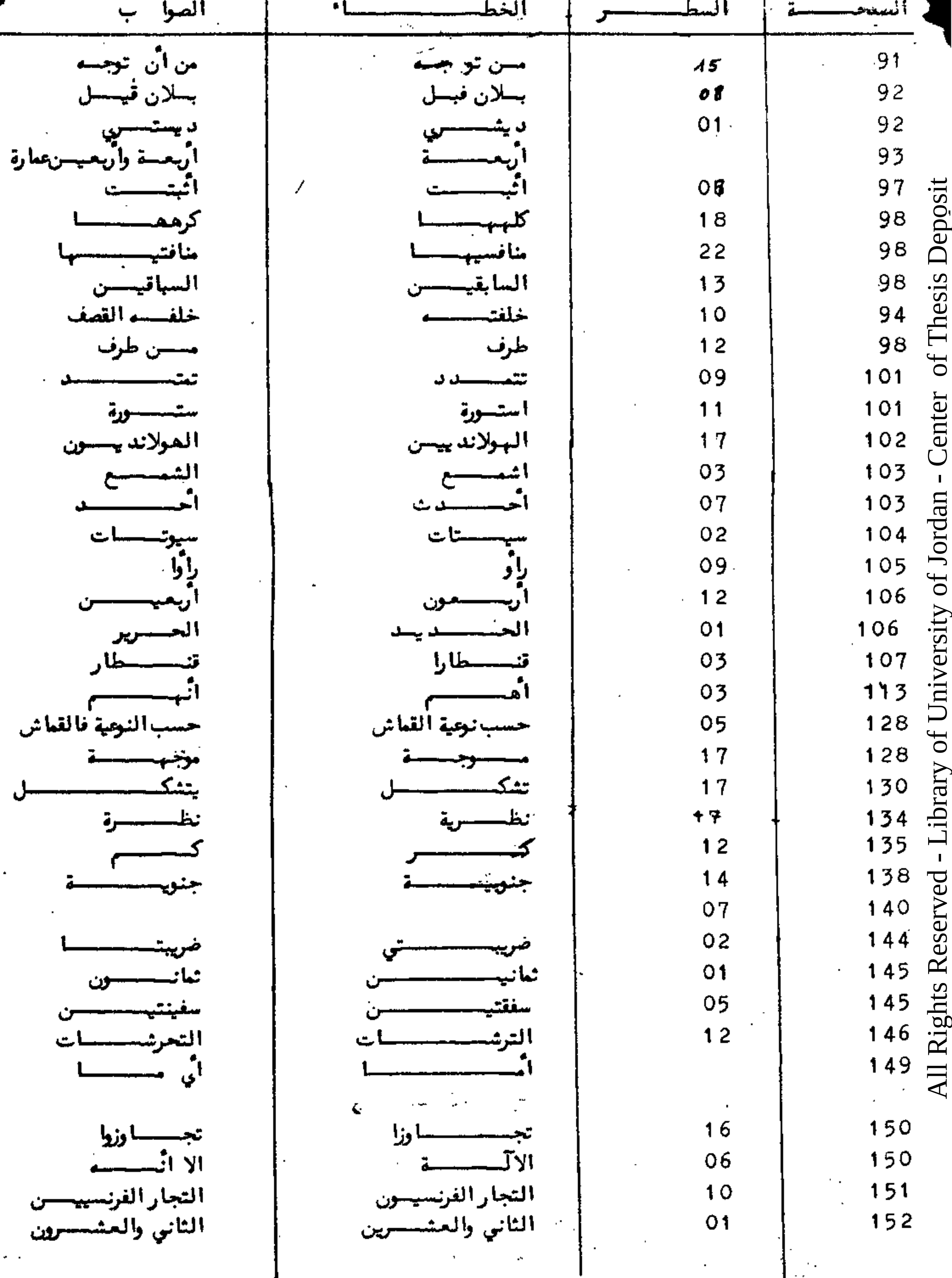
ملاحظة :-

أعتذر عما ورد في الرسالة من هفوات لغوية وأخطاء مطبعية • وفيما يلي قائ
ببعض التصويبات •

الصفحة	السطر	الخطاء	الصواب
أ	14	سجله	سجلته
د	13	جعلاني	جعلني
و	2	استهليت	استهللت
3	1	بطريقة •••	بطريقة تكاد
-	8	اقامة	الى اقامة
4	11	تؤخذ	تأخذ
6	4	خلافاتهم	خلافتاتهما
7	2	أنه	أن
7	11	الموقف	الموقع
-	12	وفاة	ووفاة
-	16	الانظمام	الانضمام
8	3	اتجهتها	انتهجتها
8	5	سنة	رلم تمر سنة
-	11	في	نحو
-	3	هو أصل فرنسي	من أصل فرنسي
-	12	أفيريل	أفريل
-	4	مساندته	مساندتها
-	4	أرسلت فرنسا مبعوثا	أرسلت مبعوثا
10	9	وجها	وجهها
12	2	وواجهاتهم	وواجهتهم
11	1	نتردد	لن نتردد
12	14	فتعرضها	فتعرضت
13	2	كسب	الى كسب
15	9	••• الى المسلمين	للمسلمين
17	10	سينظم	سينضم
17	6	يردون	يريدون
17	1	تقتضي	تقضي
23	1	الهولانديين	الهولانديون
25	6	نهايتها	نهايتهما
25	15	الوالي الرتب	والي الرتب
26	2	ألتت	أعلنت

الصواب	الخطأ	السطر	الصفحة
جبايــة	جباريــة	3	26
انتــزاع	الانتــزاع	10	26
اضطرابات	الاضطرابات	13	26
طائفــة	طئــافــة	14	26
الى الحكم ..	...الحكم	2	28
أربــع	اربعــة	-	-
الاراضي المنخفضة	أرض المنخفضة	12	29
وستفاليــا	وستفاليــا	11	29
فثارت	فثائرت	6	31
فوجود هــا	فوجـود وها	5	32
أدنى	أد ى	10	36
رث	د	7	37
سمــح	يسمــح	12	38
بحجــز	بحجــر	4	37
عــن أيــة	عــن أي	2	39
التي منحت فرنسا جل	التي منحـت جل	14	39
		5	44
مــن اية منطقــة	من اي منطقــة	4	45
الحكم على لويس بلانكو بالاعدام	الحكم على لويس بلانكو	1	47
الثالث عشر	الثالــث	11	50
فــور	فــورا	9	51
بتدميــر	بتذبيــر	5	54
بالقتل اذا مــا	بالقتل ما	5	54
اربــع	اربعــة	1	55
بالمطالبــة	المطالبــة	11	57
المياه	الدخول للميــاة	8	56
بتشجيــع	شجيــع	15	57
قيمــة اربع	ماقيمته اربعــة	7	61
المخططات	المخطاطات	10	67
الحلفاء غير الرسميين لفرنسا	الحلفاء غير الرسميين	12	61
طبيعــة	طبيعــة	03	68
الســد	الصــد	04	69
التفكيــر	التفكتيــر	07	69
المنتصــر	المتصــر	04	70

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
72	16	سعيا	سعيا حثيثا
73	06	تليها	يليها
74	111	افتيار	الاختيار
7[illegible]	10	اربعة مائة	اربعمائة
7[illegible]	02	ما هو موقف	ما موقف
77	13	اخبر	أخبار
77	07	فوجئت	فجئت
78	03	فأي الاعتداء	إن أي اعتداء
78	05	التي تمر بها	التي كانت تمر بها
78	11	الفصل	الفعل
7[illegible]	14	نتائج	تاريخ
8[illegible]	01	بنية	بنيته
8[illegible]	02	مخلف	مختلف
8[illegible]	05	بواساطة	بولسطة
84	05	الى في خدمات	الى خدمات
84	04	نظار	نظرا
8[illegible]	12	لومنني	لو فشر
87	15	عمادة	عمارة
8[illegible]	01	قبلتهم	قبلتهم
8[illegible]	06	حاجي حسين	الحاج حسين
8[illegible]	08	مؤمرة	مؤامرة
8[illegible]	03	باثنى عشر	باثنى عشر ألف
8[illegible]	08	لمدينة	بمدينة
8[illegible]	14	استعملت	استعملت فيها
[illegible]	-	المبادلات	المبالاة
[illegible]	01	اضطربت	اضطرت
[illegible]	05	يبرم	ان يبرم
[illegible]	-	من زكشا	مزركشا
91	07	اوخذت ٠٠٠الى البلاط	اوفدت ٠٠٠٠ الى البلاط الفرنـ
91	14	عاءت	جاءت
91	09	رجال الدين	رجال الديوان



الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
91	15	من توجه	من أن توجه
92	08	بلان فبل	بلان قبل
92	01	د يشري	د يستري
93		أربعة	أربعة وأربعين عمارة
97	08	أثبت	أثبتت
98	18	كلهها	كرهها
98	22	منافسيها	منافتيها
98	13	السابقين	السباقين
94	10	خلفته	خلفه القصف
98	12	طرف	من طرف
101	09	تتمدد	تمتد
101	11	استورة	ستورة
102	17	الهولانديين	الهولانديون
103	03	اشمع	الشمع
103	07	أحدث	أحد
104	02	سبتات	سيوتات
105	09	رأو	رأوا
106	12	أربعون	أربعين
106	01	الحديد	الحرير
107	03	قنطارا	قنطار
113	03	أهم	أنهم
128	05	حسب نوعية القماش	حسب النوعية فالقماش
128	17	موجة	موجهة
130	17	تشكل	يتشكل
134	17	نظرية	نظرة
135	12	كر	كم
138	14	جنوبية	جنوية
140	07		
144	02	ضريبتي	ضريبتا
145	01	ثمانين	ثمانون
145	05	سفقتين	سفينتين
146	12	الترشات	التحرشات
149		أما	أي ما
150	16	تجاوزا	تجاوزوا
150	06	الآلة	الا أنه
151	10	التجار الفرنسيون	التجار الفرنسيين
152	01	الثاني والعشرين	الثاني والعشرون

الصفحـــــة	السطر	الخطـــــــــأ	الصـــواب
151	10	التجار الفرنسيـــون	التجار الفرنسيـــن
152	01	الثاني والعشـــرين	الثاني والعشو ون
153	03	العملـة الايالة	العملة في الايالة
154	18	منـــهم	معهـــم
155	05	للحـــركة	الحـــركة
158	09	ســـرعان	وســـرعان
162	03	محظـــورا	محضـــورا
164	08	المبادلات التاريخية	المبادلات التجارية
165	05	ســـم	سح
165	13	سغنا	سفن
168	10	عنابة	عنايـــة
168	12	باتفاقيـة	باتفاقـــه
173	04	يجعل	يجعل المؤسسات
176	10	فجدد	فبـــدد
179	10	أسنان	انســـان
180	02	المعاطاة	المعطاة
180	01	الشركة لافون	شركة لافون
181	03	الشركاء السابقين	الشركاء السابقون
181	11	الموجـــه	المخصـــص
182	14	(فراغ)	وعد بها الداي دوزو
184	06	دوزو	لدوزو
187	02	المؤرخيـــن الفرنسيين	المؤرخون الفرنسيون
187	07	ممـــا	مـــا
189	09	الى تشجيعها	لتشجيـــعها
189	11	الخلفاء غير الرسميين	حلفاء غير رسميين
189	12	جزئيـــة	جزئيـــة
191	02	عجزت	عجزت عـــن
191	10	كصناعـــة	من ذلك صناعة
192	08	...الحكومةالجزائرية	الحكومة الجزائرية يتمثل في
196	(جدول)	1 جانفي 1684	1 جانفي 1694
197		لاسترجاع	باسترجاع
218	06	نادوك	نالوا